

البلاغة العربية

بيان الثقلية والتجديف

تأليف

د. عبد الغني شرف

أستاذ الأ诛ام العربي

د. محمد عبد المنعم مقابلي

الأستاذ والمحبب بجامعة القاهرة

دار الجليل
بيروت

جَمِيعُ الْمَقْوِسَاتِ مَعْنَاطَةٌ لِلْأَرْضِ الْحَيْلِ
الطبعة الأولى
١٤١٢ - ١٩٩٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

- ١ -

ليس من شك في أن فساد الأذواق ، وانحراف الملوك ، وتفاوت الطبع في نفوس العرب ، بعد اتساع الفتوحات الإسلامية ، وامتزاج العرب بالشعوب المقلوبة . وظهور آثر هذا الامتزاج في الألسنة والطبع ، ليس من شك في أن ذلك كله كان يساعد على تدوين أصول لكتون ميزات ملوكها توزن به بلاغة الكلام ، وتتصدر منه الأصول الأدبية والتأديبية من الخطأ في الأسلوب والبيان . . . ويفضي إلى ذلك عامل آخر يعيده الآثر في تدوين المبالغة ، هو الرغبة في فهم أسرار اعجاز القرآن الكريم ، واقامة الأدلة العلمية على هذا الاعجاز .

ولقد أخذ النقاد والأدباء والمكتاب في القرن الثاني يحاولون فهم أسرار البيان ووضع أصول موجزة تحدد آراءهم في جمال الأسلوب ، واشترك في التهوى بهذه العبارة من المصري الأموري كثيرون ، في مقدمتهم : آئمه الشعر والخطابة وقحول الكتاب والرواية وعلماء الآباء من مصريين وكوفيين وبغداديين ، ورجال النقد الذين جمعوا الكثير منهم مع الثقافة العربية ثقافات أخرى . ونشأت من ذلك أراء كثيرة في البيان وتحديده . نجدوها في مصادر كتب الأدب والنقد والبلاغة .

ثم أتت في القرن الثالث كتب تجمع كثيراً من الآراء والدراسات الموجزة حول البيان وبخوته ، ومن هذه الكتب :

اعجاز القرآن لأبي عبيدة م ٢٠٧ هـ ، والقصاحة للدينوري م ٢٨٠ هـ .
ومنشأة الكلام للجاحظ ، ونظم القرآن والتمثيل له أيضاً ، والبلاغة وقواعد
الشعر للمبرير . والبلاغة للحراني ، وقواعد الشعر للشبل ، والبلاغة والخطابة
للمرزوقي ، والطابيق والجاتس لأبن الحسرون ، وتهذيب القصاحة لأبي سعيد
الأصفهاني . واعجاز القرآن في نظمها وتاليقه للواسطي المعتزلي - ٢٠٦ هـ) .
ومنشأة البلاغة للباحث .

- ٢ -

على أن أهم الكتب التي تناولت بعض مسائل البيان بالبحث ، أو التي ألفت فيها خاصة هي : البيان والتبيين للجاحظ ، وهو أهم ما ألف في هذا الطور من كتب تتصل ببلاغات العرب نثراً وشمراً ، وتقترب من تحديد البلاغة والبيان وما حولهما من آراء كانت ذاته في عصر الجاحظ ، وفيه كثير من يبحث البيان وأصوله .

ولا يضير الجاحظ أن كانت دراساته موجزة مفرقة كما يقول أبو هلال (١) : فهو على كل حال ذات اثر كبير في نشأة البيان ، وهي التي أورحت إلى كثير أن يعدوا الجاحظ الواضع الأول لعلم البيان . ومن الخطأ التهوي من اثر الجاحظ في البيان ، كما ذهب إليه بعض الباحثين .

وعلى نهج الجاحظ سار المبرد في كتابه الكامل ، ففيه آراء كثيرة وروايات مدونة تتصل بالبيان وموضوعاته .. وكتلله ابن المبرد في كتابه الرسالة المدراء ، ثم ابن عبد ربه في المقدمة ، والمحمرى في ذكر الآداب ، وصواعم .

وبينما التدوين في صييم البيان بتأليف ابن المعتن (٢٤٧ - ٢٩٦هـ) كتابه «البياع» عام ٢٧٤هـ : وقد ذكر فيه مؤلفه الوازن البياع وهي : الاستعارة - التشبيه - التجنيس - المطابقة - رد العجز على المصدر - المذهب الكلامي - الالتفاق - الاعتراض - الرجوع - حسن الخروج - تأكيد المدح بما يشبهه الذم - تجاهل الماء - حسن التضمين - التعريف والتكتية - الأفراط في الصفة - لزوم ما لا يلزم ، وهذه الآلوان كلها هي موضوع علم البيان والبياع .

ويعد ذلك ظهر كتاب نقد الشعر لقديمة ، وقد تكلم فيه عن سر الجمال وأسباب الفتح في الشعر وعناصره : اللطف والمعنى والوزن والقافية .. وعرض بسبب ذلك لكثير مما عرض له ابن المعتن ، وزاد عليه أنواعاً كثيرة .

ثم ظهر نقد النثر ، وهذا الكتاب صورة قوية لهم مؤلفه للبيان والقسام الكلام والوان الأساليب ، مما تأثر فيه بنحوة العرب وثقافته اليونانية مما .

اما كتاب الصناعتين لأبي هلال المتنوفي نحو عام ٣٩٥هـ ، ففيه تحديد للبلاغة والبيان وأوصافهما وشرح الآراء فيهما ، وذكر لأنواع البياع ولمسقات الشعرية وغيرها . وقد تأثر فيه أبو هلال بالجاحظ وابن المعتن وقدامة إلى حد بعيد .

(١) ٦ و ٧ الصناعتين .

ومن الكتب التي تتعرض لبحوث البيان : الموازنات للأدمى ، والوساطة للجرجاني ، واعجاز القرآن للبيانى ، والمعدة لابن رشيق وهو أكثرها اتصالاً بالبلاغة ، ورس القصاحة لابن سنان ، وهو كتاب جليل في البيان والتقد والآدب ، مؤلفه هو الأمير ابن سنان الخفاجي الحلبي (٤٢٢ - ٤٦٦ هـ) .

- ٣ -

وجاء بعد ذلك أبو بكر عبد القاهر الجرجاني شيخ البلاغة العربية والمتوفى عام ٤٧١ هـ . فالفى البلاغة كتابين جليلين هما :

١ - أسرار البلاغة ، وفيه دراسات واسعة تتناول بحوث علم البيان من تشبيه ومجاز واستعارة ، وفيه شرح للسرقات وبعض الوان البديع .

٢ - دلائل الاعجاز ، وفيه بحوث كثيرة هي أصول علم المعانى . كما أنه تحدث فيه عن الكتابة والتقطيل والمجاز والاستعارة والسرقات . وهذه المعرفة كلها هي عنده علم البيان .

ولايزال هذان الكتابان عدة الباحثين في البيان العربي حتى الآن .
وهما أهم مصدر للسكاكين المتوفى عام ٦٢٩ هـ في كتابه المفتاح ، وأكثرياته السكاكين ومذهبية في البيان مستمد منها . وعلى نهج السكاكين سار الخطيب ٧٣٩ هـ في الأفاده من عبد القاهر والانتفاع بآرائه في تقويم البيان العربي ورفع صرحة العلمي السامي ، مما ظهر أثره واضحاً جلياً في كتابه «الإيضاح» .
وفي أول عصر النهضة بدأ الاهتمام بكتابي عبد القاهر بنحو ، والأقبال عليهما يزداد ، وذلك بفضل توجيه قائد النهضة الفكرية الحديثة الإمام محمد عبده ، وهو الذي أشرف على نشر الكتابين وقام براجعتهما .

- ٤ -

هذا وينظر ابن الأثير أن الشعر والخطابة في الآدب العربي لم يتاثرا بثقافة اليونان البيانية ، وينفي أن يكون هو قد تأثر في رسائله وكتاباته بما ذكره علماء اليونان في حصر المعانى ، ويقرر أنه اطلع على ما كتبه ابن سينا في الخطابة والشعر فلم يوافق ذوقه ، وإن ما ذكره لغور لا يستقىد به صاحب الكلام العربي شيئاً (١) .

(١) ٢٠ المثل المسائى

ويرى باحث محدث أنه كان للبلاغة اليونانية أثر في علم البيان العربي (١) ويرى آخر أن أرسطو المعلم الأول لل المسلمين في علم البيان (٢) وأن الكتاب والمتكلمين الذين عاشوا في القرن الثاني وأثروا في البيان وتطوره جلهم أهاجم (٣) ، وأن متكلمين المتزلاة ينصلح لهم في الفلسفة اليونانية من مؤسسي البيان العرب ، وأنه حتى يتصف القرن الثالث لم يوجد إلا بيان عربي واحد كان لا يزال في دور الطفولة وكان خصباً جامعاً للروح العربي والفارسي واليوناني ، ثم وجد من ذلك الوقت بياناً : عربي بحت ويوناني يجهز بالآخذه عن أرسطو (٤) ، وحتى العرب البعد تأثر باليونان (٥) .

وتترجم كتاب الخطابة لأرسطو في التصنيف الثاني من القرن الثالث وجاء قيادة فاسقناه من كتاب الخطابة وفهم منه كل ما يمكن أن يتطرق به وطبقه على الشعر العربي . وكان يجهل كتاب الشعر (٦) ، وقد درس قيادة الفلسفة وخاصة النطق ... على أن تشريح الفلسفة للأدب في رأي الدكتور طه حسين يظهر أول مرة في « نقد الشعر » ثم في « نقد النثر » الذي هو مستمد من آراء أرسطو في الجدل والقياس والخطابة ، ثم يظهر عند عبد القاهر واضحاً جلياً .

وتنقول : أن المشتغلين بالفلسفة اليونانية قد اشتراكوا مع الجماعات الأخرى في خدمة البيان ، واستعملوا بطرق اليونانيين ومناهجهم في دراسات البلاغة والتاليف فيها ، كما أن للفرس وما ترجم من قواعد بلاغتهم أثراً ما في البلاغة العربية (٧) .

وإذن في البيان العربي عناصر ثلاثة : عنصر عربي ، وعنصر فارسي ، وعنصر يوناني ، ولا شك أن وأضعى البيان قد أفادوا من هذه العناصر الثلاثة إلى حد كبير .

(١) ٢٧٧ ج ١ ضحي الإسلام .

(٢) ٢١ مقدمة نقد النثر .

(٣) ٦ المرجع .

(٤) ٨ مقدمة نقد النثر .

(٥) ١١ المرجع .

(٦) ٧ المرجع .

(٧) يقول أبو هلال : وكان عبد الحميد الكاتب قد استخرج أمثلة الكتابة التي وسمها من المساند الفارسي فحولها إلى المساند العربي الخ .

ويقول باحث محدث : يستطيع الباحث أن يقرر ملائمتنا أن نشأة البلاغة كانت عربية ؛ لكنه لا يستطيع أن يذكر أن المنصر الأجنبي قد اتصل بها فأخذ يؤثر في تطورها ويعدها عن الطريقة الأدبية العربية وسيطر عليها ؛ حتى إذا أشتقت سلطان هذا المنصر صارت فلسفة خالصة على يدي المسكاكى وأصحابه (١) .

- ٤ -

ويعد ، فإن العلماء يختلفون في واضح البيان العربي اختلافاً كثيراً :
فيغضهم يذهب إلى أن واضعه هو الجاحظ ، الذي كان أول من اهتم به والفت في بحوثه ، وجع آراء كثيرة فيه في كتابه « البيان والتبيين » وهو الدكتور طه حسين (٢) ومن ذهب مذهبه :

ويروى البعض أن نشأة البلاغة قديمة وأنها سبقت القرآن وتطورت يده (٣) . ولا شك أن صاحب هذا الرأي لا يفرق بين البلاغة كفن وبينها كعلم ؛ فلما شاهد أن الأدب وخواصه الفنية موجودان من قديم ، وأما معرفة هذه الشخصيات ودراستها على أنها علم وقواعد فلم توجد إلا بعد القرن الثاني ، « فعلم البلاغة أصل من لا عدد للجاهلين به » (٤) ، « والبلاغة باعتبارها علماً دروساً ليست من علوم العصر الجاهلي إنما هي دراسة متاخرة في نشأتها » (٥) .

ويذهب باحث محدث إلى أن سببوبة أمام النحو العربي المتوفى عام ١٨٩ هـ هو الذي بدأ بوضع علم البيان والبلاغة (٦) .

(١) من ٥٢ البلاغة العربية في دور نشأتها - للدكتور سعيد نوبل ط ١٩٤٨ - مكتبة التهضة .

(٢) راجع ٢ و ٣٠ و ٣١ و مقدمة نقد النثر للدكتور طه حسين طبع لجنة التأليف ، و ١٧٠ البلاغة العربية في دور نشأتها .

(٣)

(٤) ٧٦ تاريخ البلاغة العربية - أحمد شعراوى - مخطوط بمكتبة كلية اللغة .

(٥) ٤ و ٥ مجلة الأدب والفن عدد نوفمبر ١٩٤٥ من مقال « خواطر في الأدب العربي » للأستاذ جب .

(٦) محاضرة القاتل الأستاذ أحمد مصطفى المراغي عام ١٩٤٢ .

- ٧ -

ويذهب كثيرون إلى أن واسع البيان العربي هو عبد القاهر الجرجاني المتوفى عام ٤٧١هـ، ومن مؤلّمه صاحب الطراز: على بن حمزة الملوى، قاله في مقدمة كتابه ما نصه:

وأول من أحسن من هذا الفن قواعده، وأوضح برائيته، وأظهر فوائده ورتب أقانيمه: الشيخ العالم التحرير، علم المحققين، عبد القاهر الجرجاني.

ويذهب آخرون إلى أنه السكاكني، وأنه هو الذي استند بشرف وضع علم البيان؛ ويختفي كثيرون بين ينسبيون القول بذلك إلى ابن خلدون، لأن ابن خلدون قال في مقدمة: « وأطلق على الثلاثة، عبد المحدثين، اسم البيان وهو اسم للصنف الثاني، لأن الأقدمين أول من تكلموا فيه، ثم تلاقت مسائله الفن واحدة بعد أخرى، وكيف فيها يعفر بن يحيى والجاحظ وقديمة وأمثالهم املاءات غير وافية؛ ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئاً فشيئاً، إلى أن محسن السكاكني زيدته، وهذا مسانته، ورتب أبوابه، على نحو ما ذكرناه آنفاً من الترتيب؛ والذكى كتابه المفتاح (١)، فابن خلدون إنما يعني أن السكاكني هو الذي ذهب مسائل البيان ورتب أبوابه، مع اعتقاده بأن البحث البياني قديم، وبالتالي في مسائله سابق على عصر السكاكني بقرن؛ فهو يعترف للسكاكني بميزة التقديب والترتيب لمسائل البيان العربي، ولم يعترف بأنه هو واسع البيان؛ وفرق كبير بين الرأيين عند النظر.

وفي رأينا أن عبد الله بن المعتز الشاعر العباسي المشهور المتوفى عام ٢٩٦هـ هو أول مؤلف في علم البيان والبلاغة، وذلك بتاليفه كتابه «البديع»، الذي هو أول عرض لمواضيعات علميّة في البيان والبديع، بتنظيم سهل جميل مع الشواهد والأمثلة، أما الجاحظ فلم يكن له هذا الشرف « لأن البيان والبلاغة منه أقوال مفرقة، وكلمات مروية، وآراء عامة؛ وإنما عبد القاهر فقد أتي بعده كثير من العلماء الذين أفاد منهم، وقبس من دراستهم؛ وإنما السكاكني فقد ثوّج نهج عبد القاهر مع شيء من التقليل وعمق الأفاده من المتعلق في دراسة البيان، ومع التحديد والتقييم والتبرير والتبيين بين بحوث البيان والمعانى».

اما ابن المعتز أول مؤلف في علم البديع فيه لا يحتاج إلى جدل، وأما أنه أول مؤلف في علم البيان، فلاته بحث التشبيه والاستعارة والكتابة في كتابه، وأن كان ذلك يوجه اتجاهي بسيط، وأما علم المعانى فليس لابن المعتز ولا لكتابه أثر فيه ... ونحن كذلك لا نستد ووضع علم المعانى إلى عبد القاهر

(١) ٥٥٢ المقدمة لابن خلدون - طبع التجاربة.

لأن دراسته له قد سبقتها دراسات كثيرة من أهمها دراسة : مؤلف نقد النثر ، والأدبي في الموازنة ، وقدامة في نقد الشعر ، والباقلانى في اعجاز القرآن ، وأiben سنان فى سر الفصحافة ، وأiben رشيق فى المعدة .. . وأذا كانت مباحث علم المائى عند هؤلاء غير ممكزة ، فنستطيع أن نقول إنها تدور حول عبد القاهر ، وإن كان أكثر اهتمامه وتفصيلاً ونقداً وتحليلاً : وهي - ومن ثمها دراسات البيان والبيان لم ترتق وتوضع فى الصيغة الأخيرة لها إلا بجهود السكاكي الذى فهم عبد القاهر فهما بعيداً ، ولقطع منه كل شاردة ، وأخذ عنه كل افكاره ، بل أخذ بعض الآراء التى يطبلها عبد القاهر فجعلها رأياً له ، مع الترتيب والتبويب والتفسير .

واليباحثون يعترفون باثر ابن المعتز وكتابه في دراسات البلاغة والبيان : يقول المستشرق كراتشفسكي الذي نشر المبديع لأول مرة في أوروبا ، في مقدمة التي كتبها بالإنجليزية للكتاب : مصوّراً آثاره في تاريخ علم المبديع : ان لهذا الكتاب آثاراً فاعلاً في تطور هذا الفرع من المعرفة الذي ألقى به ، وقل من ذكر في موضوعه ما يدعنه تأثيراً في الأجيال التي تلته ، بل نجد أن يجدد الإنسان في كتاب مسألة أساسية ليس لها أصل في كتاب ابن المعتز الذي نهى تماماً عددياً .

ويقول باحث محدث: قد اثر الكتاب في تاريخ علوم البلاغة كلها فقد كان البيع لذلك المصنف يشمل المعرف من الوان البلاغة كلها ، وقد تحدث ابن المتن فيه عن الاستعارة والتشبيه والكتابية ، ولا تستطيع الحكم على مقدار ابتكاره في هذه الفنون والمحاسن . لكن التشبيه والاستعارة والتعرير و الكتابية ، قد يقتبس بها ، والذاهب إلى الكلام يقتول عن المباحث ، ومهمها يكن من شيءٍ فلو لم يكن له من جهد سوى التنظيم والجمع لكتابه .

وعلى أي حال كذلك لا يغضن من شرف عبد القاهر ومتذلته في البيان العربي ؛ فانتا لا تشك في أن عبد القاهر أحسن مدرسة بيانية ، قوامها التلوك والعمق للتدبر والفهم والتحليل للأدب ، والوازنة بين شعث ما ثوراته ، وهو الذي عرض لمسائل البيان بالتفصيل والاطلاع والتحليل والتثليل ، وأفاد منه جميع من أتى بعده من رجال البيان والملاحة .

يقول كاتب (١) : استقر بين العلماء والأدياء ، ليس ابن خلدون ، أن الإمام عبد القاهر الجرجاني هو مؤسس البلاحة العربية ، وأول من أقام

(١) هو الأستاذ رياض هلال من كلمة نشرها بمجلة الازهر .

عدها ، ووضع لها الصور والاعلام ، وأخذ بضميتها ، واناف بها على اليفاع
ومن لها رسوما وقوائين ترجع عليها ، يأسلوب لا يقوم بقصاصته لسان ، قال
السيد يحيى بن حمزة الحسيني صاحب « الطراز في علوم حقوق الاعجاز »
في فاتحة كتابه هذا ، وهو من هو طبعا وفضلا : « وأول من أحسن من هذا
الفن قواعده ، وأوضح براهيمه ، وأظهر فوائده ورتب افانيته ، الشیخ العالم
التحریر علم الحقین عبد القاهر الجرجانی . فلقد كف قيد الفراغ بالتقيد ،
وهو من صور المشكلات بالتصوير الشديد ، وفتح آزاهره من إكمالها ، وفتق
ازاهره بعد استفلاطها واستبهامها ، وله من المصنفات فيه كتابان : أحدهما لقبه
بدلائل الاعجاز ، والأخر لقبه أسرار البلاغة ، ولم اتف على شيء منها مع
شقيق يحبهما ، وشدة اعجابي بهما ، إلا ما نقله العلماء في تعاليتهم
منها » .. وغير صاحب الطراز من يعتقدون أن عبد القاهر هو مؤسس فن
البلاغة كثير ، وأن لهم من كتابيه : أسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز ، دليلاً اى
دليل ، وجملة ليس يعدها من حجه ، تصحيح ما ذهبوا اليه ، وتقتضي كل جاحد
مباهت ، ولكننا نتسائلهم : هل ابتكر عبد القاهر كل هذه المباحث ابتكارا ،
وارتجلاها ارتجلانا ، فهو ابن يجدتها وابو مذرها ؟ وانا لتفقديم من الاجابة
فقول : ان عبد القاهر وجد لمن سبقه من العلماء والأديباء بعثوا واراء في
البيان العربي متفرقات في الثناء كتب النقد والأدب ، فحمد فيها ولم شتموا وجمع
شتانها ، وضم الالف الى اليه ، والنسبب الى نسيبه ، فكان له من كل ذلك
مجموعة ضمتها كتابيه : أسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز ، وهو ثانية يقر
بالفضل لأربابه فيصرح بأسفارهم ، وقاربة ينقلهم ويضرب عنهم سفحا ، فيطرن
بعض الناس ان البحث من بذات افكاره وكذا ذهنه وعرق جبيشه ، ولو علموا
ترجموا كل شيء الى اربابه ، واقروا الآخر في تصايبه . ولسنا نذكر ان
عبد القاهر قد ابتكر في البيان العربي وارتجل في الباحثة ، كما لا تجده انه
فصل بعض ما اجمله العلماء قبله ، وشرح بعض ما قالوه ، وتنوع الامثلة ،
واثني بأعداد من الشعر والنشر متواترة ؛ ولكننا نذكر ان يكون هو مؤسس فن
البلاغة برغم ما يقوله صاحب الطراز ؛ وعبد القاهر نفسه يقر بأنه أفاد من
تقدمه من كثيرة في البلاغة والفصاحة ، وينهى على الناس عدم تدبرهم لكلام
العلماء وانعامهم النظر فيه ، حتى ادخلوا الضيم على علم الفصاحة والبلاغة
فيقول في « دلائل الاعجاز » (١) : اعلم انك لا ترى في الدنيا علاما قد جرى الامر
فيه بيدينا وآخيرا على ما جرى عليه في علم الفصاحة والبلاغة ، اما البدي » فهو
انك لا ترى نوعا من انواع المعلوم الا اذا تأملت كلام الاولين الذين علموا
الناس ، وجدت العبارة فيه اكثر من الاشارة والتصريح اغلب من التلويع ،

والأمر في علم الفصاحة بالضد من هذا ، فما ذكره إذا قرأت ما قاله المعلماء فيه وجدت جله أن كله رمزاً ووجهاً ، وكتابية وتعويضاً ، وأيامه إلى الغرض من وجه لا يفطن له إلا من غلغل الفكر وائق النظر ، ومن يرجع من طبعه إلى المية يقوى منها على القائمين ويصل بها إلى الخفي ، حتى كان يصلح حراماً أن تتحول معانיהם سافرة الأوجه لا نقاب لها ، وبإدبار الصفة لا حجاب دونها .. .
واما الأخير فهو إنما لم ذكر المقلاد قد رضوا من أنفسهم في شيء من العلوم أن يحيطوا كلاماً للذولين ويتدارسوا ويكلم به بعضهم بعض من غير أن يعرفوا له معنى ويقولوا منه على غيرهم صحيح ، ويكون عندهم أن يسألوا عنه بيان له وتفسير ، الا علم الفصاحة ، فما ذكر ترى طبقات من الناس يتناولون فيما بينهم القاظاً للقدماء ، وبهارات من غير أن يعرفوا لها معنى أصلاً ، أو يستطاعوا أن يسألوا عنها إن يذكروا لها تفسيراً يصح .. . وسترى إن عبد القاهر قد اشرف في دعوه أن العلماء لم يتجاوزوا التلميذ إلى التصريح والاشارة إلى العبارة في مسائل البلاغة والفصاحة : وأنه في كثير من المباحث لم يزد على ما قالوه إلا في الأمثلة والشواهد .

- ٦ -

وقد عرض الاستاذ احمد المراغي في كتابه « بحوث وأراء في البلاغة » عبد القاهر : ذكر رأى عبد القاهر في الفصاحة والبلاغة وهل يرجحان الى المقطوال الى المعنى (١) ، ثم ذكر اثر عبد القاهر في بناء البلاغة العربية وقال : وفي الحق أن كتابيه يعدان أول المؤلفات العلمية في هذه الفنون ، بما اشتلا عليه من التحقيق العلمي للمسائل التي تناولها في عرض كلامه ، وبما سلك فيما من نهج أدبي مقترب بصدقية منطقى يدىع : مع بقاء الأسلوب الأدبي ظاهراً لم تشبه هجنة ، فلا غرو أن قبل أن يكتب عن هذه الفنون عبد القاهر الجرجاني . كما أن من الحق أن يقول أيضاً : إن عبد القاهر يوضعه هذين الكتابين أوجد علوم البلاغة كاملة فكل من جاء بعده قبس من ثور علمه ، وما لم يتعرض له من مسائلها وزاده فيها بعده ، فهو قشور ، تركها لا يضر الأديب (٢) *

(١) ص ١٠ - ٣٨ المراجع ط ١٩٤٠

(٢) ص ٥٨ المراجع ، ويقول في موضع آخر عن عبد القاهر : « أحب ما وفات هذا العلم ، وانتا فيه نهضة جديدة ، واستعار شيئاً من التحقيق العلمي والبحث الفلسفى لاثبات مسائل هذا العلم ، باسراف حيناً واقتصر حيناً آخر ، مع بقاء الصيغة الأدبية سليمة لا يمتنعها وهي ولا شك (ص ٦٠ المراجع) * »

- ١١ -

وقال في موضع آخر : وفي الحق أن هذا البيان كان ولد احتكاك العرب والجم الذين حذروا لفاظهم ولغة العربية ، ونتائج ازدواج هاتيه اللغات بعضها ببعض . ولم يكن بالعرب البحث الذي اتجه القراء العربيه الخالصة ، فتاريخ الأدب حافل باسماء الأدياء والكتاب من الموالى الذين كان يشار إليهم بالبنان في رقى الأدب » (١) *

ويقول عن كتابي عبد القاهر : أسلوبه فيهما يجمع بين الطريقتين : ففيه قوة الجيل المنطقى ، وله المعرفة باصطلاح الفلسفة والمتكلمين ، الى الروح الأدبية والقدرة على النقد وصنعة الكلام ، الا أن أسلوبه في دلائل الاعجاز أميل الى طريقة المتكلمين ، بينما تراه في « أسرار البلاغة » عربي الأسلوب ، وفي تعبيره رونق وطلاؤ ، مع سهولة وجزالة ، وعذوبة وسلامة الى قوة الشكيمة في الحجاج ، و تمام افائه في الجدال ، مع ميل الى الأسلوب والبساط فيما يريد اثباته من القضايا ، واحالة للمخاطب على الذوق وادراك الجمال الفنى بنفسه ، و يصل الى ما قد وحصل الى ادراته بعد طول البحث والاختيار » (٢) *

ويقول الدكتور مه حسين في مقدمة كتاب نقد النثر ما نصه : لم تلق « خطابة » ابن سينا ولا « شعره » - وها شرح وتحليل لفلسفة ارسطو ولأرائه في الخطابة والشعر ، وقد جعلها ابن سينا من فنون كتابه « الشفاء » - قيلا لدى الفلسفه الذين جاءوا من بعده *

على أن مجهد ابن سينا لم يكن ليذهب عينا ، لقد عرب كتاب « الخطابة » - لارسطو - إذا صبح هذا التعبير ، وجعله في متناول الفكر العربي ، وبذلك هي إسباب التوفيق بين البيانيين : العربي ، واليونانى - الذين عاشا متجاورين دون أن يتلاقيا ويتالقا *

وقد تحقق هذا التوفيق في القرن الخامس على يدى عبد القاهر الجرجانى (٣) :

صنف عبد القاهر كتابين يعتبران يحق انفس ما كتب في البيان العربي مما : أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز *

(١) ٥٥ المرجع *

(٢) من ١٢٩ و ١٣٠ المرجع *

(٣) من ٢٨ مقدمة نقد النثر للدكتور مه حسين طبعة سنة ١٩٣٩ بالقاهرة *

فمندما نقرأ أولهما تكاد تجزم بأن المؤلف قرأ الفصل الذي عده ابن سينا للعبارة ، واته فكر فيه كثيرا ، وحاول أن يدرسه دراسة تقدّم وتحمّص ، والواقع أنه درس « الحقيقة » و « المجاز » ، فتبين له أن تصور القدماء للمجاز مضطرب غير مستقيم ، ما يتناقض بهمه ، ويجلو غامضه؛ وقسم المجاز إلى نوعين: لغوي وعلقي؛ ثم قسم اللغو إلى قسمين: أحدهما يقوم على التشبّيحة وأما الآخر فهو عبارة عن كل لفظ استعمل مكانه لفظ آخر لصلة بينهما ..

وبعد فنحن نعرف مجاز أرسطو الذي يجعل اطلاق اسم الجنس على النوع ، وأسام النوع على الجنس ، واسم الجنس على نوع آخر: « مجاز أرسطو هذا هو ما يسميه عبد القاهر « مجازاً مرسلـاً » . وأما المجاز الذي يقوم على التشبّيحة والذى يسميه أرسطو « صورة » فيسميه عبد القاهر « استماراة » ، وهو لفظ كان القدماء يطلقونه على المجاز بكافة أنواعه . ولكن يقر عبد القاهر مذهبة هذا ، فإنه يتعمق في دراسة المجاز والتشبّيحة تعمقاً لم يسبق إليه ، ولكن من غير أن يخرج بحال عن الحدود التي رسّمها أرسطو . أما المجاز العقلي فهو من ابتكار عبد القاهر ، ويوضح أن تسمية « المجاز الكلامي » لأنك إذا قلت مع عبد القاهر « أتيت الرابيب البقل » ، فهذا مجاز ، لأن الرابيب لا ينبع البقل ، ولكن الذي ينبعه هو الله تعالى . وينتفق عبد القاهر جهداً غير قليل في الدفاع عن مجازاته هذا وفي تبيينه من المجاز المعروف . ولكن لا شك أن الأساس الذي يبني عليه هذا التشبّيحة محل للنظر (١) .

اما كتاب «دلائل الاعجاز» فتحاول فيه عبید القاهر ان يثبت اعجاز القرآن ، وهو أمر جعله علماء الكلام الغرض من البيان من عهد بعيد ، ولكن يصل عبد القاهر الى هذه النهاية ايد بحثه ينقض نظريتين قديمتين :

احداها : تجعل جمال الكلام في اللفظ .

والآخر : يجعله في العنبر .

ثم يتنهى به البحث الى أن الجمال ليس في اللون ولا في المعنى ، وإنما هو في نظم الكلام . أى في الأسلوب . ثم يحاول بعد ذلك أن بين فيه يكون جمال الأسلوب وروعته . فيدرس الجملة بالقصص : متقدمة ومتصلة ؟ ويضطره البحث الى الكلام على أهمية حروف العطف ، وقيمة الإيجاز والاطناب ، وبذلك يضع أساس « علم المائى » الشهور .

٢٩) ص المراجع السابق .

ولا يسمى من يقرأ « دلائل الاعجاز » إلا أن يعترف بما ثقق عبد القاهر من جهد صادق خصب في التأليف بين قواعد النحو العربي وبين آراء أسطرو المائمة في الجملة ، والأسلوب ، والفصول . وقد وفق عبد القاهر فيما حاول توفيقاً يدعو إلى الاعجاب . وإذا كان الجامحط هو واضح أساس البيان العربي حقاً ، فعبد القاهر هو الذي رفع قواعده وأحكم بناءه (١) .

البلاغة العربية في العصر الحديث :

تعددت المذاهب الأدبية في العصر الحديث ، وتعددت معها في ازدهار المعاصرين المذاهب البيانية ، ودعوا دعوات كثيرة حول البلاغة ، دعوا البعض إلى الاهتمام بالمعنى ، وإلى مذهب الالتزام في الأدب ، دعوا آخرين إلى العناية بالشكل والمصورة ، دعوا الزيات إلى التوازن بين هذين العنصرين (٢) ، دعوا سلامة موسى في كتابه « البلاغة العربية » إلى العامية والتي تيد البلاغة القديمة التي سماها بلاغة الانفعال والعاطفة ، داعياً إلى ما سماه بلاغة المنطق ، أي أن يكون النطق لا اللغة أساس البلاغة .

والف زيات كتابه « دفاع عن البلاغة » رأى فيه أن البلاغة العربية تلاقى ثلاثة صعوبات هي : الصحافة ، والسرعة ، والتقطف أي تقطف بعض ذوى الجاه على الأدب ، وحدد البلاغة بأنها ملحة يؤثر بها صاحبها في عقول الناس وتقويمهم من طريق الكتابة أو الكلام ، ورأى أن البلاغة لا تقتصر بين الفكرة والمصورة ولا بين الفكرة والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل ، ورأى أن الفكرة والمصورة والأسلوب كل لا ينجز ، وأن الأسلوب مركب من متصارف هي الأفكار والمصور والمعانى ، وذهب مذهب انصار المصياغة : ورجع صفات الأسلوب إلى ثلاثة : الأصلية ، الوجازة ، التلازم أو الموسيقية .

والف الاستاذ محمد عرفة كتابه « مشكلة اللغة العربية » حيث رأى فيه أن نعمل على أن تكون العربية هي لغة البيت والمدرسة والشارع عن طريق بحث ملكتها في نفس التلاميد الصغار بالحقظ للنصوص الأدبية المختارة ، لا بالاعتماد على القواعد الجافة .

والف احمد الشايب كتابه الأسلوب الذي دعا فيه إلى العناية بدراسة الأسلوب وخصائصه ، ودراسات الأسلوب تبدأ بدراسة الكلمة والمصورة

(١) من ٣٠ من المرجع نفسه .

(٢) ٤٢ وهي الرسالة .

والجملة والفقرة والعبارة ، وعلم المعانى عنده يدخل فى بحث الجملة ، وعلم البيان وأغلب علم البديع يدخل فى باب الصورة . كما دعا إلى دراسة الفنون الأدبية من قصة ومقالة ورسالة ومحاضرة وتاريخ ، وجعل صفات الأسلوب هى : الموضوع ، الفقرة والجمال ، وجراه قليلاً طه حسين وغيره فى كتابهم المدرسى البلاغة الواضحة .

و جاء أمين الخوازى كاتبه « فن القول » محاولة منه لمنهج بلاغى جديد ، وفن القول عنده هو البلاغة بلغة العلماء القدامى والحدثين ، وفي هذا الكتاب يدعو إلى دراسة فن القول وعلاقته بعلوم الفلسفة والجمال والنفس ، وتبعد الدراسة بالكلمة ، ثم الجملة ، ثم الفقرة ، ثم تدرس صور التعبير التى قسمها قسمين :

- ١ - صور الإيصال المعنى وهى : التشبيه - الاستعارة - المجاز - الكناية - التجريد - القلب - أسلوب الحكيم - المبالغة - تأكيد الدخ - التبييج - التهكم - التجاهل - الفكاهة .
- ٢ - صور التعبير المطللة من رمز و أيام والغافر و تورية واستخدام و اتساع .

ثم تدرس البلاغة في القطعة الأدبية ، ثم البلاغة في الأساليب الفنية في الأدب .

وقد سار الأزهر على منهج البلاغة القديمة ، وعلى هذا المنهج الفت كتب كثيرة في البلاغة ، منها : البلاغة الواضحة للجاري ، والبلاغة العربية لخفاجي ، والبلاغة المعنى ، والبلاغة للمرااغى ، وغيرها .

وقد حاول الإمام محمد عبد تجديد دراسات البلاغة من قبل في الأزهر يتدريسه لكتابي عبد القاهر (الأسرار ، والدلائل) .

تحوبلاغة جديدة :

وحين نقدم هذا الكتاب ، فإننا نريد أن ندرس مواضع الاتصال والانقسام في البلاغة العربية بين التقديم والم الجديد .. ذلك أن البلاغة الجديدة ترتبط بخطى التقديم الإنساني المريعة ، والتحكم في العلاقات المهاشة .. ولذلك فإن هذه البلاغة الجديدة تعبر عن حاجة المصر إلى لغة اتصالية جديدة .

وليس البلاحة الجديدة المنشودة منفصلة عن النظريات القديمة ، كما أنها ليست عرضاً لتاريخ العلوم التطبيقية على المجال الإنساني ، ولكنها استجابة شرطية ، لما أقامته اللغة الفنية من طاقات جديدة ، ولعل برنارد شو « وهو قرين « ويلز » في أدب الأجيال الماضية ، من الرواد الذين فطنوا أيضاً إلى وجوب البحث في التراكيب اللغوية ، التي يسابر الهجاء مقتضيات الحياة ولكن يصور في الوقت نفسه الواقع اللغوي ، الذي لا تحكمه الحروف الهجائية حكاية تامة ، فالاختلاف بين الجماعات والطبقات ، على المخارج والأصوات ، شائع وبيهق ولابد من الوصول إلى رموز ، في حروف الطباعة والآلات الكاتبة ، تصور ذلك الواقع اللغوي ولابد في الوقت نفسه من الاتساع على الاختزال ، لفادة من الوقت الضائع سدى في الاملاه – والتدوين والطباعة . وفقط « شو » (١) أيضاً إلى أن رجال الأعمال مالوا عن الأوامر المدونة إلى الأوامر المكتوبة صوتياً ، أو المسجلة براوها الصوتى وكاد يمس ما استشعرت الحياة أنها في حاجة إليه ، وهو بلاغة جديدة .

وقد اهتم صدرنا أخيراً بهذه البلاحة الجديدة ودراسة اللغة ذاتها وتأثيرها في تنظيم حياتنا اليومية ، بحيث إن الأمر – كما يقول ماكلوهان – ينتهي بالمجتمع إلى أن يتباهي صورة أو صدى لغوي لقواعد اللغة . ويقول : إن هذه الحقيقة أفلقت الحزب الشيوعي الروسي قلقاً شديداً . فيالتسمية لجدلية ماركسية مرتبطة بذكرة أن التكنولوجيا الصناعية للقرن التاسع عشر هي أساس زوال الطبقات « لا شيء يبدو أكثر هدفاً من الفكرة التي تتقول بأن الوسائل اللغوية تستطيع تشكيل التطور الاجتماعي ، على الأقل بقدر ما تفعل وسائل « الانتاج » .

ويذهب إلى أن الأشخاص الذين يديرون الوسائل لحساب أصحابها ، لهم ميل غريب للاهتمام ببرنامجه أو بمحاتوى الراديو أو المصحف أو الأفلام . أما أصحاب الوسائل فينتصبون اهتمامهم على الوسائل في ذاتها ، اتهم بيهتمون على الأخرين « برغبات الجمهور » وهي صيحة عامّة غامضة للغاية . إن أصحاب الوسائل يدركون الوسائل كثرة ، ويعلمون أن هذه المفرة لا تهمهم « بالضمون » أو الوسيلة داخل الوسيلة .

وعندما يبات الصحافة تدق على كل أبواب اهتمام الناس ياترائهم بعد أن أدى البرق (التلفراف) إلى إعادة بنيتها ، قضت الجريدة على المسرح تماماً . كما فعل التليفزيون بعد ذلك نفس الشيء مع المسينا والتوادي الليلية . وقد

(١) دكتور عبد الحميد يوسف : « اللغة الفنية » – عالم الفكر – الكويت .

كان ليرنارد شو من الذكاء والقدرة التحليلية ما مكنته من المقاومة فوضع الصحافة على خشبة المسرح . واستخدم في المسرح المجالات العزيزة على المصحف وأسلوبها في الاهتمام بكل ما هو إنساني ، على نحو ما فعل بيكتن في الرواية . أما السينما فقد حل محل الرواية والصحافة والمسرح في وقت معاً . ثم جاء التليفزيون وأعاد المسرح الشامل إلى الجمهور .

إن الاحساس بالحاجة إلى لغة فنية جديدة أو بلاغة جديدة قد اشتد بعد ظهور السينما الصامتة ، إذ كان من المفروض أن يتحول المسموع إلى منظور ، وإن يستثنى التطرق عن الكلام ، بما يشاهده من الاشارات والحركات من الصور ومن الرموز . ولقد حاول هذا الفن الصامت أن يوصل البلاغة الجديدة الخاصة به ، فلكل قسمة من القسمات معنى ، ولكن إيماءة دلالة ، ومع ذلك فإن سياق الحركات وعدم القدرة على معاودة التأمل في الصورة المتحركة ، قد جعل بلاغة السينما الصامتة قاصرة عن الوفاء ب الحاجات المشاهد ، إلى استخلاص المعانى بتقاصيلها ، والمشاعر بايصادها ، ومن أجل ذلك اقترب التشوين بالصورة المتحركة . . . اقترب بها شرحاً وتوضيحاً واعلاماً . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد أحسن القرامون على الصورة المتحركة الصامتة ، بيان جماهير المشاهدين لا يقعنون بالنظر على هذا التشوين ، وكان من الضروري أن تتوصل البلاغة الجديدة المنظورة بالكتابية ، سجل الحوار لكي يستكملي المتذوق متعته من هذه البلاغة الجديدة (١) .

ذلك لأن الاحساس بوطأة الصورة الصامتة واقراراتها بالكلام بدون ، قد خفت ، عندما تم التزاوج بين الصورة والصوت ، وظهرت السينما الناطقة ، وتحول تسجيل الصورة من الأشكال والرموز والحركات والأمارات ، الدالة بداتها على المشاعر والواقف ، إلى اتجاه شيء واقع ، لأن الفن الجديد يتوصى بالصور والصورة معاً ، ولم يجد المتنوّق في حاجة إلى القراءة بصبره ، ولم يعد كذلك مطابلاً بيته وبين نفسه بتفسير لتفاصيل الحركة وأصبح مثله مثل المشاهد لسردية ، بيد أن السينما الناطقة لم تستكملي مقومات بلاغتها الجديدة في المراحل الأولى ، لأنها لم تتخلص تماماً من أسلوب الصورة الصامتة ، ولأنها استعانت بلا روية ، أسلوب التمثيل المسرحي ، في الحركة والحوار ، وفي جمود المنظر وثبات المشهد أمام النظارة ، كما أن المرحلة الأولى من البلاغة السينمائية - إذا صرخ هذا الوصف - حاولت أن تفترض وسيلة العرض للأغانى وبعض الصور الطبيعية ، فيما يشبه « الألبوم » (٢) ، أى أنها كانت مستقلة أو شبه مستقلة ، واتخذت مكاناً من السياق برابطة غير عضوية .

(١ ، ٢) المرجع المعايق من ٥٨ .

ويبدو أن الباعث على اتخاذ هذه الطريقة هو الاقادة المزدوجة من العمل الفنى ، فهو يوحى بالتكامل فى سياق الفيلم ، ويتمكن فى الوقت نفسه ان يتذكر ، لكن يتذوقه جمهور اخر ، لا علاقه له بالقصة السينيمائية ، ومن المهم ان يسمح هنا ان البلاغة الجديدة فى تلك المرحلة ، لم تكن قد اكتشفت بعد ان العمل السينمائى يمكن ان يصبح فنا مستكملا لفومات اللغة الفنية ، وان « السيناريو » عبارة عن كائن عضوى حى ، له وحدته ومناهج نموه وله مساره المتكامل ، الذى لا يعرف الاجزاء .

ويذهب ماكلوهان الى ان الوسائل ، كامتداد لحواسنا ، تقوم علاقات جديدة ليس فقط بين حواسنا ، ولكن فيما بينها هي ايضا ، عندما يؤثر بعضها فى بعض . فالجنس الاذاعى المسموع غير شكل نشرة الاخبار بنفس الطريقة التى غير بها شكل الصورة فى الجنس السينمائى الناطق . كما ان الجنس التليفزيونى احدث تغييرات جذرية فى برامج الجنس الاذاعى المسموع ، وفي شكل الرواية التسجيلية او الوصيفية .

والشعراء والرسامون هم الذين يستجيبون استجابة فورية لوسيلة جديدة كالراديو والتليفزيون ، فالراديو والجرامافون والشريط المسجل اعادت لنا صوت الشاعر باعتباره بعده هاما فى التجربة الشعرية . وعادت الكلمات مرة اخرى لكي تصبح نوعا من الرسم بالاشياء . ولكن التليفزيون بما يتطلبه من مشاركة عميقة ، ادى بالشعراء الشسبان فجأة الى ان يقسموا انفسهم فى المقاهى والحدائق العامة وفي اي مكان . ظهرت التليفزيون جعلهم يحسنون فجأة بالرغبة فى الاتصال الشخصى بجمهورهم .

ويرى ماكلوهان كذلك ان الفنانين اليوم فى مقدورهم تصنيف وجبتهم من الوسائل التي يصنفون بها برنامج مطالعاتهم . فالشاعر بيتس Yeats استغل الى ابعد حد ثقافة الفلاحين الثقافية فى تبيينه مؤثراته الأدبية . والاستخدام الذكى لأشكال السينما وموسيقى الجاز ، اتاح لاليوت Eliot فى وقت مبكر ، ان يؤثر تأثيرا قويا . فقصيدته « اختيبة حب لالفرد بروفرك » تستند معظم قوتها من تداخل شكل السينما ولغة الجاز فى بعضها البعض . وقد وصل هذا النزج الى قمة التأثير فى قصيدة « الأرض البياب » ولم يقتصر فى قصيدة بروفرك على استخدامه للشكل السينمائى غراف ، ولكنه استخدم الخط الاسامى لاقلام شارلى شابلن ، على نحو ما فعل جيمس جويس Joues فى « أوليس » شخصية بلوم Bloom تقليا جويس تقليا سريحا من شابلن (وقد سماه « شورقى شابلن » فى قصيده منحومة الفيتنيجان . او « المقطعة القليلة » وشابلن بيوره . مثلا مثل شوبيان الذى وافق البيان على اسلوب البالى) . قد اكتشف مزيجا رائعا من البالى والسينما حيث يتناول تحظر البطلة والنشوة

البافلوفية - نسبة إلى راقصة الباليه المشهورة « باللورا » - نفسه وفق بعض خطوات الباليه التقليدية وبين الإيماء المسينائي حيث تتلاقي في نفس عالمها ، السخرية والفنانية على نحو ما نراه أيضًا في « بروفروك » و « أوليس » و الفنانين في مختلف المجالات هم داشوا أول من يكتشف كي فسيكون لوسيلة ما أن تستخدم أو تطلق طاقة وسيلة أخرى . وبشكل أبسط هي الطريقة التي استخدمها الممثل الفرنسي شارل بوابيه ليعد مذبحه الفرنسي الأمريكي .

فالكتاب المطبوع شجع الفنانين على إعادة كل إشكال التعبير ما يمكن إلى الحد الوصفي والروائي الأوحد للكلمة المطبوعة . وإن ظهرت وسائل الاتصال الكهربائية قد حرر الفن على الفور من هذا القيد خالقًا عوالم بول كلني Klee وبيكاسو ، وبراك Braque ، وايزنشtein Eisenstein وأخوان ماركس وجيمس جويس .

وعندما طبقت طريقة السيناريو ، أو التقارير المصورة ، على المقال الافتتاحي الاكتشفت صفاتة المجالات شكلاً هجينًا أتى عصر الخبر . فالمنهجين ، أو التقاء وسائل اتصال - كما يذهب إلى ذلك ماكلورمان - هو لحظة صدق واكتشاف تؤدي إلى إشكال جديدة . ذلك أن التوازن بين وسائلين يمسكنا عند حدود الأشكال ويتنزعا من التبادل الترجمي . فلحظة تلاقهما تحررنا وتخلصتنا من الخدر والرعدة اللذين تفرضهما هذه الوسائل على حواسنا .

ولقد بالغ البعض في تأثير الصورة والصوت على الكتابة والطباعة ، وتخيلوا أن عصر التدوين على النهج القديم قد انتهى ، وأن اللغة المسائية تستعيد مكانتها ، وتعود إلى طبيعتها المجوهرة ، بكل ما في الصوت من ثبر وایقاع ، وأن الصورة تتخد بدورها مكانها ، إلى جانب اللسان . ويدرك بعض الدارسين (١) أن هذه الجارحة كانت أكثر وسائل الاتصال مرونة ، لأنها تستطيع أن تسجل الصور الحصبية على اختلافها . أن تحكم أو ترمي أو تشير إلى الصورة البصرية والشميمية والمذوقية ، إلى جانب الصور الصوتية بطبيعة الحال .

واستند المبالغون إلى اتجاهات ، ظهرت في واقع الحياة اليومية ، منها أن تسجيل الصوت أخذ يحل على الأيام ، محل الكتابة . وبرزت الأوامر الصوتية والرسائل الصوتية والرموز الصوتية أيضًا . وقيل إن هذه التسجيلات الصوتية كانت في بعض المحاكم الأجنبية ، مستندات لها نفس القيمة التي

(١) المرجع السابق من ٥٩ .

للمستندات الخطية . وأمان على تقوية هذه البلاغة الجديدة ، حتى في الحياة اليومية التقدم الباهر في أجهزة تسجيل الصوت ، وتطويعها لمحاجات الناس ، على اختلاف البيئات والظروف . وأصبح من المألوف أن يحصل المرء على مختارات من الشعر ، بصوت الشعراء الذين يدعونا ، تماماً كما يحصل على مثل تلك المختيارات مطبوعة في كتاب والهم في هذه الظاهرة (١) :

أولاً : أن الصوت البشري له من التأثير ما ليس للرموز المسجلة له ، أي كانت قوة الرمز ، وأيا كانت قدرة القارئ على تمثيل الصوت .

ثانياً : أن صوت الشاعر نفسه يحكي الخلجان النفسية وظلل المعانى ، التي لا تدبها القراءة ، ومن هنا ظهرت شخصية الشاعر ، بضمانتها الواضحة ، وبتأثيرها المباشر على المتلقين لشعره .

واستحدث الجنس الأذاعي المسموع أيضاً آثاراً حاسمة في عالم الفنون ، وغير من مناهج البلاغة والتقويم ، وأصبحت الأذاعة كالسينما تتمد على أساليب خاصة في الكتابة إليها ، مع فارق واضح بينها وبين الم Osborne المترددة ، من ناحية الجماهير التي تقييد من البلاغة الجديدة ، ذلك لأن السينما تشتبه بالمسرح ، من حيث أن الجمهور يحتشد في صعيد واحد لتلقى الفن والتفاعل معه ، أي أن المقلبة الجماعية تتقلب إلى حد ما على المقلبة الفردية ، ويقتضي ذلك توقيتاً محكماً للعروض ، كما يقتضي إطاراً معيناً وسياقاً زمنياً ، لا يتبعهتجاوزه إلا بالحد العقول . أما الأذاعة فالمستمعون إليها فرادى ، ولو اجتمعوا ، فقد أمكن اختاروها ولم تفرض عليهم ، ومنعنى هذه المقدمة أن الفرد تقلب على مقلبتة ، ولا ينور تسامعاً في المقلبة الجماعية لجمهور المشاهدين ، ولذلك يضم الإعلام الأذاعي بأنه موجه إلى أفراد ... أنه يختلف عن الخطابة ، ويختلف عن الحوار في المسرحية أو الميل ، مع الاعتراف بمعتقدات التحول من بلاغة لها قواعدها ، إلى أخرى لها شخصيات أخرى ، ففي هذه المراحل نجد أن الأذاعة تنقل مناهج المسرح والسينما في الأحاديث المباشرة والمحوار ، ولا تخالص من منصة الخطيب والمعلم ، بيد أنها تقييد من تجاربها ، مثلها في ذلك مثل أجناس الإسلام الأخرى ، وتنطلق من أسلوب الأجناس التي سبقتها ، ولاتزال تعاصرها ، وتتشبه بلاغة خاصة بها ، تلتزم أصولاً وقواعد ، تثمرتها طاقة هذا الواقع ، وطبيعة اللغة الإنسانية ، إلى جانب الرموز والمؤثرات والزخارف الصوتية الأخرى .

(١) نفس المرجع من ٦٦ .

ولا تستطيع أن تذهب إلى أن «الثليقيزيون» هو خاتمة المطاف بين هذه الوسائل الأعلامية ، وأنه صاحب الكلمة الحاسمة في البلاغة الجمودية – التي استشعرتها الحياة يفضل التقدم الباهر في الطاقة والحركة ، وانتاج الوسائل الاعلامية . والثليقيزيون يعتمد على ما يسمى بالشاشة الصغيرة ، وهو يجمع المسموع إلى المنظور ، أو يستقبل الصوت والصورة ، وأنه يفضل الإذاعة من هذه الناحية ويشبه السينما من ناحية النتهج . ولكنه يختلف عنها في أن ما يعرض يقدم إلى الناس ، حيث من ميئتنقل اليهم . ولا يكفيهم مشقة الانتقال إليه ، وهو يوجه إلى الأفراد في إطارهم الاجتماعي والقومي ، ولكنه ، بحكم ارتيازاته على المنظور في المقام الأول ، يقتضي من المتلقين له موقفاً سلبياً ، فهو ليس كالراديو ينقل الثقافة والاعلام حتى للعاملين في المصانع والمزارع والدكاكين .. إنه يتطلب استغرقاً كاملاً أو شبه كامل ، لتمت الافادة من عروضه . والثليقيزيون ، على خطره ومكانته ، قد حول الناس من الحركة إلى السكون ، وان غشيان المرح أو السينما انتماً يكون في وقت محدد ، وعادة الذهاب إلى دور التمثيل أو العروض السينيمائية وغيرها لا تتحقق إلا في مواقف الراحة . وليس في كل يوم ، ومع ذلك فهذا الجنس الاعلامي من أقوى الاجناس الاعلامية ، لأنه يتنزع الصورة والصوت ، ويوزعها على الناس في بيئته منسعة ، ولاتزال هناك خطوات فسيحة يخطوها الثليقيزيون ، حتى يقترب من طاقة الراديو على طبيعته ، وخاصة بعد استخدام أقسام الاتصالات . ومن ماضي هذا الجنس الاعلامي أنه يبعث كمالاً فتنة وادبية ، كان مقدراً له أن تضمحل وتتدوى ، وعلى رأس هذه الفتوح الرقص التعبيري ، كما أنه اتاح للتمثيليات المرحية والسينيمائية يمهدوا أوضع ، إلى جانب التمثيليات الخاصة به . ب بحيث يمكن أن يقال أن هذا الجنس الاعلامي قد استحدث بدوره بلاغة جديدة ، وهي وإن اقتربت من البلاغة السينيمائية إلا أنها تستهدف القلة الفردية ، أكثر من استهدافها للعقلية الجماعية (١) .

ويذهب جان بول سارتر (٢) الى انتها «تحصل بالناس حتى دون ان تزيد هذا الانتمال - بوسائل جديدة ، ومن نوايا انعكاس جديدة». - ثم يظل الكتاب بمثابة فرقه المنشاء التقليدة التي تتغطرف المقدمة وتحتها ، ولكن لدى الابد دعائين موجهة تذهب بعيداً وتقتصر وتزعم دون ان تكون هي الفاصلة في الامر . وأولها الصيغية ، والثانى الذي كان يكتب لمشرعة الافتقارى » - اذا اعطيت صيغة التقدى فى مجلة اميرورية - أصبحت له ثلاثة اجزاء الف قارىء » حتى لو كانت مقاوماته لا تساوى شيئاً . ثم يأتي بعد ذلك المذيع فقد منعت رقابة المسرح فى

٦٢ - نسخ المراجع من

٧٤ - (٢) الأدب (ترجمة الدكتور محمد غنيمي هلال) ص

انجلترا تمثيل مسرحية من مسرحيات سارتر : « جلسة سرية » ولكنها انتهت أربع مرات من دار هيئة الاذاعة البريطانية . وعلى المسرح للنفس لم تكن لتعوز - حتى في حال افتراض نجاح غير محتمل - الاكثر من عشرين الى ثلاثين ألف متفرج . فزوجته الاذاعة المسرحية لهيئة الاذاعة البريطانية - عن طريق الـ - يتصف مليون مستمع ، واخيراً دار الخيال (المسينا) اذ يتعدد عليها في العود للفرنسيسة اربعة مليون شخص . و اذا تذكرنا ان « بول سوداير » الناقد الدائم لجريدة الطامب Temps من سنة ١٩١٢ - ١٩٢٩ كان يلوم اندريه جيد في مطلع القرن العماي على شعره كتبه في مطبوعات محسوبة فان نجاح قصته « السيمفونية الريفية » في دار الخيال ، ي sis لنا ان تقىس الطريق الذي سادت فيه .

ويذهب سارتر (١) كذلك الى ضرورة لجوء الكتاب والادباء الى وسائل جديدة الى جانب الكتاب ، وهي موجودة سلفاً ، وهي التي وسّعها الامريكيون باسم الوسائل الجماهيرية .. وهي السبل الحقيقة لتحصيل على الجمهور الالكتروني : الصحيفة والمذياع ، ودار الخيال . طبعاً علينا ان نكتبه وساوسنا : فمن المؤكّد ان الكتاب اتبّع الشكل الادب واقسمها ، ومن المؤكّد ان علينا دائماً ان نرجع اليه . ولكن يوجد في ادب المذيع ولشريط الخيال ولمقابلات الرئيسية والاستطلاع الصحفى ولستنا في حاجة مطلقاً ، الى الهبوط بمستوى الادب في سبيل شعبية ، دار الخيال تتحدث اصلاً الى الجماهير ، وتحسّنهم عن الجماهير ومحسّنها ، والمذيع يفاجئ الناس على الماشة وفي اسرتهم ، في اللحظة التي هم فيها اضعف مقاومة ، وفي حال الاستسلام للخلوة استسلاماً يكاد يكون ضوياً ، والمذيع اليوم يستفيد من ذلك في خداعهم ، ولكن هذه هي اللحظات التي تمكن فيها الاهابة بحسن نيتها ، فيما اذا كانوا لا يقرون بعد - بدورهم ، كما تفرضه عليهم شخصيتهم ، او قد كفوا عن القيام به . ولذا في هذا الميدان قدم ، فعلينا ان نتعلم كيف تحدث في صور ، وكيف ننقل الانكار من كتابنا الى هذه اللهجات الجديدة .

ولا يقصد سارتر ان يدع المبدعون كتبهم ليحورها غيرهم . ويعرضها على لوحة العرض في دار الخيال او في اذاعات الراديو ، بل يجب ان يكتب هؤلاء مباشرة للخيال ولوحات الاذاعة . وفي ذلك ما يتبيّن لهم الابحاث للجمهور بمعطاليه الخاصة ، والارتفاع به قليلاً قليلاً ، حتى تكون لديه حاجة الى القراءة .

(١) نفس المرجع من ٢٩٩ .

و قبل أن نتخلص من هذا المعرض لما بين « الأجناس الاعلامية » والبلاغة الجديدة من وحدة ذرى لزاما علينا ان نطرح سؤالاً امام الدارسين والقاد ، وهذا السؤال هو : اذا كانت الأجناس الاعلامية تصدر عن لغة واحدة او أصل لغوى واحد تنطقه الحواس الإنسانية ، فهل من الممكن الان ترجمة اثر اعلامي يصطنع وسيلة خاصة به الى اثر فنى آخر . ويوضح اكثر نتساءل : هل من الممكن ان تترجم تحقيقاً صحفياً يتoss بـ الوسيلة الصحفية الى الجماهير ، الى برنامج اذاعي صين من طبيعة الوسيلة الاذاعية ؟

البلاغة هي الوسيلة :

وما تزيد ان تدخل في الاختلافات الكثيرة التي ظهرت في المدارس الفنية المختلفة بل يكتفي ان ذكر على ملاحظة واحدة تستحق الاهتمام ، وهي تتبع من وحدة الأجناس - الاعلامية ، ذلك ان سسائل الاعلام الجديدة قد بعثت مرة اخرى الفلسفة البلاغية القديمة وبخاصة ان الاعلام انتا يستهدف المخاطبين او المتكلمين بالدرجة الأولى ، اي ان اثر الاعلامي يقوم على مقومات الصناعة ، وهي تصميم العمل طبقاً لما قال سابق ، وبياناً تتنبأ هذا العمل ، على أساس من قواعد ممكمة ، تمنى اولاً ، واخيراً بعلاقة الجزء بالجزء ، - وعلاقة الجزء بالكل ، وثالثاً افتقار هذا العمل الى الات واجهزة لا يمكن ان يتحقق بدونها .

ان هناك جيلاً جديداً يبرز ، يجمع تجارب الكتاب والجرامقون والسينما والراديو والتلفزيون في صعيد واحد ، هذا الجيل يدرك ان - الكتابة ليست الا وسيلة لتحويل المسموع الى مرئي ، ثم اعادته بالاصطلاح او الرمز الى مرئي مرة أخرى ، وان القلم والقرطاس ليسا وسيلة ابداع ولكنهما الذين يhood التدوين والإبداع ، يتم بهما ويدوينهما على السواء ، وكذلك بقية اجهزة التسجيل وأدواته (١) . وفقط هؤلاء الطامحون الى تحقيق البلاغة الجديدة يأسلوب مغایر لأساليب الذين سبقوهم فهم يدركون ان الآخر الفنى كثيراً ما يتكامل في النفس ، قبل المشروع في ابرازه كلية متنبطة ، او حركة موقعة ، او مادة مشكلة . وعلى الرغم من ذلك فإن الإبداع يتم ايضاً في لحظات ابرازه الى العالم الخارجي ، اي ان الرسامين والمثالين والإبداع من يفكرون باتامله او فرشاته او قلمه . وما اكبر الإبداع الذين تنتشر إثارتهم ومشاعرهم على

(١) دكتور عبد الحميد يونس : المرجع السابق من ٦٢ ، ٦٣ .

طرف السلام والذين ينشئون الصور الفلسفية والقصص ، وهم يدقون بآرائهم على الآلة الكاتبة ، وكذلك يصنع الكثيرون من الرسامين والمثالين والموسيقيين . وهذه الحقيقة هي التي دفعت المفكرين عن البلاغة الجديدة ، المكافحة لعصر العلم والتكنولوجيا إلى محاولة جريئة هي أن يتوحد التأليف والإخراج والإداء .. وإذا تعدد توحيد هذه المراحل في شخص واحد ، فمن البسيط توحيدها في إطار زماني مكاني واحد (١) .

وقد أطلق ماكلوهان عبارة « المعرفة التطبيقية » على الثورة الطويلة التي حاول بها الإنسان أن يترجم الطبيعة إلى فن .. « تطبيق » يعني أنه متترجم أو متقول من نوع الشكل المادي إلى شوّع آخر ، ويدعى إلى أن « مضمون » وسائل الإعلام لا يمكن النظر إليه مستقلاً عن تكنولوجية الوسائل الإعلامية نفسها .. المكافحة التي تعرض بها المؤسسات الإعلامية الموضوعات والجمهور الذي توجه له كلها يُؤثر على ما تقوله تلك الوسائل . ولكن طبيعة وسائل الإعلام التي يتصل بها الإنسان تشكل المجتمعات أكثر مما يشكلها مضمون الاتصال . ويعرض ماكلوهان أربع مراحل تعكس في تصوره التطور الإنساني وهي : المرحلة الشفوية ، ما قبل القلم ، أي المرحلة الفلبية ، ثم مرحلة الكتابة الخطية ، ثم عصر المطباعة ، فعصر وسائل الإعلام الإلكتروني . وطبيعة وسائل الإعلام المستخدمة في كل مرحلة تساعد على تشكيل المجتمع أكثر مما يساعد مضمون تلك الوسائل على هذا التشكيل . وهذا الأسلوب في دراسة التطور الإنساني ، ليس أسلوباً مبتكرًا ، فقد رأينا تقسيمه ويلز وتصوره لعامل التطور . على أن ماكلوهان يذهب إلى أن التغيير الأساسي في التطور الحضاري منذ تعلم الإنسان كيف يتصل ، كان من المرحلة الشفوية إلى السطورية ثم إلى الشفوية مرة أخرى .

ويرفض ماكلوهان رأي نقاد الإعلام الذين يدعون أن الوسائل الجديدة ليست في حد ذاتها شراً أو خيراً ، ولكن الطريقة التي تستخدم بها هذه الوسائل هي التي تحدد ذلك . ويقترح كيديل أن نفكر في طبيعة وشكل الوسائل الإعلامية الجديدة . مضمون التقليديون الصعب ليس له علاقة بالتغيرات الحقيقة التي يسببها التقليديون . كما أن الكتاب قد يتضمن مادة تافهة ، ولكن ذلك ليس له دخل في عملية القراءة . فالرسالة الأساسية في التقليديون هي التقليديون نفسه . العملية نفسها . كما أن الرسالة الأساسية في الكتاب هي المطبع . فالرأي الذي يقول أن وسائل الإعلام أدوات تستخدم في التغيير

(١) نفس المرجع ص ٦٣ .

والشر ، لا يتحقق معه ما كلورهان . فلابد لهم في تصوره ما إذا عرض التلفزيون عشرين ساعة يومياً أفلامها لرعاة البقر ، أو برامج ثقافية راقية ، فالمضمون ليس مهما لديه ، ولكن التأثير المعيق – للتلفزيون هو الطريقة التي يعدل بمقتضاهما الناس الأساليب التي يستخدمون بها حواسهم ويهرب عن ذلك بقوله الشهير « الوسيلة هي الرسالة The Medium is the Message » ويريد بالاصفافة الى ما تقدم من تعبيره أن يؤكد على أن لكل وسيلة جمهوراً من الناس يفرق حجمهم لهذه الوسيلة اهتمامهم بمضمونتها . فالتلفزيون « كوسيلة » يمثل محور اهتمام كبير ، كما أن بعض الناس يفضلون القراءة من أجل الاستمتاع بممارسة تجربة المطبوع ، كذلك يفضل البعض التلفزيون بسبب الشاشة التي تتحرك عليها الصورة والصوت .

كما أن « البلاحة » في « الوسيلة » تمثل تأثير الأشكال التي تظهر بها في المجتمع فوجتنا مفكرة كبيرة مثل جورج دواميل (١) بعد اختراق الراديو والسينما ، ينافي مشكلة الثقافة . ويؤكّد أن النظام الثقافي يقوم على الطياعة منذ خمسة قرون . فالكتاب لديه أحد محرّكات الفردية الخالقة Individualisme ، تلك الفردية التي لا تزال حتى في عصر الاضطراب الذي نعيش فيه - روح الخير القراءة على جماعاتنا البشرية » . ويعرف بأنه في المكان أن تعود إلى الكتاب بعد سماع الراديو أو بعد مشاهدة الفيلم ولكنك في الحقيقة ضعيف الأمل في هذا الاحتمال ، إذ أن في طبيعة الراديو الجارفة - التي تتشبه تدقق التهور - ما لا يساعد على التفكير ، أي على الثقافة الحقيقة ، فهو والسينما يقدمان أشياء سرقة الكثرة لا شئ عن معاها يرغبة في أن تتحقق أو تختبر أو تكمل ، بل ولا في أن تفهم ، وإنما تأخذ منها ما تأخذ خطفاً وكيفما اتفق . وأما ما يقوّتنا للبقاء وليس هذا منهج الثقافة » .

ويذهب ما كلورهان إلى أن بناء « الوسيلة » ذاتها مستول عن نواحي التصور فيها ومن مقدرتها في توصيل المضمون . فهو بالأساس وسيلة أفضلي من وسيلة أخرى في إثارة تجربة معيقة كما نجد بالنسبة لكتبة القدم في التلفزيون مثل أنها أفضلي من تقديمها عن طريق الراديو أو على أعمدة الجريدة . وعلى التقى من ذلك ، تجد أن أغلب الماجريات البرلانية أقل سامة أو إثارة للعمل في الجريدة عنها في التلفزيون ، ويهرب أن لكل وسيلة طبيعتها الخاصة التي تجعل تقديم بعض الموضوعات أفضلي من البعض الآخر .

(١) دفاع عن الأدب - ترجمة الدكتور محمد متذوّر من ٤٦ .

ويؤكد ماكلوهان فكرة أن « الوسيلة هي الرسالة » ترجع إلى أن الوسيلة هي التي تشكل وتحكم في مقياس نشاط الناس وعلاقتهم ، ويذهب إلى أن من مميزات الوسائل أن مضمونها يخفي طبيعتها ، ولذلك لا ينطرب فقط في دراساته إلى « المضمون » بل إلى الوسيلة ذاتها » . وإلى القالب الثقافي الذي تعمل بداخله . « إن معظم الآراء التقليدية تبين إلى أى حد كنا لا نمىء في الماضي، الآثار الاجتماعية والتفسية للوسائل » .

وتasisيا على هذا الفهم ، قاتنا نطرح في المقدمة التالية مجرد اختبارات يهدف دراسة هذه البلاغة الجديدة ؛ وتأمل أن يكون لهذه الاختبارات اثراً في دفع الدراسات البلاغية إلى الأمام في إطار من الأصالة والمعاصرة . . . وتأمل أن تكون قد وفقنا إلى ذلك . . . فيول من لا يخطئ تحيزاً أو تصوراً في عالم البشر .

المؤلفان

الباب الأول

علوم البلاغة العربية :
ماذا وضعت؟

تاریخ الفكر الیباني :

كانت العرب أمة مشهورة بالبيان والبلاغة وفصاحة القول ، وكانت مناعتها خطبة تحريرها ، أو قصيدة تجدوها ، أو مقالة تتمقها ، وكذلك كان شائهم منذ العصر الجاهلي ، يرتفعون مكانة الشاعر والخطيب ، وكان لكل قبيلة شاعر وخطيب ، أو شعراء وخطباء ، يذودون عن احساب القبيلة واهرابها ، ويتطلون بعثراها ومقابرها ومكارمها ، وأخبار أيامها ، وسيرة تاريخها ، وشرف أرومنها ، وكريم عزتها . وظلوا كذلك إلى أن جاء الإسلام ، ونزل القرآن كتاباً سماواه منزلة ، ويجز الخلق ببلغته ، ويدل بالأسلوب على منزلته في الفصاحة ومكانته ، وبيهوى الناس إلى ارفع درجات السلوك وآكمل آداب المثل العليا ، ويحضهم على الإيمان بالله وتوحيده ، ويدعوهم إلى أهون الفضائل والأذاب والأخلاق .

ولما كان القرآن معيناً في فصاحتها وسلوبه وبلاغتها ، فقد يهر الأدباء ، وأخirs الفصحاء ، وأسكنت البلاغة ، وحاول العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا ثم جهدوا أن يأتوا بمسير سور مثل سور فتشلوا فقلالوا ثالثاً بسورتين أو بستة في مثل بيانه ، فأبوا بالعجز والهزيمة والاخفاق .

وقد كان القرآن الكريم تموججاً أدبياً عالياً ، اقتدى به العرب في بلاغته وبعثهم على تهذيب الأسلوب ، وتجويد الأداء ، وجعلهم يظلون محبين للأدب ، مستهفين بالفصاحة ، ماخوذين ببلاغة القول ، وفصاحة الأداء ، ومن ثم فقد بقى العرب بعد الإسلام على حالهم الذين كانوا عليه من جدهم للأدب ، ورثوهم لأسرار البيان ، وامتازهم لجيد الكلام ، وأخذت منزلة الخطيب في حصر صدر الإسلام تقوى ، واحتلت الخطابة المكان الذي كان يحتله الشعر في العصر الجاهلي .

★ ★ *

وكان العرب يغطّرهم وادواهم الرهفة ، منذ العصر الجاهلي يسمون الشعر والوان الأدب المختلفة ، ويعيزون بين أسلوب وأسلوب ، وعبارة وعبارة ، ولفظة ولفظة ، وكان النابفة في العصر الجاهلي حكم الشعرا ، وكانت تضرب

له في سوق عكاظ قبة حمراء ، ويجتمع عليه الشعراء ليتشدوه ويتحاكمون
إليه

أثاء الأعشى يوما فانشده من شعره ، ثم أثاء حسان فانشده ، فقال
حسان : لو لا أن أبا بصير الأعشى انشدني إنما لقلت أنه أشعر الجن والآنس ،
فقال حسان :

ـ والله لأنما أشعر منه ومن أبيك وجده .. فقبض النابغة على يده ،
وقال :

ـ يا ابن أخي أنت لا تحسن ان تقول :

فأنت كالليل الذي هو مدرك
وان خلت ان المتألم منه واسع

ويروى أنه سمع من حسان :

لنا الجفاتن المر يلمعن بالضمن
وأسياقنا يقطعن من نجدة بما
ولدنا بني العنقاء وابني محراق
فاكرم بنا خالا ، واكرم بنا ابننا

فقال النابغة له : قلت جناته ولو قلت الجنان لكانت أكثر ، ونفخت بمن
لقدت ولم تفخر بمن ولدك ، وقلت يلمعن في الضمن ولو قلت يبرقون في الدجن
لكان البخ لأن الصيف بالليل أكثر طرفا .

وهذه الأخبار الأدبية على الرغم مما يذهب إليه البعض من أنها مخطلة ،
تشير إلى ذوق العرب المرهف ، واحسائهم الدقيق بالأدب وبلغته .

وقد ظلوا كذلك بعد الإسلام ، يسمعون الكلام ويميزون بين حيده وردائه
ويتقذرون الشعراء والخطباء ، ويمكرون على الشعر أحكاما أدبية دقيقة ،
فقالوا مثلا عن جرير : أنه يكره من يصر ، وعن الفرزدق أنه يتحمّل من صغر ،
ومن الأخطاء أنه أشعرهم في وصف الشعر ، ومدح الملوك ، وعن ابن أبي ربيعة
أن لشعره موقعا من القلب وعلقا بالنفس .

وأنتدبت ليل الاختيارة يوماً العجاج :
لذ وله العجاج ارضاً مريضه
تبني القص دائمه قشقاها
شققاها من الداء المضلال الذي بها
غلام اذا هز القنطرة سقطها

فقال لها: لا تقولي غلام ، ولكن قولى (همام) .. وانشد عبد الله ابن حمدان ذلك تسبباً :

أهيم بدعسو ما حبيت فان امت
فواحرتنا من ذا يهيم بها بعدى ؟

**فقال يعشن للبلقاء : أسامي القول ، ایعنی من يهتم بهما يمدده ؟ قاله
عبد الله : لو كنت قائلًا لاما تقول ؟ قال :**

امم بددعه ما حبیت قان امت
اوکل بددعه من یهیم بھا بعدهی

وكان كثير يعيب عمر بن أبي ربيعة في قوله :
 قالت لترث لها سأ تحدثها
 لنفسك من الطواف في عمر
 قسم من تصميمي له ليصبرنا
 ثم أغمضيه يا اخت في خدر
 قالت لها : غمضتني فابن
 ثم أسيطرت شفتي في البرى

ويقول : أردت أن تتناسب بيها قنصلية ببنفسك ، وأنا لا وصفت بهذا هر
من ذلك كنت قد أصبت صفتين ، أهلاً بآصال للمرأة ؟ إنما تونسي المرأة بالغة

٣) الخلة : الصداقة .

وأنها مطلوبة ممتعة ، كما قال الآخرون :

لقد متنع معرفتها ألم جعفر
وأني إلى معرفتها لغير
وقد انكروا عند اعتراف زيارتي
وقد وغرت فيها على صدور
أدور ولو لا أن أرى ألم جعفر
بابيساتكم ما درت حيث أدور

★ ★

ومن ذلك كله نقول : أن العوامل الأولى في نشأة البلاغة العربية هي :

- ١ - أن العرب أمة مقطورة على البلاغة ، وقد رفع القرآن الكريم منزلة البلاغة فوق منزلتها ، ومن ثم كان العرب في يحثهم عن خصائص البلاغة العربية يبحثون عن أعن شئ لديهم ، وأظهروا أمر لهم فيه القلة والتفرق .
- ٢ - أن العرب نشوا كذلك على تدوين الأسلوب وتقنه ، والقطنة يجده ورديته فملكة النقد عندهم موجودة ، وقد نشأ عن ذلك ظهور آراء تقنية كانت هي الأساس الأول للنقد الأدبيين عن العرب ، وكان هذا النقد هو أساس علم البلاغة العربية .
- ٣ - وليس من شك في أن فساد الأذواق ، وإنحراف المذاقات ، وتضليل الطبع في نفس العرب ، بعد اتساع الفتوح الإسلامية ، وامتداد العرب بالشعوب المغلوبة ، وظهور أثر هذا الامتزاج في الألسنة والطبع . ليس من شك في أن ذلك كان من الدواعي على تدوين أصول البلاغة العربية لتكون ميزاناً سليماً توزن به بلاغة الكلام ، ولتحصيم هذه الأصول الأدبية والمتابين من الخطأ في الأسلوب والبيان .
- ٤ - ويضاف إلى ذلك عامل آخر يعيد الأثر في تدوين البلاغة هو الرغبة في فهم أمصار أعيان القرآن الكريم ، وإقامة الأدلة العلمية على هذا الأعيان .

أهمية دراسة البلاغة *

البلاغة هي أن يجعل الأديب لكل مقام مقالاً ، وكل حال مقتضاها ، فيوجز حيث يحسن الإيجاز ، ويطلب حيث يجعل الاطناب ، ويرىك في موضع التوكيد ، ويقدم أو يُخرّ إذا استدعي ذلك المقام ، وطلبـ الحال ، ورأى ذلك أنسـ لقوله ، وأوْفـ بفرضه ويخاطبـ الذكـن يغيرـ ما يخاطبـ بهـ الغـيـر ، ويـجـعـلـ لـكـلـ اعتـبارـ ما يـنـاسـيـهـ منـ القـولـ ، فـي عـبـارـةـ فـصـيـحةـ ، وـمـعـنـ مـخـتـارـ .

ولدراسة علوم البلاغة أهمية كبيرة :

١ - فهي تقوّم المـلـكـاتـ ، وترشدـ النـوـقـ ، وتهـدـيـ الـوـهـةـ الـأـدـبـيـةـ فـيـ نـفـسـ الـأـدـبـ الـكـمالـ .

٢ - وهي تطلـلـ ما تـشـعـرـ بـهـ مـنـ أـرـيـحـيـةـ وـهـزـةـ وـأـعـجـابـ ، عـنـدـمـاـ نـقـرـاـ أـسـلـوـبـاـ بـلـيـغاـ ، أـوـ كـلـامـاـ فـصـيـحاـ .

٣ - وهي تـبـيـنـ لـنـاـ سـرـ اـعـجـانـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ مـنـ الـفـصـاحـةـ وـالـبـلـاغـةـ .

٤ - وكذلكـ هـيـ تـسـاعـدـ الـأـدـبـ أـوـ رـجـلـ الـاعـلـامـ عـلـىـ أـنـ يـتـنـجـ أـدـبـاـ رـائـعاـ : مـنـ شـعـرـ بـلـيـغـ ، أـوـ رـسـائـلـ جـمـيلـةـ ، أـوـ قـصـصـ اـنـيـقةـ ، أـوـ مـقـالـاتـ خـصـيـةـ ، إـلـيـ غـيـرـ ذـلـكـ مـنـ شـتـىـ الـوـانـ الـأـدـبـ وـفـتوـنـهـ .

٥ - وهي كذلكـ تحـولـ بـيـنـ الـإـنـسـانـ وـبـيـنـ الـخـطـاـ فـيـ الـأـسـلـوـبـ أـوـ الـخـيـالـ أـوـ الـمـعـنـىـ أـوـ الـفـرـضـ ، أـوـ الـفـكـرـةـ .

٦ - وـبـدـرـاسـةـ عـلـومـ الـبـلـاغـةـ يـسـطـيعـ الـأـدـبـ أـنـ يـكـونـ نـاقـداـ مـتنـدـوـقاـ ، وـكـاتـبـاـ مـوهـوبـاـ . إـلـيـ مـاـ سـوـىـ ذـلـكـ مـنـ الـمـزاـياـ الـتـيـ تـنـشـأـ عـنـ درـاسـةـ عـلـومـ الـبـلـاغـةـ .

المتألif في البلاغة :

لم يؤلف العرب في البلاغة في العصر الاسلامي ، ولا في اوائل عصر بنى العباس ، واتما بدأوا يؤلفون في البلاغة في اواخر القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس الهجري ، وليس معنى ذلك انهم بدأوا في هذا التاريخ ولأول مرة يؤلفون في البلاغة ، كلا ، فقد أخذوا منذ عهد الدولة العباسية يقطنون خطوة فخطوة في سبيل ابتكار بحوث البلاغة والمتألif فيها .

وقد أخذ النقاد والأديباء والكتاب يحاورونفهم أسرار بلاغة الكلام ، ووضع أصول موجزة تحدد آراءهم في جمال الأسلوب ، واشترك في التهوض بهذا العباء منذ أوائل العصر العباسي كثيرون ، وفي مقدمتهم آئمة الشعر والخطابة وفحول الكتاب ، والرواية ، وعلماء الأدب من بصريين وكوفيين ، ورجال النقد .

* * *

اوائل العلماء الذين المفوا في البلاغة :

ومن اوائل العلماء الذين بحثوا وكتبوا اشياء تتعلق بالبلاغة العربية :

- ١ - الامام ابو عبيدة معمر بن المثنى البصري (١١٢ - ٢٠٦ھ) وكان من آئمة الأديباء والنقاد ، وكتابه « مجاز القرآن » مشهور ، وقد ذكر فيه الكثير من ايات القرآن الكريم ، وحلل بالاقتفا ، ودافع عنها دفاع العالم الحجة المجد .
- ٢ - ابو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ (١٦٠ - ٢٥٦ھ) ، وهو شيخ الأدب والمربيه والنقد في عصره ، وقد ألف كتابا مشهورا سماه « البيان والتبيين » ، وجمع فيه الكثير من : بلالفات العرب ، وارائهم في النظم والشعر ، وتحديدتهم لمعنى البلاغة والفصاحة ، وفيه صحيحة يشر بن المتمر ، وهي أول صحيحة في البلاغة وعناصرها . وكذلك الف الجاحظ كتابا في اعجاز القرآن الكريم ، والذ كثيرون غيره في الاعجاز .

٣ - أبو العباس عبد الله بن المعتز الخليفة العباس الأديب الشاعر المشهور
المتوفى عام ٢٧٤ هـ كتاباً سماء البديع ، وذكر فيه شعائير عشر
لواناً من الوان البديع ، منها الاستعارة والكتابية والتشبيه ، ويقول
ابن المعتز في مصدر كتابه : « وما جمع قبلى فنون البديع أحد »

جهود النقاد في وضع علوم البلاغة :

وقد نشأ منذ القرن الثالث طائفة كبيرة من النقاد ، منهم ابن سلام الجهمي
المتوفى عام ٢٣١ هـ صاحب كتاب « طبقات الشعراء » وقدامة بن جعفر المتوفى
عام ٢٣٧ هـ صاحب كتاب نقد النثر ، وكتاب نقد الشعر ، ثم ابن هلال المعنكري
المتوفى عام ٢٩٥ هـ صاحب كتاب الصناعتين ، وأبو يكر الباقلاني المتوفى سنة
٤٠٢ هـ صاحب كتاب « أعيان القرآن » ، وأبن سنان المتوفى عام ٤٦٦ هـ صاحب
كتاب « سر الفصاحة » ، وأبن رشيق المتوفى عام ٤٦٠ هـ صاحب كتاب العمدة ،
وسواهم .

وهؤلاء النقاد اثروا في محاضراتهم وبحوثهم وكتاباتهم كثيراً من بحوث
البلاغة بل إن كتاب الصناعتين وكتاب سر الفصاحة وكتاب العمدة أقرب ما يكون
إلى كتب البلاغة منها إلى كتب النقد .

وفي القرن الرابع اتجه علماء الأدب في أوله إلى الكتابة في الأدب
والنقد ، ثم مزجوا بحوث النقد والأدب بالبيان ، ثم امتدوا من دراسات النقد
فأثنى على انتقالاتهم بهم للبحث في مظاهر البيان ومشكلات البلاغة فاتجه
تأليفهم في آخر هذا القرن إلى بحوث البلاغة نفسها .

* * *

أول مؤلف في البلاغة :

وأول مؤلف في البلاغة في رأى العديدين هو الإمام عبد القاهر الجرجاني
المتوفى عام ٤٧١ هـ ، وصاحب كتاب : « أسرار البلاغة » ، وكتاب « دلائل
الاعجاز » .

اما كتاب أسرار البلاغة ففيه دراسات واسعة تتناول بحوث علم البيان
من تشبيه ومجاز واستعارة وفيه شرح للسرقات وبعض الوان البديع .

واما كتاب دلائل الاعجاز ففيه يمorte كثيرة هي أصول علم المعانى . كما انه تحدث فيه عن الكتابة وعن التمثيل والمجاز والاستعارة والسرقات وهذه البحوث كلها هي عنده علم البيان ، لا فرق عنده بين ما هو راجع الى الكلام من حيث مطابقته لمعنى الحال ، وبين ما يرجع اليه من حيث ابراز المعنى المراد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه . كما ان عبد القاهر لم يكن يعرف هذا الاصطلاح « علم المعانى » ولم يشر اليه من قريب .

السكاكى وكتابه المفتاح :

وبعد عصر عبد القاهر يكتثر ظهر الامام أبو يعقوب السكاكى المتوفى عام ٦٢٦ هـ الذى ألف كتابه المفتاح وجمله اقساما ، وخص البلاحة بالقسم الثالث منه ، وقسما الى ثلاثة اقسام : المعانى – البيان – اليساريع – وبذلك تميزت علوم البلاغة ومباحث كل علم منها بالتفصيل .

والفلسفة والمنطق تقلب على السكاكى الى حد كبير ، من حيث كان يغلب الذوق والطبع على عبد القاهر .

القرزاوىي ومدرسته في البلاغة :

وجاء الخطيب القرزاوى المتوفى عام ٧٣٩ هـ فالف فى البلاغة كتابيه : تلخيص المفتاح ، والإيضاح . وقد الف الإيضاح ليكون كالشرح للتلخيص المفتاح ، وجمع فيه كثيرا من البحوث البلاغية العميقة المقيدة .

وقد طارت شهرة هذين الكتابين ، وكثرت عليهما الشروح كثرة عجيبة .

المسعد والسيد :

وبعد السكاكى والقرزاوى ظهر شيئاً البلاحة : المسعد (٧١٢ - ٧٩١ هـ) ، والسيد المتوفى عام ٨١٦ هـ ، فكانا اثناين شرائط السكاكى والخطيب القرزاوى ، وللمسعد كتابان على متن التلخيص الذى ألفه الخطيب : فالكتاب الأول هو المطول ، والكتاب الثانى هو مختصر المعانى وهو كالمحترف للمطول ، أما السيد فله حاشية على المفتاح للسكاكى وحاشية على المطول كذلك .

وبعد المسعد والسيد توقف الابتكار فى مسائل البلاغة ، وظهرت تأليف عديدة ليس فيها جديد ، وأغلبها شروح وحواش على متن التلخيص .

واضع علوم البلاغة :

فمن الواضح لعلوم البلاغة ، ومؤسس علم البيان حقا ؟

أهو الباحث الذى هو أول من اهتم بالبلاغة وأول مؤسس للبيان العربى حقا ، كما يقول الدكتور طه حسين (١) ؟

أم أن الواضع لها عبد القاهر كما يذهب إليه جمهور العلماء ، ومنهم صاحب الطرآن ؟

أم أن الواضع لها السكاكي كما يذهب إليه ابن خلدون وبعض العلماء ؟

اختلاف الآراء في ذلك ، ولا ضير من هذا الاختلاف في شيء ، وهناك من يرى، أن ابن المعتز يجب أن يعد أول مؤلف في البلاغة بتاليفه كتابه اليديع الذي هو أول عرض لموضوعات البلاغة أو لعلم البيان واليديع خاصة ، بشكل سهل جميل مع الشواهد والأمثلة .

(١) مقدمة نقد الفثر .

تراث لشيوخ البلاغة

عبد الماهر الجرجاني :

المتوفى عام ٤٧١ هـ

هو شيخ البلاغة العربية وأمامها ، الشيخ أبو بكر عبد الماهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، صاحب « أسرار البلاغة » ، و « دلائل الاعجاز » .

والشيخ عبد الماهر أديب متعدد ، وناقد فحل ، يعمق في فهم النصوص ويجدد تحليلها ودراستها والموازنة بينها وبين ما يشبهها من الآثار الأدبية ، وقد تكلم في كتابيه عن كثير من مسائل البلاغة ، وعن كثيرة بالتشبيه والاستعارة والمجاز والذكر والمحذف ، وبكثير من بحوث البلاغة .

ويتباهى على كتابته في البلاغة والنقد الروح الابني الموهوب العميق ، النافذ إلى الأمصار والخصائص والأسباب .

وهو بهذه الكتابتين أول وأضع لمعلم البلاغة العربية ، وشارح لمسائلها ، ومبتكر لمسائلها ، ومن ثم فهو جدير بما يكل تقدير وأجلال .

ويكثر في الكتابتين من عرض الشواهد والأمثلة وتحليلها والموازنة بينها ، وبين ما يشبهها ، في دقة وذوق وفطنة بأسرار البيان .

السماكي :

المتوفى عام ٦٢٦ هـ

هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السماكي المتوفى عام ٦٢٦ هـ ، وقد درس المنطق والفلسفة واللغة دراسة واسعة ، وألف كتابه المفتاح في شتن علم العربية ، وحسن البلاغة بالقسم الثالث منه ، وتحدث في الكتاب - مفتاح العلوم - عن خلاصات لعلوم النحو والصرف والبلاغة والمنطق والعروض والقافية .

والسکاکی اول من قسم علم البلاغة الى ثلاثة علوم : علم المعانی - علم البيان - علم البديع :

وهو اکثر میلاً الى المتنق ، وأظهر بعده عن میدان الاب والتقد ، وقد استقاد من مجھود عبد القاهر وسواء من علماء البلاغة السابقین فائدة جلی .

وقد كثرت بعد السکاکی المناقشات اللغویة والبحوث المتنقیة في البلاغة ، ولازال موجودة حتى اليوم .

وعلى مفتاح العلوم شروح وحواشن ليس لها نظير على اى كتاب اخر .

الخطيب القزوینی :

٦٦٦ - ٧٣٩ هـ

هو قاضي القضاة الشیخ جلال الدین محمد بن عمر القزوینی الشافعی .

نشأ من اسرة علمية ودينية كبيرة ، كان ولا شك لها اثرها في حياته وتفكيره وروحه .

ولد عام ٦٦٦ هـ ، وتعلم الفقه ، وتولى القضاء ، وانتقل الى دمشق ، وتولى الخطابة في مسجدهما ، ثم تولى القضاء بمصر ، وتمكن نفوذه فيها أيام الملك الناصر ، واكتسب مالا طائل ، ثم جاء الى دمشق وتوفى فيها . واشهر مؤلفاته « تلخیص المفتاح » ، « الایضاح في المعانی والبيان » (١) وكانت وفاته عام ٧٣٩ هـ .

وتحل مؤلفات الخطیب في البلاغة على ثقافة بلاغية وادبية واسعة وقراءة مستفيضة لأهم المؤلفات في البلاغة وفي مقدمتها : « اسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » لعبد القاهر ، والمفتاح للسکاکی .

الف الخطیب مختصرا صغيرا للمفتاح في البلاغة او للقسم الثالث بعبارة اوضح وسماء « تلخیص المفتاح » . لحسن فيه ذلك السفر العظيم ، وقدم فيه « واخر ، وحذف ، واختصار ، وفيه بعض آراء له لم يرتكضها جهابذة هذه الفنون .

(١) ٤٤ ج ٢ تاريخ اداب اللغة العربية لجورجی زیدان ، شذرات الذهب ، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة .

على أن متن التلخيص ليس تلخيصا للأسرار أو الدلالات أو سر الفصاحة وحدها ، إنما هو تلخيص للقسم الثالث من المفتاح أولا ، وقبل كل شيء وما فيه من روح التأثر بعد القاهر فترجمه إلى المفتاح نفسه الذي اعتمد فيه السكاكي على عبد القاهر إلى حد بعيد .

ثم الف الخطيب كتابه الإيضاح في البلاغة على ترتيب التلخيص ، ويسلط القول فيه ، ليكون كالشرح له ، فأوضح مواضعه الشكلا ، وفصل معاينيه الجملة ، واعتمد على المفتاح وأسراره والدلائل وغير هذه المؤشرات في بحوثه ودراساته فيه ، كما يشير إليه الخطيب نفسه في مقدمة الإيضاح .

وكتاب الإيضاح فيه أمثلات مسائل هذه الفنون بعبارة واضحة فيها روح من أسلوب عبد القاهر الجامع بين التحقيق العلمي والرصانة الأدبية .

وعلى « تلخيص المفتاح للخطيب » كثير من الشرح والحوالى والقارئين ، التي تروعك كثراها ، مما يدل على مدى شهرة الكتاب العلمية عند الباحثين . ولا يزال منهج الخطيب في البلاغة وفي متن التلخيص بالذات هو النهج العلمي والدراسي في علوم البلاغة إلى عصرنا الراهن .

وكتاب الإيضاح عمل جليل في البلاغة ، سواء في ترتيبه وتقسيمه وتنظيم بحوثه ، أم في استيعابه واستقصائه وتحليله ، أم في جمعه واستعداده من شتى المصادر والمراجع ، أم في أسلوبه الأدبي وروحه العلمية وكثرة تبويباته الأدبية .

وهو أهم كتاب دراسى في البلاغة في العصر الحاضر . ويمتاز الإيضاح للخطيب القزويني بعدة ميزات ظاهرة :

- (أ) فهو أولى كتب في بحوث البلاغة .
- (ب) وهو أوضح الكتب المؤلفة في البلاغة نظاما وأسلوبا .
- (ج) وهو كثير البحث والتمعن والاستبطاط لأسرار البلاغة العربية .
- (د) وهو كتاب تطبيقي جميل في البلاغة .
- (هـ) وينقد القزويني فيه كثيرا من آراء السكاكي .
- (و) ويعتمد الخطيب فيه على عبد القاهر والسكاكين كثيرا .
- (ز) والخطيب يجمع في كتابه خلاصات لبحوث علماء البلاغة في شتى المصور حتى عصره .

(ج) والكتاب بعد ذلك غير الماده كبير الفائد في الأدب والنقد والبلاغة والبيان .

سعد الدين المتفانى
٧٩١ - ٧٦٢ هـ

هو العلامة مسعود بن عمر ، ولد واخذ العلم عن اكابر العلماء في عصره وتنقل بين البلاد ، ومن البلاد التي رحل اليها هرة ، وقد ألف فيها كتابه المطول سنة ٧٤٨ ، ثم الف المختصر سنة ٧٥٦ هـ .

وعن السعد ياراء عبد القاهر والمسكاكى والخطيب عتيبة فائقة ، ويغلب على كتابته في البلاغة صبغة المنطق والتيسيرات المقلية الجافة ، وله حاشية على المفتاح ومؤلفات أخرى تشهد له بالفضل والتفوق .

السيد الجرجانى
٨١٦ - ٧٤٠ هـ

ولد في قرية « سرابياد » بين همدان وبغداد ، وتتلمذ على السعد ، وقدم القاهرة ودرس بها ، ثم خرج إلى بلاد الروم ، ثم عين استاذًا في شيراز .

وألف في البلاغة :

١ - شرحا على المفتاح .

٢ - شرحا آخر على القسم الثالث من المفتاح .

٣ - حاشية على المطول للسعد ... وقد ناظر استاذاته السعد متاظرة مشهورة ، وكان موضوعها « اجتماع الاستمارة التبعية والمعتمدة في كلام صاحب الكشف » ، في قوله تعالى « اولئك على هدى من ربهم » .

العظى

٧٥٦ - ٧٠١ هـ

ولد عضد الدين الايجى في قرية ايج من نواحي شيراز ، واخذ عن

مشائخ عصره ، وأخذ عنه السعد وسواء ، وعيّن مدرساً في شيراز . ثم جلسه حاكم كرمان وما ت في حبسه .

ومن أهم مؤلفاته في البلاغة الفوائد القيائية ، وهو تلخيص للقسم الثالث من الفتاح ، وهو أقصر من تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ٢٠٠ وله كتب أخرى مخطوطه .

أهم كتب البلاغة في مختلف العصور

مجاز القرآن لابن عبيدة م ٢٠٨

البديع لابن المعتزم م ٢٩٦

المصنعتين لابن هلال العسكري م ٣٩٥

اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لمعبد القاهر م ٤٧١

سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي م ٤٦٦

المعدة لابن رشيق م ٤٦٠

نهاية الايجاز للرازي م ٦٠٦

الفتاح للسكاكى م ٦٢٦ (١)

قوائبن البلاغة لمعبد الكثيف البندادى م ٦٢٩

المثل المسائر لابن لاثير م ٦٣٧

البيان لابن الزلقانى م ٦٥١

المعيار للزنجانى م ٦٥٤

(١) شرحه : الشيرازي م ٧١٠ ، والخلخالي م ٧٤٥ ، والسعد م ٧٩٢ ، والسيد م ٨١٦ ، وابن كمال باشا م ٩٤٠ .
ولابن يعقوب م ١١٠٨ ، وللسقى م ١٢٢٠ شروح عليه .
ولذكرها الانصارى م ٩٢٦ مختصر تلخيص المفتاح ، ولعباسى م ٩٦٢ شرح لشوادر التلخيص اسمه معاهد التنصيص .

الصباح لبدر الدين ابن ابن مالك م ٦٨٦ هـ
الاقمي القريب للتنوخي م ٦٩٨ هـ
بديع القرآن لابن أبي الاصبع م ٦٥٤ هـ
الايضاح للخطيب القرزيبي م ٧٣٩ هـ
تلخيص المفتاح له ايضاً
الفوائد الفيائية للمعدى م ٧٥٦ هـ ، وشرحها الكرمانى م ٧٨٦ هـ
التبیان لشرف الدين الطبیبی م ٧٤٢ هـ
الطرزان لجحیف بن حمزة الملوی م ٧٤٩ هـ وقد طبع في ثلاثة اجزاء
عروس الافراح للسبکی م ٧٧٢ هـ
المطول للسعد م ٧٩١ هـ
السمرقندية للسمرقندی وهي رسالة في الاستعارات ، وتوفی السمرقندی
عام ٨٨٠ هـ
عقود الجمان للسيوطی م ٩١١ هـ
الجوهر المکنون للاخضری م ٩٠٥ هـ ، وشرحه الشیخ الدمشقی
١١٩٢ هـ
تحفة الاخوان في علم البيان للدریدی م ١٢٠١ هـ
الرسالة البیانیة للصیبان م ١٢٠٦ هـ
التجزید للبنائی م ١٢١١ هـ
حسن الصنیع للشیخ البیسوی م ١٢١٣ هـ
زهر الریبع للحملوی م ١٢٥٢ هـ
البلاغة الواضحة للجاری م ١٩٤٩ هـ

كتب أخرى تدور حول البلاغة

من أهم هذه الكتب :

نقد الشعر ، لقديمة م ٢٣٧ هـ

سر الفصاحة لابن سنان ٤٦٦ م
الوساطة للجرجاني ٢٩٢ م
الوساطة للجرجاني ٢٩٢ م
الموازنة لللهمى ٣٧١ م
المعدة لابن رشيق ٤٦٠ م
تفسير الكشاف للزمخشري ، وله كتاب أساس البلاغة .
المجازات التبوية ، ومجان القرآن - للشريف الرضي المتوفى ٤٠٦ م

الباب الثاني

**الفصاحة - البلاغة
نحو بلاغة جديدة**

القصاحة :

القصاحة في اللغة تبيء عن الظهور والإباهة ، يقال : قصح الاعجمي في
كلامه واقصح : اذا اطلق لسانه ، وخليست لفته من اللعنة ، وجحاد ملكته
فلم يلحن *

وهي عند البلاغيين يوصف بها اللفظ المفرد ، والكلام ، والمتكلم ،
فالقصاحة عندهم هي كون اللفظ جاريا على القراءتين المستتبطة من استقراء
كلام العرب ، كثير الاستعمال على السنة العربية الموثيق بعربيتهم *

١ - قصاحة المفرد

هي خلوصه من :

- ١ - تنافس الحروف *
- ٢ - التراابة *
- ٣ - مخالفة القياس *

التنافس

هو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها *

والتنافس قسمان :

(١) فمه ما تكون الكلمة يسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر
النطق بها كما روى ان اعرابيا سئل عن ثاقته فقال : تركتها ترعى
الهمخ وهو اسم شجر من شجر الصحراء *

(ب) ومنه ما هو دون ذلك ، كلفظ مستثثر في بيت امرئ القيس :

غدايره مستثثرات الى العسلا
تضل العقاصن في مثنى ومرسل (١)
والحكم في ذلك هو الذوق .

الفسرية

وهي ان تكون الكلمة وحشية (٢) لا يظهر معناها ، فيحتاج في معرفته :

(١) الى ان يقتضي عنها في كتب اللغة الميسوطة ، كما روى عن عيسى ابن عمر التحرى انه سقط عن حماره ، فاجتمع عليه الناس ، فقال : « مالكم تكاكبات على تكاكبكم على ذى جنة ؟ افتقروا عنى » اي مالكم اجتمعتم تتحروا .

(ب) او الى ان يخرج لها وجه بعيد ، كما في قول المعاج :

ومقللة ومحاجيا مزججا
وفاعما ومرسينا مسرجا (٣)

(٤) المقداشر : الذواشب جميع غريبة ، والضمير فيها عائد الى الفرع في البيت قبله . مستثثرات اي مرتفعات ان كان يكسر الزاي على لفظ اسم الفاعل ، او مرتفعات ان كان بالفتح على لفظ اسم المفعول ، استثثره اي رفعه متديبا ، واستثثره اي ارتفاع لازما . تضل : تغيب وتختفي . العقاصن : جمع عقصبة وهي الخصيلة المجموعة من الشعر . الشئ المقول . المرسل : خلاف المثلث .

والمعنى : ان ذواشب مشدودة على الراس وان شعره مقسم الى عقاصن ومثنى ومرسل ، والأول يغيب في الآخرين ، والزاد وصف الشعر بالكلافة والكثرة والطول .

والشاهد هنا قوله مستثثرات فهو لفظ متناهى تثيل على اللسان ، ولكنه اقل ثقالا من « الهمجع » .

(٥) اي ليست مائومة الاستعمال عند العرب الخلق ، من مسكن البادية .

(٦) المقلة : العين + مزججا : مدققا مطولا . فاعما : اي شرعا أمسود كالفحم الرسن : الانف .

والشاهد في البيت في قوله مسرجا فانه غير ظاهر المعنى ، لأن العلماء قد اختلفوا في معناه . وليس هذا اللفظ مما يسهل البحث عن معناه في المعاجم اللغوية .

فانه لم يعرف ما اراد بقوله « مسرجا » حتى اختلف في تحريره : فقيل هو من قولهم للسيوف : سريجية ، أي منسوبة إلى صانع يقال له « سريج يريد الله في الاستواء والثقة كالسيف السريجي » ، وقيل : من المسراج ، يريد أنه في البريق كالمسراج . وهذا قريب من قولهم : سرج وجهه أى حسن ، وسرج اش وجهه وجسته .

مخالفة القياس :

هي ان تكون الكلمة على خلاف مفردات الافتراض الموضوعة اي على خلاف ما ثبت عن الواقع ، اما الواقعية للقياس فهو ان تكون الكلمة على وفق ما ثبت عن الواقع سواء وافقت القانون التصريفي ام خالفته ولكن ثبتت عن الواقع كذلك ، والمخالفة ان تكون الكلمة على خلاف ما ثبت عن الواقع سواء خالفت القانون المعرفي اياها ام لا ، فتحوال وفاء وأيبي يابي وعور يعور قصبيح ، لانه ثبت عن الواقع كذلك وان خالف قواعد المعرف .

ومثال مخالفة القياس قول الشاعر :

الحمد لله العدل الايجل
انت ملك الناس ريا فا قبل

فإن القياس الأجل بالادغام ، ومثله قول الشاعر :

مهلا اهانيل قد جربت من خلق
انى اجود لاقوام وان هستروا

علامة فصاحة الكلمة :

هذا وفصاحة الكلمة علامتها أحد أمرين :

- ١ - أن تكون هذه الكلمة كثيرة الاستعمال عند العرب الموثق بغيرتهم اذا لم يكن لها مرادف .
- ٢ - او ان تكون هذه الكلمة اكثر استعمالاً عندهم من الكلمات الأخرى المرادفة لها المشتركة معها في المعنى اذا كان للكلمة مرادف .

فعلماء قصاحة الكلمة التي ليس لها مرادف كثرة استعمالها ، والتي لها مرادف أن تكون أكثر استعمالاً من مرادفها .

٢ - فصاحة الكلام

فصاحة الكلام : هي خلوصه من : ضعف التاليف ، وتناقض الكلمات ،
التعقيب : به فصاحة كل كلمة منه .

خصف التاليف :

هو أن يكون تاليك الكلام على خلاف القانون التحوى المشهور بين
الحمدور : كالاضمار قبل الذكر لفظاً ومعنى، وحکماً . مثل زار صديقه محمد :

فإن رجوع الضمير إلى المفعول المتاخر لفظاً يمتنع عند الجمهور، لثلا
يلزم رجوعه إلى ما هو متاخر لفظاً ورتبة، فلو تقدم المرجع لفظاً أو معنى أو
حكماً جاز، وصح الأسلوب، ولم يكن هناك ضعف تاليف، فلتقدم المرجع لفظاً
متاليفاً، كـ«محمد صديقه».

وتقديمه في المعنى مثل: توارت بالحجاب ، اي الشمس .
وتقديمه في الحكم مثل: هو الله احد ، ربنا رحيم .

ومن شواهد ضعف التأليف قول الشاعر :
فلو ان مجدنا خلد الدهر واحدا
من الناس ابقى مجدده الدهر مطعما

تناقض الكلمات:

هو أن تكون الكلمات ثقيلة على اللسان ، وان كان كل منها فصيحة وهو قسمان :

(١) قمنه ما تكون الكلمات بسببه متاهية في التقل على اللسان وعسر النطق بها متابعة ، كما في البيت الذى انشده الجاحظ :

وقبر حرب بمكان قبور
وليس قرب قبور حرب قبور

(ب) ومنه ما هو دون ذلك كما في قول ابن تمام :

كريم متى امدحه امدحه والورى معنى
وادا ما لاته لاته وحدي

فإن في تكرار قوله « امدحه امدحه » ثلاثاً بين الحاء والهاء من
التنافر .

التفيد :

أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به ، ولله سببان :

احدهما : ما يرجع إلى اللقط وهو أن يختل نظم الكلام ، ولا يدرى
السامع كيف يتوصل منه إلى معناه ، ويسمى تعقيداً لفظياً ، وذلك كقول
الفرزدق :

وما مثله في الناس الا مملكا
أبو أمه حى أبوه يقشاريه

كان حقه أن يقول : وما مثله في الناس حى يقاربه الا مملوك أبو أمه أبوه ،
فإنه مدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك ،
فقال : وما مثله – يعني إبراهيم المدحوج – في الناس حى يقاربه ، أي أحد
يشبهه في الفضائل ، إلا مملكا ، يعني هشاما ، أبو أم هشام أبو المدحوج ،
فالضمير في أمه للملك ، وفي أبوه للمدحوج ، ففصل بين أبو أمه وهو بيتدأ وهو
جده بحى ، وهو أجيبي ، وكذلك فصل بين حى وقاربه ، وهو ثنت حى بابوه ،
وهو أجيبي ، وقدم المستثنى على المستثنى منه ، فهو كما تراه في غاية
التفيد ، فالكلام الحالى من التavid اللغوى ما سلم نظمه من الخلل ، فلم يكن
فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو اضمار أو حذف أو غير ذلك الا وقد
قامت عليه قرينة ظاهرة ، لفظية أو مهنية .

والثانى : ما يرجع إلى المعنى ، وهو أن لا يكون انتقال الشعن من المعنى
الأول إلى المعنى الثاني الذى هو لازمه ، والمراد به ظاهرا ، كقول العباس
ابن الأخف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقريرا
وتسلكب عيناي الدموع لتجمدا

كتى يسكب الدموع عما يوجيه الفراق من الحزن ، وأصاب ، لأن من شأن البكاء أن يكون كنایة منه ، كقولهم : أبكاني وأضحكني ، أى سعادتي ومرني ، وكما قال الحماسى :

أبكاني الدهر ويا ربما
اضحكني الدهر بما يرضي

ثم طرد ذلك في نقipse ، فاراد أن يكون عما يوجيه دوام التسلقى من السرور بالجمود ، لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر .

وأخطأ لأن الجمود خلو العين من البكاء في حال ازداد البكاء منها ، فلا يكون كنایة عن المسرة ، وإنما يكون كنایة عن البخل كما قال الشاعر :

الا ان عينا لم تجد يوم (واسط)
عليك بجاري دمعها لجمود

لو كان الجمود يصلح أن يراد به عدم البكاء في حال المسرة لجاز أن يدعى به للرجل ، فيقال لازالت عينك جامدة ، كما يقال لا أبكي أش عينك . وذلك مما لا شك في بطلانه .

فالكلام الخالى عن التعقيد المعنى ما كان الانتقال من معناه الأول إلى معناه الثاني – الذى هو المراد به – ظاهراً ، حتى يخلي إلى السامع أنه فهو من سياق اللقطة .

٣ - فصاحة المتكلم

هي ملكرة يقدّر بها على التعبير عن المقصود بلطف فصيح .

معنى البلاقة

إذا عرض لك موضوع فعرفت ما يقتضيه المقام من المقال ، وقلت فيه من الكلام ما يحسن أن يقال في مثله ، واخترت للمساند من الألفاظ والجمل والأساليب ما يتّناسب وعقل القارئين والسامعين وشعورهم وذوقهم ، فذلك هي البلاقة .

فالبلاغة هي أن تجعل لكل مقام مقال ، فتوجز حيث يحسن الإيجاز ، وتطلب حيث يجعل الأطناط ، وتوكل في موضع التوكيد ، وتقدم أو تؤخر إذا رأيت ذلك أنساب لقولك ، وأوافي بفرضك ، وتحاطب الذكي بغير ما تحاطب به الغبي ، وتجعل لكل حال ما يناسبها من القول ، في عبارة فصيحة ومعنى معنار :

- ٤ -

ويجب مراعاة ثلاث مطابقات حتى يكون الأسلوب تماماً وافياً بالغرض

١ - مطابقة الأسلوب للموضوع الذي يتكلم فيه ، فالموضوعات تختلف شرعاً ورقياً ، والأفكار تختلف سداجية وتعقيداً ، وسهولة ، وصعوبة ، فيجب أن يكون الأسلوب ماسيراً لهذه الموضوعات والمعانى ، فيكون سهلاً في الموضوعات والمعانى السهلة ، جزاً فيما يناسب الجزالة من الموضوعات والمعانى ، كما أن بعض الموضوعات يناسب الأطناط ، وبعضها يناسب الإيجاز ، وبعضها يحتاج إلى أسلوب خطابي ، وبعضها إلى أسلوب منطقى ، وهكذا .

والوسيلة إلى ذلك تربية النون الأدبى عند الكاتب ، حتى يدرك أفق الأساليب للموضوع الذى يتكلم فيه ، وهذا النون جزء منه غرائزى لا يدخل للإنسان فيه ، وجزء مكتسب يكتسبه الكاتب بمخالطة للأدياء المجيدين ، وبالطالعة في الكتب الأدبية الراقية ، وبالدار على الكتابة الجيدة . فهو بهذا كلّه يستطيع أن يدرك الألفاظ والأساليب التي تناسب الموضوعات ، ويعلم أيها يحتاج إلى قوة ، وأيها لا يحتاج ، وأى الكلام يناسب المقام وأيه لا يناسب . وهذا النون الراقى هو غاية ما يصبو إليه الأدبى .

يرى أنه لما نزع الخلقة المتصنم من بناء تصره ، جلس فيه وجتمع الناس من أهله وأصحابه ، وجلس على سريره المرصع بالجواهر ، وكلما دخل رجل اجلس في المكان اللائق به ، فما رأى الناس أحسن من هذا اليوم ، ثم آذن للشمراء أن يقولوا ، فقال أصحابي ابن إبراهيم ، فكان أول بيت في قصيدة تشبيهاً بالبيار القديمة ، والأثار الدارسة ، على عادة شعراء العرب في الجاهلية فقال :

يا دار غيرك البلى فمحساك
ياليت شعرى ما المدى أيلاك

فتطير الخليفة وتطير الناس من قوله ، وانقضت مسدورهم ، ومهم الانف . وسبب هذا كلة ذوق الشاعر ، وعدم التوفيق في الكلام والأسلوب الذي يناسب الموضوع .

٢ - مطابقة الأسلوب لعقلية القارئين والسامعين ، فيجب الا يكون الأسلوب عاليا جدا يصعب فهمه ، بل يجب أن يكون في متناول عقولهم ، يستطيعون أن يدركوه في سهولة ويسر .

وخير وسيلة لرعاة هذه المطابقة ان يكون الخطيب أو الكاتب على علم تام بعقلية الناس وطبيعتهم . والكتاب أو الرواية الجديدة التي تصادف تجاحها ويستحسنها الجمهور ، ليست هي الجديدة في افكارها وموضوعها ولغتها فحسب ، بل هي التي درس كتابها - فوق ذلك - عقلية القارئ ، وكتب كتابه أو روايته على النمط الذي يفهمه ، وشعر بالصعوبات التي قد يجدها القارئ . فذلكها .

قال قائل لاين تمام ، وكان شعره عامضا ، وخاليه بعيد المثال : « لم لا تتقول ما يفهم ؟ » فقال ابو تمام : « لم لا تفهم ما يقال ؟ » ، والحق مع القائل لا مع ابي تمام . فعلى الشاعر اولا ان يراعي عقلية جمهور السامعين لا الخاصة وحدهم .

٣ - مطابقة الأسلوب لنفس المتكلم او الكاتب ، فكثيرا ما يتکلف في كتابته ، ويقدّم غير شخصيته فيخرج كلامه سموا ثقيل المطال ، فترى بعض الناس يتحدث فيمسن حديثه ، فإذا كتب سجدة كتابته ، لأنه في الأولى مطابق نفسه ، وفي الثانية تابع غيره ، فخرج الكلام ، من روح غير روحه فسمح .

فتهذيب الذوق الأدبي حتى يعرف به ما يناسب الموضوع وما لا يناسب ومعرفة طبائع الناس وعقلياتهم ، وقدرة الكاتب على تصوير مشاعره واستبداله كلامه من روحه الى كل ما يلزم الأديب ليكون اسلوبه بلينا .

وتنقل من ذلك الاجمال الى التفصيل ، فنقول :

البلاغة يوصف بها الكلام والمتكلم ، ولا يوصف بها المفرد ، فنقول :

كلام بلية . ومتكلم بلية . ولا تقول : لفظ بلية .

كلمة اتصال Communication تمتاز بالتعبير عن المفرضية والتفاعل مع ، بمعنى أنها تتلوى على معنى القصد أو التعبير ، وكذلك تعنى التفاعل

أو المشاركة . ولللفظ الارببي مشتق من الأصل اللاتيني لل فعل Communicare بمعنى : ينبع او يشيع وهذا هو الاتصال الشخصي ، او بين شخص وعده اشخاص ، او جماعة ، وهو الاتصال الجمعي البصري ، وقد يجري بين شخص او مؤسسة وعدة جماعات متفرقة لا تتصل ببعضها البعض ولا ترى مصدر الاتصال وجها لوجه ، وهذا هو الاتصال الجماهيري (١) ، الذي يعتبر التحرير الاعلامي صلبه ومنطلقه ، اذ يتوصل هذا النوع بواسطه جماهيرية هي وسائل الاعلام .

وتشير دائرة المعارف البريطانية (٢) الى معنى الاشاعة ، او مشاركة شيء ما بين شخصين او عدة اشخاص او عدة جماعات من الناس (٣) . ويؤكد خاصية التفاعل التي تميز التحرير الاعلامي من النوع التحرير الاخرى ، كما يؤكد على نتائج تلك الاتصالات او اثارها ، اذ لا يمكن تمييز الرسالة الاعلامية عن رسالة اخرى - مفهومه ومروضته - الا عن طريق هذه النتائج او ردود الاعمال التي يمكن تقديرها . وهناك الكثير من تعریفات الاتصال ، منها التعریف الذي قدمه ليلاند براون Leland Brown وهو « ان الاتصال عبارة عن عملية نقل وتلقى الحقائق والقراء والشعور والاتجاهات والاحساس وطرق الاداء والتفكير بواسطة رموز من شخص الى اخر » .

وتلاحظ تقاربًا شديد الصلة بين هذا التعریف للاتصال ، وغيره ، وبين المفهوم العربي للملاحة التي تتبئ لغة عن « الوصول والاتقاء » (٤) . يقال : بلغ فلان مراده اذا وصل اليه ، وبلغ الركب الدينية اذا انتهى اليها ، وأبلغه هو ايلاغا ، وبلغه تبليها ، ومنه قول أبي قيس بن الأسلت السلمي :

قالت ولم تقصد لغيل الخنى مهلا فقد أيلقت أسماعي

اى تد انتهيت فيه وانعمت ، وتبليغ بالشيء ، وصل الى مراده ، وبلغ مبلغ فلان وبلغته . وفي حديث الاستسقاء : « واجعل ما انزلت لنا قوة وبلغها الى حين » . والملاحة ما يتبليغ به ويتوصل به الى الشيء المطلوب ، والملاحة ما بلغه ، والملاحة : الكتابة .

(١) دكتور ابراهيم امام الاعلام والاتصال بالجماهير من ٢٤

(٢) طبعة ١٩٦٥

(٣) مجلة الفن الاذاعي ٤٦٤ م ١٣ يناير ١٩٦٩

(٤) شروح التشخيص ج ١ من ٧٢

وتقول له : في هذا بلاغ وببلغة وتبليغ . أى كتابة ، ويلفت الرسالة ، والبلاغ الإبلاغ وفي التنزير « الا يلغا من الله ورسالاته » أى لا أحد متوجه إلا أن يبلغ عن الله ما أرسلت به ، والإبلاغ : الإيصال ، وكذلك التبلية ، والاسم منه البلاغ . . . وفي الحديث « كل راقفة رفعت عنها من البلاغ فليلق عنتا » يبروي بفتح الباء وكسرها ، ويقبل من أراد من البلغين . . . ويلفت المكان بلاغا . ووصلت إليه ، وكذلك إذا شارت عليه ، ومنه قوله تعالى : « فإذا بلغن أجلهن » أى قاربته . . . وبلغت النخلة وغيرها من الشجر : حان دراك شرعا ، ويش بالغ أى جيد ، وقد بلغ في الجودة بليغا . . . وبيقال : أمر الله بلغ بالحقيقة أى باللغ من قوله تعالى : « إن الله يأبه أمره » وأمر باللغ وبلغ : نافذة يبلغ ابن اريد به ، والبلاغة ، الفصاحة ، والبلاغ : البليغ من الرجال ، ورجل بلغ ، وبلغ من الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه ، والجمع بلقاء وقد بلغ بضم اللام بلاغة أى صار بلينا ، وقول بلغة : بلغ ، والبلغن ، التمام والبلغن ، الذي يبلغ للناس بعضهم حديث بعض (١) .

والرأى عندنا أن الدلالة اللغوية العربية للبلاغة هي المقابل الصحيح لما نسميه اليوم بعلم الاتصال Communication ، فإن فن البيان ، أو فن المقد ، أو فن البلاغة مما نشأ في العصر العباسي الثاني ، ومعنى ذلك أن العرب كانوا إذا أطلقوا لفظ البيان ، أو البلاغة ، لم تتصارف إلى علم خاص ، أو اصطلاح محدد ، وإنما كانت تتصرف إلى معانيها اللغوية (٢) ، ومعنى بتاكيد أن الدلالة اللغوية للبلاغة أقرب لظاهرة الاتصال ، لأن الباحثين عن حياة البلاغة لا يلبثون أن يتجملا ظهور أقسام البلاغة الثلاثة ، من المعانى ، والبيان ، والبديع ، على ما استقر عليه الأمر في ذلك أخيرا (٣) . والتقرير فيما عداه من أوصيات الفنون الثلاثة يكشف جلاداتها ليس كذلك . فما تجده المباحث ، ومعاصروه في القرن الثالث ليست إلا انحرافات عامة ، مرسلة ، لا تلتتحق بفن من الفنون الثلاثة ، بل تصب宿 ثمار من كل واحد منها ، وشذرارات ، متفرقة ، سانحة ، فليس من علم المعانى يمعنها الآخرين ، ولا تعمد أولية له ، وليس في ذلك التاكيد أى غض من قيمة البلاغة العربية ، وإنما على التقييم لأن دلائلها اللغوية أعمق بكثير حين تقابل المقصود من علم الاتصال وهو علم اشتمل من دراسة الجزئيات البيانية أو البديعية ، هو علم أقرب حقيقة إلى ما يسميه الاستاذ أمين الخولي رحمة الله يرقن ، القول « كيف وهم يمكن ، ولو أن في ذلك تحديدًا لجانب من جوانب الاتصال أو البلاغة العربية ، ومعنى به « التصرير الاتصالى » . ولذلك لم يتمكنوا بالتقدير بين البلاغة والفصاحة أولا ، كما يظهر

(١) انظر لسان العرب لأبن منظور مادة بلغ .

(٢) (٣) أمين الخولي : مناهج تجديد من ١٠٩ ، ١٢٢ .

من استعمال الجاحظ في البيان والتبيين ، وكما يقول أبو هلال المسكري – المصناعتين : من ٧ مـ الاستاذة سنة ١٢٢٠ هـ : « و اذا كان الامر على هـذا فالفصاحة والبلاغة ترجعان الى معنى واحد ، وان اختلف اصلاهما ، فان كل واحد منها اثناـ هو الايـة عن المعنى والاظهار له » .

ولقد كان اختلاف في الاصل اللغوي سبب تفرقـ بينهما ، على حد تعبيرـ الشـيخ امـين الخـواـليـ ، ظـلـ يـنـتـرـ معـ الزـمـنـ حـتـىـ اـسـتـقـرـ الـاصـطـلاحـ التـعـلـيمـيـ الشـالـبـ ، عـلـىـ انـ الفـصـاحـةـ توـصـتـ بـهـاـ الـكـلـمـةـ وـالـكـلـامـ وـالـمـكـلـمـ ، وـانـهاـ تـكـوـنـ بـدـوـنـ الـبـلـاغـةـ ، وـانـ الـبـلـاغـةـ يـوـضـعـ بـهـاـ الـكـلـامـ وـالـتـكـلـمـ دـوـنـ الـكـلـمـةـ الـفـرـدـةـ ، وـلاـ تـكـوـنـ بـدـوـنـ فـصـاحـةـ ؛ وـظـلـتـ الـكـتـبـ التـاـخـرـةـ تـشـيرـ إـلـىـ اـمـكـانـ التـسـوـيـةـ بـيـنـ الـكـلـمـتـنـ ، وـانـ كـتـاـنـ تـذـهـبـ إـلـىـ اـنـ هـذـهـ التـسـوـيـةـ اـنـاـ تـدـرـجـ تـحـتـ اـطـارـ الـظـاهـرـةـ الـعـامـةـ الـتـيـ يـقـابـلـ فـيـهـاـ الـسـادـلـوـلـ الـلـغـوـيـ الـعـرـبـيـ لـكـلـمـةـ «ـ الـبـلـاغـةـ »ـ مـفـهـومـ «ـ الـاتـصـالـ »ـ بـمـعـناـهـ الـمـتـعـارـفـ عـلـيـهـ .

وعـلـىـ ذـلـكـ فـانـ الـارـتـيـاطـ الـوـثـيقـ بـيـنـ الـلـغـةـ وـالـاتـصـالـ ، وـاعـتـيـارـ الـلـغـةـ اـهـمـ وـسـيـلـةـ فـيـ عـلـيـةـ الـتـحـرـيرـ ، لـيـعـنـىـ اـنـ «ـ الـلـغـةـ وـالـاتـصـالـ مـتـرـادـفـانـ »ـ ، ذـلـكـ اـنـاـ اـذـ اـسـتـمـعـنـاـ إـلـىـ حـوـارـ اوـ مـنـاشـةـ قـصـيـةـ بـيـنـ اـثـنـيـنـ اوـ اـكـثـرـ ، فـاـنـاـ مـسـتـمـنـعـ بـيـنـ عـبـارـاتـ مـتـبـاـلـةـ مـثـلـ «ـ اـنـ »ـ ، مـاـذـاـ تـحـاـولـ اـنـ تـقـولـ كـهـذاـ .. وـ «ـ ذـلـكـ لـيـسـ قـصـيـدـيـ »ـ ، وـ «ـ فـيـ الـوـاقـعـ .. يـعـنـىـ اـرـيدـ اـنـ اـقـولـ .. اـنـ »ـ ، اـلـمـ اـذـيـ يـبـيـنـ لـنـاـ كـيـفـ اـنـ قـدـرـ الـبـشـرـ عـلـىـ اـسـتـمـعـالـ الـلـغـةـ – الـلـسـانـيـةـ – للـتـبـيـرـ عـنـ ذـوـاتـهـمـ ، لـيـعـنـىـ بـالـضـرـورةـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ عـمـكـهـمـ مـنـ الـاتـصـالـ بـالـأـخـرـيـنـ ، وـتـقـيـقـ اـهـدـافـ هـذـهـ الـاتـصـالـ . فـالـلـغـةـ الـلـسـانـيـةـ لـيـسـتـ فـيـ كـلـ الـأـخـرـاـنـ مـرـاـيـةـ لـلـاتـصـالـ ، لـقـدـ هـنـاكـ اـشـارـاتـ وـالـعـلـامـاتـ وـغـيـرـهـاـ مـاـ يـقـومـ بـوـظـيـفـةـ الـلـغـةـ الـلـسـانـيـةـ (١)ـ .

تحـوـيـلـ بـلـاغـةـ جـديـدةـ

انـ مـوـضـوـعـ الـعـلـاـقـةـ بـيـنـ الـبـلـاغـةـ وـالـلـغـةـ الـلـسـانـيـةـ يـتـطـلـبـ توـعاـ منـ الـاتـقـاـنـ حـولـ الـمـصـطـلـحـاتـ الـاـسـاسـيـةـ . وـرـبـماـ يـمـنـ لـنـاـ اـنـ تـصـمـمـنـهـاـ الـمـنـوـجـ الذـيـ يـصـلـبـهـ عـلـامـ الـلـغـةـ الـلـسـانـيـةـ عـنـدـمـاـ يـقـرـرـهـمـ وـجـودـ اـصـوـلـ مـنـشـرـكـةـ لـجـمـيعـ اوـ مـحـمـمـ الـلـغـاتـ الـلـسـانـيـةـ الـتـيـ يـتـوـسـلـ بـهـاـ النـاسـ فـيـ اـيـةـ عـنـ اـنـقـسـمـهـ وـالـاتـصـالـ بـيـنـهـمـ وـهـمـ يـتـصـوـرـونـ اـنـ هـنـاكـ سـلـالـاتـ نـفـوـيـةـ وـانـ كـلـ سـلـالـةـ اـنـاـ اـخـسـدـتـ عـنـ اـصـلـ اـطـلـقـوـاـ عـلـيـهـ مـصـطـلـحـ الـلـغـةـ اـلـمـ . وـعـلـىـ هـذـهـ التـهـجـ يـسـتـطـعـ الدـارـسـ لـعـلـةـ

اللغة بهذه الأجناس الإعلامية ، إن يفترض أيضا وجود لغة يمكن أن تحد
بمتابة الام لجميع الفنون التي استوعبتها حضارة الإنسان .

وإذا كنا قد ذهينا إلى أن الوظائف الإعلامية هي التي خلقت الوسائل أو
الأجناس الإعلامية ، فلأننا تستطيع أن نطرح هنا قانوناً اعلامياً ، وذهب إلى أن
البلاغة الجديدة ترتبط بكل جنس اعلامي ، ذلك أن كل جنس أو وسيلة من
وسائل الاعلام أثار كل منها أملاً وأثار سخطاً ، وأصبح كل منها
وسيلة للتاثير ذات قوة وسيطرة على عقول الناس . ولكن هذه
القدرة واحدة بينها جميعاً : ذلك أنها ليست كاملة في الوسيلة ذاتها وإنما في
النزاعات المفروضة في أعماق الناس ، والتي يعبر عنها باللغة الإنسانية ، جاءت
وسائل الاعلام فأظهرت تلك النزاعات لكنها لم تخلقها كما أن مصدر هذه القوة
نفسه ينبع من هذه الوسائل جميعاً . وإذا كان المصدر واحداً فإن الأساليب
مختلفة ، لأن لكل جنس اعلامي أسلوبه وخصائصه الامر الذي يجعل «الرسالة»
الاعلامية ليست مضمونة فحسب وإنما .. «فن تطبيق الكلام المناسب
لل موضوع وللحالة وللوسيلة الإعلامية على حالة المستقبل » . فاللغة في كل
وسيلة من وسائل الإعلام تتميز بطبيعة جنسها الاعلامي الذي ينحو نحو اختيار
اللغة والأسلوب والبلاغة ، ولذلك فإن لغة الجنس الصحفى لها خصائص
تتعارض بها عن لغة الجنس الاندماجى المسحوم مثلاً . وليس ثمة تعارض بين
الأجناس الإعلامية ، فالجنس الاندماجى المسحوم لم يقضى على الجنس الصحفى
المقصود ، وقد اثبتت دراسات عديدة أن الاستماع إلى الراديو لا يتناقض
بالضرورة مع قراءة المادة المطبوعة ، وإن كان يتكامل معها : فاللغة في كل
وسيلة أو جنس اعلامي تختلف باختلاف القدرة الاقناعية لهذه الوسيلة أو ذلك
الجنس الذي له إمكانات وخصائص ومميزات ..

ولقد تنبأ علماء البلاغة العربية إلى ما تذهب إليه من أن اللغة هي الجنس
الاعلامي ، نذكر من ذلك ما كتبه «أبو الحسين المكتاب» في كتاب «البرهان
في وجوه البيان» ، والذي نسب خطأ لعدامة بين جعفر بن عثوان «لقد اللثر» يقول
أن «البيان على أربعة أوجه فنّه بيان الاشیاء بذواتها» وإن لم تكن بلغاتها
ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند اعمال الفكر والطلب ومنه البيان باللسان
ومنه البيان بالكتاب وهو الذي يبلغ من بعد وغاب (١) .

(١) أبو الحسين المكتاب : (تحقيق د. أحمد مطلوب و د. خديجة
الحسيني) البرهان في وجوه البيان - بنداد من ٦٠ وما بعدها .

وفي تقديرنا ان هذا العالم العربي الذى ألف كتابه بعد عام ٢٣٦ م . قد وضع لعلماء الاتصال تصنيفا علميا قبل أن يضع روיש Ruesch وبتصون Bateson تصنيفهما الرياعي للاتصال (١) والذي يتفق الى حد كبير مع تصنيف صاحب « البرهان » ، وحيث يذهبان الى تقسيم الاتصال الى أربعة اقسام :

الاول : وهو الاتصال الذاتى Intrapersonal اي الاتصال بين الفرد وزاته ، وهو يتمثل في الشعور والوعي والتفكير والوجود والعمليات النفسية الداخلية . وفي هذا الاتصال الذاتى يقع الوجهان الاولان عند صاحب « البرهان » يقول :

والأشياء تبين للناظر المتوصم والمعاقل المتبين بذواتها ويعجب تركيب الله فيها ، وأثار صفاتها كما قال تعالى : « إن في ذلك آيات للمتوصمين » (سورة الحجر / ٧٥) وقال : « ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يقلدون » (سورة العنكبوت / ٣٥) .

« ولذلك قال بعضهم : قل للأرض : من شق أنها رك وغرس أشجارك وجني ثمارك ؟ فلن أجربك حوارا والا أجربتك اعتسرا » فهي وإن كانت صادقة في نفسها فهي ناطقة بظاهر أحوالها . وعلى هذا النحو استنبطت العرب الربع وخاطبوا الطلال وتنطق عنده بالجواب على سبيل الاستعارة في الخطاب . وقد قال الله عن وجل في هذا المعنى : « أو لم يسيراوا في الأرض فينظروا كيف كان عاقلة الذين كانوا من قبليهم » (سورة البروم / ٩) وقال الشاعر (من الكامل) :

يا ربى عبلة بالجنساب تكلم
وأين لنا خيرا ولا تستجم
ما لي رايتك بعد اهلك موحشا
خلقنا كحوش الباقي المتهشم

فاستنبط ما لا ينطق بلسانه ، لأن احواله مظهره لبيانه ، وقال آخر فاجاب عن صامت غير مجيب ، لما ظهر من حاله للقلوب (من الطويل) :

فاجهشت للتقويد حين رأيته
وكبر للرحمـن حين رأى

نـقلـتـ لـهـ :ـ أـيـنـ الـذـينـ عـهـدـتـهـ
حـوـالـيـكـ فـيـ عـيـشـ وـخـيرـ زـمـانـ

فـقـالـ :ـ مـضـواـ وـاسـتـرـدـعـونـيـ دـيـارـهـ
وـمـنـ ذـاـ الـذـيـ يـقـيـ علىـ الـحـدـثـانـ ؟ـ

ـ وـأـنـماـ تـبـيرـ هـذـهـ الـأـشـيـاءـ مـنـ اـعـتـرـ بـهـ ،ـ وـتـبـينـ لـنـ طـلـبـ الـبـيـانـ مـنـهـ ~
ـ وـلـذـلـكـ جـمـلـ اللهـ عـزـ وـجـلـ الـأـيـةـ فـيـهـاـ لـمـ تـبـسـمـ وـتـفـكـرـ وـعـقـلـ وـتـذـكـرـ ،ـ فـقـالـ :ـ «ـ أـنـ فـيـ
ـ ذـلـكـ لـاـيـاتـ لـلـمـقـومـسـمـينـ »ـ وـ «ـ أـنـ فـيـ ذـلـكـ لـاـيـاتـ لـقـومـ يـتـفـكـرـونـ »ـ (ـ سـوـرـةـ الرـعـدـ ٢ـ)ـ
ـ وـ «ـ أـنـ فـيـ ذـلـكـ لـاـيـاتـ لـقـومـ يـعـقـلـونـ »ـ (ـ الرـعـدـ /ـ ٤ـ)ـ وـ «ـ أـنـ فـيـ ذـلـكـ لـاـيـةـ لـقـومـ
ـ يـذـكـرـونـ »ـ (ـ النـحـلـ :ـ ١٣ـ)ـ .ـ فـهـذـاـ وـجـهـ بـيـانـ الـأـشـيـاءـ يـذـوـاتـهـ مـنـ اـعـتـرـ بـهـ ،ـ
ـ وـطـلـبـ الـبـيـانـ مـنـهـ ،ـ فـادـاـ حـصـلـ هـذـاـ الـبـيـانـ لـلـمـقـوـمـ صـارـ عـالـاـ بـعـانـيـ الـأـشـيـاءـ
ـ وـكـانـ مـاـ يـعـقـدـ مـنـ ذـلـكـ بـيـانـ ثـانـيـاـ غـيـرـ ذـلـكـ الـبـيـانـ وـخـصـ بـاسـمـ الـاعـتـقادـ »ـ

ـ وـمـنـ ذـلـكـ بـيـانـ أـنـ الـبـلـاغـيـ الـعـرـبـ يـقـسـمـ الـاتـصالـ الذـاتـيـ إـلـىـ قـسـمـيـنـ ،ـ
ـ يـحـدـثـانـ دـاخـلـ الـفـرـدـ .ـ وـفـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ قـانـ الـرـسـلـ وـالـمـسـتـقـلـ شـخـصـ وـاحـدـ ،ـ
ـ وـهـوـ مـنـ هـذـاـ .ـ يـتـقـنـ مـعـ النـظـرـةـ الـحـدـيـثـةـ (ـ ١ـ)ـ الـتـيـ تـذـهـبـ إـلـىـ أـنـ الـاتـصالـ
ـ الذـاتـيـ يـتـضـمـنـ الـأـنـطـاطـةـ الـتـيـ يـطـورـهـ الـفـرـدـ فـيـ عـلـمـيـةـ الـأـدـرـاكـ ،ـ أـيـ الـأـسـلـوبـ
ـ الـذـيـ يـبـسـرـ لـهـ الـمـلـاحـظـةـ وـالـتـقـوـيمـ وـاـضـفـاءـ مـعـنـىـ عـلـىـ الـأـفـكـارـ وـالـأـشـيـاءـ
ـ الـحـيـطةـ

ـ فـالـاتـصالـ الذـاتـيـ أـنـ يـضـمـ وـجـهـيـنـ مـنـ وـجـوهـ الـبـلـاغـيـ الـعـرـبـ
ـ هـمـاـ :ـ الـاعـتـقادـ وـالـاعـتـقادـ »ـ وـهـوـ يـتـسـرحـ الـوـجـهـ الـأـوـلـ فـيـقـولـ (ـ ٢ـ)ـ :

ـ أـنـ الـظـاهـرـ مـنـ ذـلـكـ مـاـ أـدـرـكـ بـالـحـسـنـ كـتـبـيـنـاـ حـرـارـةـ النـارـ وـبـرـودـةـ الـثـلـجـ
ـ عـلـىـ الـلـاـقـةـ لـهـمـاـ ،ـ أـوـ مـاـ أـدـرـكـ بـنـظـرـةـ الـمـقـلـ الـتـيـ تـتـسـاوـيـ الـمـقـلـ فـيـهـاـ مـثـلـ
ـ تـبـيـنـاـ أـنـ الزـوـجـ خـلـافـ الـفـرـدـ ،ـ وـانـ الـكـلـ أـكـثـرـ مـنـ الـجـزـءـ »ـ وـالـبـاطـنـ مـاـ غـابـ

١) Ronald L. Appelbaum, et al, Fundamental Concepts in Human communication C.N.Y. : Harper and Raw 1973). pg. 12—13.

وـ دـ.ـ جـيـهـانـ وـشـتـىـ الـأـسـسـ الـمـلـيـةـ لـنـظـرـيـاتـ الـاعـلـامـ منـ ٨٢ـ

(ـ ٢ـ)ـ الـبـرـهـانـ فـيـ وـجـهـ الـهـيـانـ .ـ مـرـجـعـ سـبـقـ حـنـ ٧٧ـ

عن الحس ، واختلفت العقول في اثنين ، فالظاهر مستغن بظهوره عن الاستدلال عليه والاحتياج له ، لأنه لا خلاف فيه ، والباطن هو المحتاج إلى أن يستدل عليه بضروب الاستدلال ، ويعتبر بوجوه المقاييس والأشكال ، والطريق إلى علم باطن الأشياء في ذاتها والوقوف على أحكامها ومعانها من جهتين ، وهما : القياس والخير » .

والبلاغي العربي يذهب إلى ما ذهب إليه العلماء الحديثون من أمثال بركو ويزمان^{١)} من أن المكان الحس يتأثر بمنبهات داخلية سيكولوجية وفسسيولوجية ومنبهات خارجية موجودة في محبيه يتلقاها الفرد في شكل تفضيات عصبية تنتقل إلى المقل الذي ينتقى منها ويفكر فيها ، ويختد قراره وفقاً لعملية تمييز ، تليها عملية إعادة تجميع المنبهات التي تم اختيارها في مرحلة التمييز ، ثم يتم ترتيب تلك المنبهات في شكل خاص له معنى عند الفرد القائم بالاتصال الذي يحوالها إلى رموز فكرية ، قبل أن يبعث بها في رموز مادية ملموسة يتلقاها مستقبل آخر ، أي قبل أن يتحول الاتصال الذاتي إلى نمط آخر من انماط الاتصال .

ويذهب البلاغي العربى إلى أن هذه العملية التي تحدث عنها « برك ويزمان » من بعد ، تتم من طريقين مما : القياس والخير ، وجنته في القياس « إن الله - من وجل قال : « فأعثروا يا أولى الإيمان » (المبشر : ٢) وكذلك الأمثال التي جاءت في كتابه « مثل هذا وكذا » في مواضع كثيرة ، وذلك كله تشبيه وقياس ، وايضاً قد قاس في كتابه ، فقال إن حرم وحل وهو جاحد للرسل الذين يأتون بالتحليل والتحريم : « إم حكمت شهداء آدم وصادكم آدم بهدا » (الإنعام / ١٤٤) وقال : « قيل الله أذن لكم ، إم على الله تقررون » (يونس / ٥٩) . فلما لم يعترضوا أن دعوا أن الله سبحانه شاهدهم بذلك ، وكان من قولهم واعتقادهم إبطال الرسل الذين يؤمنون عن الله - من وجل أمره ، تبين لهم أن الذي شرعوه لأنفسهم ضلال وبغيتان من غير حجة ولا سلطان ، فقال لهم بعد أن تبين ذلك منهم : « فمن أفلام من من أفترى على الله كتاباً ليحصل الناس بغير علم أن الله لا يهدي القوم الفاسدين » . (الإنعام / ١٤٤) .

« ومن الحديث ما حديث به زيد الياامي برفعه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : « كل قوم على زينة من أمرهم ، ومفحة عند

1) G. Wiseman and L. Barker, Speech-International Comm.

أنفسهم يردون على من سواهم ، والحق في ذلك يعرف بالمقاييس عند ذوى الألباب (١) *

وإذا كانت أوجه النشاط فى الاتصال الذاتى تتفاوت وتتباين بنظرية المقام بالاتصال فى الحسناة ، وبكل الاعتبارات الشخصية والهروبية والثقافية والاجتماعية ، كما تتأثر بتجاربها (٢) فإنها تتوصل بالخبر كما تتوصل بالقياس وحجة ابن وهب (٣) فى ذلك قول الله عن رسول : « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الْفَكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (الأنبياء / ٧) . فأسأل الذين يقرأون الكتاب من قبيلك « (يونس / ٩٤) » . ولم يكن ليأمر بمسائلهم اذا لم نعلم الا وآخبارهم تقيينا علما ، وتنزيل عنا شكـا . ومن الاشر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَضَرَّ أَهْلُ امْرِهَا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَاندَاهَا » وقوله : « يُلْيِغُ الشَّاهِدَ مِنْكُمُ الْقَاتِلَ » ولم يأمر بذلك الا وابلاغ الشاهد القاتل يوجب الحجة ، واستعمال المقاتل من الشاهد يكسب علما وفائدة » (٤) *

وعلى ذلك يمكننا ان نقول ان نموذج البلاطى العربى فى الاتصال يختلف عن كثير من النماذج التى وصفت عملية الاتصال ، وكأنها تسير فى اتجاه واحد ، وهو اقرب الى نموذج « بارنلنـد » (٥) من حيث ان الاتصال عنده ذو طبيعة ذاتية اى يسير فى اتجاهين من المرسل الى المستقبل ، ومن المستقبل الى المرسل ، ولم يقتصر هذا النموذج على الخصائص البنائية للاتصال ، اى على المكونات مثل المصدر والرسالة والوسيلة والمستقبل ، بل يتم ايضا بالسلالة الوظيفية التى تحكم الجوانب التكتوبية وهو يؤكد ان الاتصال عملية ، كما يذكر على العلاقات الفعلية التى تدخل فى ظاهرة الاتصال . وقد أكد « بارنلنـد » فى النموذج الذى قدمه عن الاتصال أهمية الدلالات المتعددة التى تصنـع التأثيرات الداخلية والخارجية (٦) او « الاعتقاد » و « الاعتبـار » ، كما يذهب الى ذلك « ابن وهب » . وقد رأينا انه يذهب الى ان الاعتبار يتوصل بالقياس والخبر . والخبر منه يقين و منه تصديق ، فالملحقين ينقسم شـاثة

(١) البرهان فى وجوه البيان نفس المرجع من ٧٤ وما بعدها .

(٢) د . جيهان رشـنى نفس المرجع من ٩ .

(٣) البرهان فى وجوه البيان نفس المرجع من ٧٥ .

(٤) البرهان فى وجوه البيان : نفس المرجع من ٧٥ .

(٥) د . جيهان رشـنى نفس المرجع من ٨ .

3) Dean Barnlund, Interpersonal Comm : Survey and Studies (Baston : Haughton Mifflin (1968) pp. 26—27.

القسم (١) • أحدهما : خبر الاستفاضة والتواتر الذي يأتي على السن الجماعة المتباينة ممهم وارادتهم وبذاته ، ولا يجوز أن يتلاقو فيه ويتواءلا عليه ، فذلك يعني يلزم العقل الاقرار بصحته . وبهذا النوع من الاخبار الزمرة الله - عن وجع حجج الآباء عليهم السلام ونحن لم نشاهدهم ولم نرائهم . والثاني : خبر الرسل عليهم السلام - ومن جرى جرائم من الأئمة الذين قد قاموا البراهين والحجج من العقل عند ذوى العقول على صدقهم وعصمتهم ، وظهور العجزات التي لا يجوز أن تكون نوع من الحيل . والثالث : ما تواترت اخبار خاصة مما لم تشهده العامة فان تواترهم في ذلك نظير تواتر العامة (٢) .

واما خبر التصديق فهو الذى يأتي به الرجل والرجلان والاكثر فيما لا يوصل الى معرفته من القياس والتواتر ، ولا اخبار المعمومين ولا يعلم الا من جهة الاحاد ، وذلك مثل الفتيا في حوادث الدين التي ابتنى بها قوم دون اخرين . وقد يستتبط علم باطن الاشياء بوجه ثالث وهو الفتن والمخمين وذلك فيما لا يوصل اليه مقاييس ولا يأتي فيه خبر . وفي الفتن حق وباطل (٣) .

وهكذا يذهب ابن وهب الى أن ما تبين عنه الاشياء بذواتها في الاتصال الناوى يقوم على « اليقين » ، وهو ما تعرف المقول بصحته وبذاته الاقرار به . و « تصدق » وهو تقنع النقوس به ، وان كان في الممكن ان يقع او غيره او كد من موقعه . و « ظن » قد احتيط فيه حتى وقع موقع اليقين عند مستعملة (٤) .

اما بيان « الاعتقاد » فانه يشكل مع بيان « الاعتقاد » ما يحدث في عقل المرسل والمستقبل ، الامر الذى يوضح أهمية الاطار الذى يحدث فيه الاتصال ، والقالب الاجتماعى الذى يحدث فيه التفاعل ، ذلك ان الاشياء اذا بنيت بذواتها للمقول وترجمت عن معاناتها وبواطتها للقاوب . صار ما يكتشف للذين من حقيقتها عربة وعلما مركوزين في نفسه . وهذا البيان على ثلاثة اضروب فمه : حق لا شبهه فيه ، ومنه علم مشتبه يحتاج الى تقويته بالاحتجاج فيه ، ومنه باطل لا شكه فيه (٤) .

ويذهب .. « بارنلند » الى أن نقل المعنى في الاتصال الشخصى أمر شديد التعقيد ، دينامي ومستمر ودائري لا يتكرر ولا يرتد . وان المعنى « يختلف » او

(١) البرهان - نفس المرجع ص ٩٠ .

(٢ ، ٣ ، ٤) البرهان - المرجع ص ٩٠ - ١٠١ .

« يصنفه » القائمون بالاتصال حينما يستجيبون للدلائل المادية والسيكولوجية عند القائمين الآخرين بالاتصال . وذلك مع دلالات أخرى موجودة في الظروف المحيطة . ولعلنا نستطيع الإفادة من نموذج « بارتلند » في فهم الاتصال الذاتي عند الملايين العرب .

في هذا الشكل يتضح أن المفرد نظام اتصال يفك الرمز ويعطي الرموز عديدة متوازنة في مجال ادراكه عن طريق تحويل الأشياء التي يميزها حسياً إلى دلالات أو رموز لغوية تظهر للأخرين . وهناك على الأقل ثلاثة أنواع من العلاقات أو الدلالات الادراكية التي يعطيها المفرد معنى في هذا الطرف هي (١) :

ما يسميه ابن وهب (٢) : « الحق الذي لا شبهة فيه أو « علم اليقين » . واليقين ما ظهر من مقدمات قطعية ظهور الحرارة للمتطلب عند توقيد اللون وسرعة النبض وأحمرار البول ، أو عن مقدمات ظاهرة في العقل كظهور تساوى الأشياء إذا كانت متساوية شرعاً واحداً ، وكظهور زيادة الكل على الجزء .. أو عن مقدمات خلقية مسلمة بين جميع الناس كظهور تبيح الظلم ، وكل خير أتي على التواتر من العادة أو التواتر من الخاصية أو سمع من الآباء وكل هذا يوجب العلم . ومن شك في شيء منه كان أثماً ، وذلك صار من شك في الباري — عن وجوب كافراً ، لأن نتيجة المعرفة به عن مقدمات ظاهرة للعقل . وكذلك من شك فيما تواترت به الرواية أو تضمنه الكتاب الذي نقله من يجب بتنقله الحجة » (٣) .

وهذه الدلالات قد تتكون من المشتبه الذي يحتاج إلى التثبت فيه ، واقامة الحجة على صحته ، وكل نتيجة ظهرت عن مقدمات غير قطعية ، ولا ظاهرة للعقل بأنفسها ولا مسلمة عند جميع الناس ، بل قد تكون مسلمة عند أكثرهم ، أو يظهر للعقل تغييرها ، وتغيير المحسن منها ، والاستدلال عليها ، وذلك كرأى كل قوم في مذاهفهم ، وما يمحجون به لتصحيح اعتقادتهم ، وتحلهم . وكل خير أتي به الأحاديث والجماعات التي لا يبلغ خبرهم أن يكون متواتراً بل يجوز على مثلهم في العادة الاجتماع على الكذب والاتفاق عليه إذا كانوا عدولًا ولم يخالف قولهم ما جرى به المعرف والعادة ، وذلك مثل روايات كل قوم فيما اعتقدوه وآخيارهم عن أهل العدالة عندهم فيما اجتبوا . وكل ظن قويت شواهده وكان الاحتياط في الرأي والدين قطبيه ، وكل هذه الأمور التي

(١) د. جيهان رشتي : نفس المرجع ص ١٠١ .
(٢) البرهان ص ١٠١ .

عدينها فانما ياتي العلم بها على التصديق لا على اليقين ، والجدة على معنى الاقناع لا البرهان ، وهي توجب العمل ولا توجب العلم^(١) .

ومن ذلك يتضح أن الدلالات قد تكون عامة ، وقد تكون خاصة ، قد تكون لفظية وقد تكون غير لفظية في شكلها ، وان وجهى البيان اللذين ذكرهما ابن وهب : **الاعتبار والاعتقاد** ، اثنا هما وجهاً لاتصال المذاقى ، بالصلة الحديث . والاعتبار والاعتقاد كما تحدث عنهما البلاغي العربي يكتفىانه عن الطريقة التي يتصل بها الانسان مع نفسه و « يتفرد بها وحده » على حد تعبير ابن وهب^(٢) .

والنوع الثاني من الاتصال في تقسيم « رويش » و « بيترون » هو الاتصال الشخصي ، أي بين فرد وفرد آخر ، وهذا يعنى الاتصال من فقد بعض المعلومات . ويقابل هذا الاتصال الشخصي ، في تصنيف ابن وهب^(٣) : **البيان بالبيان** ، ذلك أن ما يعتقده الانسان من بيان الاعتقاد ويحصل منه غير متعد له إلى غيره قد أراد الله من وجل أن يتم منه فضيلة الانسان ولذلك خلق له اللسان واطلقه بالبيان ، فخير به مما في نفسه من الحكمة التي أفادها ، والمعرفة التي اكتسبها ، فصار ذلك بياناً ثالثاً ، اوضح مما تقدمه ، واعم تماماً . لأن الانسان يشترك فيه مع غيره ، والذي قبله اثنا ينفرد به وحده الا ان البيانات الاولى بالطبع ، فيما لا يتغيران . وهذا البيان الذي يعدد بالوضيع فيما يتغيران وتتغير اللئالت ، ويبياناً تبيان الاصطلاحات . الا ترى ان الشمس واحدة في ذاتها ، وكذلك هي في اعتقاد العرب والمسلمين ، فاذ صررت الى اسديها وجدت في كل لسان من الالسن بخلاف ما هو في غيره . وكذلك الكتاب فان الصور والمحروف تتغير فيه بتغير لغات اصحابه وان كانت الاشياء غير متقدمة بتغير الالسن المترجمة عنها . ولشرف البيان وفضيلة اللسان قال امير المؤمنين عليه السلام : « الام محبوب تحت لسانه فادا تكلم قلبه » . وهذا من اشرف الكلام وأحسناته واكثره معنى وأحسنها ، لأنك لا تعرف الرجل حق معرفته ، الا اذا خاطبته وسمعت منطقه ، ولذلك قال بعضهم وقد سئل : في كم تعرف الرجل ؟

قال : « ان سكت ففي يوم ، وان نطق ففي ساعة ، وقال بعض الحكماء : « ان اد - سبحانه - أعلى درجة للمسان على سائر الجواهر فاطلقه بتجديده » .

(١) المرجع السابق من ١٠٢ .

(٢) البرهان من ٦٠ .

وإذا كان الاتصال الذاتي يحدث داخل الفرد ، فإن الاتصال الشخصي يحدث بين فردین ، بحيث تجد نفس عناصر الاتصال الذاتي في عملية الاتصال الشخصي . ومن النماذج النظرية الم Osborne الأولى النموذج الذي قدمه « كلاود شانون » سنة ١٩٤٨ ، على أساس من المفاهيم الرياضية بحيث يشمل مسيرة يختار رسالة يتم وضعها في رمز يوصل رسالة جهاز ارسال يحوال الرسالة الى إشارات ، ثم يقوم جهاز الاستقبال بذلك الرموز ، ويحوّلها الى رسالة يستطيع الهدف استقبالها . والتغيرات التي تطرأ على الرسالة في جهاز الارسال وجهاز الاستقبال ترجع الى خروث التشويش . وقد قال « شانون » إن الاتصال يمكن دراسته من الناحية الفنية « بتاكيد المشاكل الفنية في ارسال الاشارة » او من الناحية الدلالية (بتاكيد مشاكل المعنى) او من ناحية التأثير بتاكيد النتائج السلوكية) (١) .

وقال الشاعر العربي ملخصا هذا النموذج :
وَهَذَا الْلِسَانُ بِرِيدِ الْفَزَا دَ ، يَدِلُ الرِّجَالَ عَلَى عَقْلِهِ

وقال آخر :

وَكَانَنْ تَرَى مِنْ صَامِتَ لَكَ مَعْجَبٌ زِيَادَتِهِ أَوْ نَقْصَهُ فِي التَّسْكِينِ
فَاللِّسَانُ تَرْجِمَانُ الْلُّبِّ وَبِرِيدُ الْقَلْبِ ، وَالْمِبْينُ عَنِ الْاعْتِقَادِ بِالصَّحَّةِ
وَالْفَسَادِ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ (مِنَ الْكَاملِ) (٢) :
أَنَّ الْكَلَامَ لِفِي الْفَؤَادِ وَأَنَّمَا جَلَّ الْلِسَانَ عَلَى الْفَؤَادِ بِلِيلًا

وفي الجمال كما قال الله عز وجل - « ولترقفهم في لحن القول » (محمد ٢٠) وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد سأله العباس فقال : فيه الجمال يا رسول الله ؟ فقال : في اللسان . إلا أنه لما كان النغم للناس شاملًا والجمل في الكثرة فاشيا وكان كثير منهم .

اما الرابع فهو الاتصال الثالثي Cultural حيث تتفاعل البيئة الثقافية في شكل عمليات اجتماعية ، تتزرع فيها المعلومات والتأثيرات والنظمات ،

(١) د. جيهان رشتي ، نفس المرجع ص ١١١
Claude Shannon and Warren Weaver, The Mathematical Theory of Comm. (Urbans, 1969).

(٢) البرهان في وجوه البيان من ٦٢

وتلعب الجماعات الواجهية والكلمات والأساطير ووسائل الإعلام أدواراً المعقدة للغاية . وقد ذهب «رويش وبيسنون» إلى أن الاتصال الاتصاني نوع من الاتصال الآليكتروني ، غير أن البحوث التي اتت فيما بعد أخذت توضح أن التعرض للمعلومات ليس تعرضاً سلبياً ، لأن الجمهور المستقبل يلعب دوراً إيجابياً في استقبال الرسالة . ولا تقوم الرسالة في الواقع أكثر الاياعادة بتعزيز العناصر النفسية عن طريقة الرمز أو الاشارة أو الموضوع . وكثيراً ما يرى يريفن المستقبل الرسالة ولا تؤثر فيه إذا كان ذلك يتعارض مع قيمة رسالته والمكانة⁽¹⁾ .

وتأسسا على هذا القيم ، كان البلاغي العرب حين يتحدث عن البيان بالكتاب ، اتى يتحدث عن نوع من الاتصال مختلف عن الاتصال الثاني ، والاتصال الشخصي ، ذلك أن البيان بالكتاب كما يقول « ابن وهب » (٢) : هو « الذى يبلغ من بعد وغاف » .. ذلك أن الله عن وجل أراد أن يتم بالتفع في البيان جميع أصناف المياد وسائر أفاق البلاد ، وأن يساوى فيه بين الماضين من خلقه وأبقائه ، والآولين والآخرين ، لهم عيادة تصوير كلامهم بمحروف أصلحوا عليها . فخلدوا بذلك علومهم عن بعدم وعبروا به عن القاطمين ، ونالوا به ما دفع عنهم ، وكملت بذلك تعميم الله عليهم ، وبلغوا بها الغاية التي قصدماها عن وجل في آفاههم وابجاح الحجة عليهم ، ولو لا الكتاب الذي قيد على الناس أخبار الماضين لم يجب حجة الأنبياء على من أتى بعدهم ، ولا كان التقليل يصح عنهم ، ولذلك حارت الأمم التي ليس لها كتاب قليلة العلوم والأداب ، وقد امتحن الله عن وجل تعليم الكتاب في كتابه ، وبين احتجاجه على الناس به فقال : « أقرا وربك الأكرم الذي علم بالقلم الاتسان ما لم يعلم » (الملك ٤ ، ٥) ، وقال عن وجبل : « ألم قاتلهم بيتهما ما في المصطف الأولي » صادر عن « الأحقاف ٤ » .

«الاتصال بالجماهير» إذن يتم من جانب واحد لكن يبلغ من «بعد وغایب» على حد تعبير البلاغي العربي، فلا تناحر للقارئ أو المستمع أو المشاهد طريقة سهلة لكن يوجه الأسئلة، أو يعقب أو يستعرض ما عرض عليه، وإذا كان الاتصال الشخصي يمتاز بتعديل الرسائل المتباينة على ضوء رجع المصدى من المستقبل إلى المرسل، فإن وسائل الإعلام تقدّم هذه الميزة Feedback

(١) د. ابراهيم امام : الاعلام والاتصال بالجماهير ، مرجع سابق من ٦٤.

(٢) البرهان في وجوه البيان : نفس المرجع من ٦٦ وما بعدها .

الكبيرة ، ولكنها تحاول التعمييض عنها بدراسات تجريبيها على الجماهير وميلها واتجاهاتها (١) .

فيختلف الاتصال بالجماهير عن الاتصال الشخصي ، من حيث انتمام الطابع المواجهي ، وقدان صفة التخاطب مع فرد معينه ، وذلك قيل : « الكتاب أحد الملصقين » ، باعتبار الكتاب وسيلة من وسائل الاتصال بالجماهير ، وفيه : « المقام ابقى انها واللسان اكثر هذها » وقالوا : « اللسان مقصور على الشاهد » اي الاتصال الشخصي والمعلم (الاتصال الجماهيري) ينطلق في الشاهد والقسائب » . وقال بعضهم : « استعمال القلم اجزئ ان يحضر الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام » (٢) ذلك ان المرسل في الاتصال الجماهيري يختار الفتنة التي يوجه إليها رسالته .

وقد أصبح الاتصال بالجماهير بعد التقدم التكنولوجي في المجتمع قادرًا على الوصول إلى عدد ضخم من الناس ، ولهذا السبب لا يتطلب الأمر وجود عدد كبير من وسائل الاتصال كما كان في الماضي . فالرسالة في الاتصال الجماهيري « تقرأ بكل مكان وتدرس في كل زمان » و « اللسان لا يعدو سامعه ولا يتتجاوز إلى من يده » (٣) وهذا يشبه تماماً ما يحدث في النسمة المجتمع الاقتصادية والاجتماعية حيث يؤدي الانتاج الشخصي للسلع بقليل من المصانع إلى انتاج كميات هائلة من سلعة معينة (٤) .

ولقد تبين مما سبق عناية نموذج الاتصال بالمرسل والرسالة ، وستتناول هنا أن تتناول عنصرى المستقبل والرسالة ، فوقاً لنموذج « ويلبور شرام » تكون عملية الاتصال الجماهيري من فكرة او باعث Idea or impulse في عقل المرسل ، وقد تكون الفكرة واضحة بصورة كافية بحيث تعتبر صالحة للتوصيل إلى المستقبل ، وقد لا تكون كذلك . والعنصر الثاني هو التعبير الشكلي او تحرير الرسالة Formal Expression . وقد عنى البلاطمة العربية بهذه المصادرين عناية كبيرة . وقادم الآثار التي عرفها تاريخ البلاطمة هو تلك الصحفة التي كتبها « بشر بن المتن » (ت ٢٦٠ هـ) . ولكن البلاطمة العربية عنى كذلك بالعنصر الثالث في عملية الاتصال الجماهيري ونعني تقسيم المستقبل للرسالة Receiver Interpretation . وهو ما غير عنه بمعطابقة الكلام لمعنى الحال . ويقول بشر بن المتن في ذلك ان مدار

(١) د. ابراهيم امام : نفس المرجع من ٢٨ .
(٢) البرهان في وجوه البيان ، نفس المرجع من ٣١٤ .
(٣) د. ابراهيم امام : نفس المرجع من ٢٩ .

الشرف على الصواب واحزان المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال (١) .

ويتبين للملجم (الرسول) أن يعرف أقدار المعانى ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين (المستقبل) وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلما .. وكل حال من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعانى ، ويقسم أقدار المعانى على أقدار القمامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات (٢) . وملوم أن هذه المطابقة ترتيب بالمعنى الرابع في عملية الاتصال الجاهيري وهو : استجابة المستقبل Receiver Response للرسالة ، وردود الأفعال التي قد تصل أو لا تصل إلى انتباه الرسول للرسالة الأصلية ، وملمه من أجل ذلك انتبهن البلاشيون في حد البلاغة إلى تلك الكلمة الموجزة « مطابقة الكلام لمعنى الحال » .

فإذا وصلت ردود الأفعال هذه فأنها تكون عنصرا خامسا ، وهو رجع المصدى وتفسير المستقبل للرسالة ، أو عملية تلك رموز رد الفعل بالنسبة للرسالة ، وفي « الإغاثي » إن العرب كانت تعرض أشعارها على قريش فما قبلوه منها كان مقبولا وما ردوه منها كان عردوها ، فقدم عليهم علامة التبيين فاشددهم قصيده : (هل ما علمت وما استودعت مكتوم) . فقالوا : هذا سمعت الدهر ، ثم عاد إليهم العام القابل ، فاشددهم قصيده : (طحايك قلب في الحسان طرب) . فقالوا : هاتان سمعتا الدهر (٣) .

ويبدو أن من الشعراء النسائيين من كان يقوم في سوق عكاظ مقام (المستقبل) في عملية الاتصال الذي ي bleak الرموز وضمن معناها ، ثم يستجيب لها معيرا عن رده أو انتباذه برسالة جديدة يصوغها في رموز ويعبر بها إلى المرسل الأول الذي يستقبلها ويحل رموزها ويستجيب لها ، ويدرك رسالته التالية على أساسها . ففي أخبار التباعي الشيشاني أن الشعراء الناشرين كانوا يحتكمون فيها إليه وكان في اثناء ذلك يبدى بعض الملحوظات على معانى الشعراء وأساليبهم . ويقال انه فضل الأعشى على حسان بن ثابت وفضل الخنساء على بنات جنسها . وثار حسان عليه وقال له : أنا واحد اشعر بذلك ومنها ، فقال له التباعي حيث تقول ماذا ؟ قال حيث أقول :

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١٣٦/١ ، ١٣٩/١ - د. خفاجي :
الإيضاح في البلاغة ص ٧٩ .

(٣) الأغاثي ط سامي ١١٢/٢١ .

لنا الجفونات الغر يلمعن بالضحي
وأسياننا يلتئن من نجدة دما
ولدنا بني المتناه وابني مصر
فاكرم بنا خالا واكرم بنا ابنا (١)

فقال له النابية : « انك لشاعر لولا انك قلت عدد جفونك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك » . وفي رواية أخرى : « قال له : انك قلت الجفونات فقللت العدد ولو قلت الجفون لكان أكثر . وقلت : يلمعن في الضحي ، ولو قلت يبرقون بالضحى لكان أبلغ في المديح ، لأن السيف بالليل أكثر طررقا . وقلت يقطرن من نجدة دما فدللت على قلة القتل ، ولو قلت : يجرين لكان أكثر لاصطياب الندم . وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك فقام حسان منكسرًا منقطعا » (٢) .

ويقول الجاحظ عن النبي عليه الصلاة والسلام « انه لم ينطق الا عن ميراث حكمة ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالمحصلة . وهو الكلام الذي اهدى عليه الحبة وغشاء بالقبول وجمع له بين المهاية والحلوة وبين حسن الاقهام ، وقلة عدد الكلمات مع استثنائه عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معاودته ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط اعم نفهما ولا اقصد لفظا ولا اعدل وزنا ولا اجمل مذهبها ولا اكرم مطلعها ولا احسن موقعها ولا اسهل مترجما ولا افسح معنى ولا ابين في فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم » (٣) .

وتأسس على هذا الفهم يذهب الجاحظ الى أنه ، ان كان الخطيب متكلما تجنب الفاظ المتكلمين ، كما أنه ان عبر عن شيء من صناعة الكلام وأمساكا أو محبيا أو سائلا كان أولى بالالفاظ : الفاظ المتكلمين ، ان كانوا لتلك المباريات الفهم وإلى تلك الألفاظ أميل ، واليهما أحن ، وبها أشفق وإن كيسار المتكلمين ورؤسائهم النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء ، وأبلغ من كثير من البلقاء وهم تخبروا تلك الألفاظ لتلك المسانى ، وهم استقروا لها من كلام العرب تلك

(٢١) المتناء : ثعلبة بن عمر وزميقيان أحد الأجداد الأزد القدماء في اليمن ، والمعروف أن الخزرج قبيلة حسان أزدية . ويريد بالمرء جملة بن الحارث أمير الفاسنة في الشام لأواخر القرن السادس وهم أيضا من الأزد . (الأفغانى طدار الكتب ٣٤٠/٩ د - شوقى خليف : البلاغة تطور وتاريخ من ١١) .

(٣) البيان والتبيين ١٧/١ .

الأسماء ، وهم اصطاحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم ، فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف وقدوة لكل تابع ، ولذلك قالوا : العرض والجمهور وأليس وليس ، وفروا بين البطلان والتلاشى وذكروا الهزيمة والهزيمة والاهمية وأشياء ذلك .. وإنما طارت هذه الآلقة في صناعة الكلام حين عجزت الأسماء عن اتساع المعاني .

ولعل دراسة صاحب البرهان : كانت أول دراسة علمية للاتصال والوانه وفنون تحريره فيه دراسة للمنظوم والمثبور والخطابة والقرآن وأدب الجدل وأدب الحديث ، وفيه دراسة لخصائص الرسالة الاتصالية ، كالتشبيه ، واللحن ، والرموز ، والوحى ، والاستعارة ، والتقديم ، والتخيير ، وقلة التكلف ، والمشاركة في المطابقة . ولقد تميز البرهان بدراسة الوسيلة أو « قناة الاتصال » من حيث ارتباطها بالرسالة حين تحدث عن « البيان باللسان » و « البيان بالكتاب » ، وبذلك يكون قد أجمد الحديث عن الاتصال الذي يخصه « لازوين » في قوله المأثور : من - قال - ماذا - في آية قناة - من - ما كانت النتيجة والأثر ؟ ذلك أن الاتصال كما يقول « شرام » - يحاول إقامة مشاركة مع المستقبل ، فالرسول يحاول توصيل مصلحته أو مشاعره التي يحملها إلى كلمات مسموعة : (البيان باللسان) أو مكتوبة (البيان بالكتاب) على حد تعبير ابن وهب . فالوسيلة هي المنهج الذي تنقل به الرسالة من المرسل إلى المستقبل ، فكما يتطلب انتقال الصوت من مصدره إلى آذن المستمع وسيطاً تنتقل فيه الموجات الصوتية ، كذلك يتطلب انتقال الرسالة من المرسل إلى المستقبل أو بالعكس ، وسيلة ما تسمى أحياناً قناة . ومن هذه الوسائل أو القنوات اللغة اللسانية والاتيارات والرسم والتثليل ... الخ . وتستخدم الاختراعات الحديثة مثل السينما والراديو والتليفزيون في توصيل الرسالة إلى عدد كبير من الناس .

فاللغة وهي الرموز اللغوية المسموعة (البيان باللسان) والمكتوبة (البيان بالكتاب) من أهم وسائل الاتصال استخداماً وكثرها شيئاً فشيئاً . ولذلك نهينا إلى أن البلاغة هي الوسيلة أو الجنس الاعلامي . ذلك أنها لا تستطيع بحال من الأحوال أن تفصل بين اللغة والوعاء الذي يحملها إلى المستقبل . وقد تعرفنا على الارتباط الوثيق بين الرسالة والجمهور ، وضرورة التنساغ والمشاركة بيتهما ، وهذا الجمهور هو الذي يستقبل الرموز البلاغية ويحمل على ترجمتها إلى آراء وافكار .

ونستغير هنا تعريف «الجنس الأعلامية» من دراسات الأدب ويحوطه «فالجنس الأدبي» بالفرنسية *Genres Litteraires* وبالإنجليزية *Género Literaries* وبالإسبانية *Literarischen gattenigs* أما في الإنجليزية فلم يستقر التعبير *Literary genres* إلا أخيراً في أوائل القرن العشرين ، وكان النقاد الإنجليز يستخدمون أحياناً كلمة *Species kinds* أي أنواع أو اصناف ، وكذلك الحال في بحوث النقاد في أمريكا ولايزال بعضهم يستخدم مع الكلمة المستمرة من الفرنسية الكلمات الأخرى السابقة (١) .

وهذا التعبير في تصورنا من أكثر التعبيرات تصويراً للبلاغة الجديدة التي ترتبط بالوسائل الأعلامية المختلفة ارتباطاً لا انفصال له ب بحيث تندى «البلاغة هي الوسيلة» .

وإذا كان هذا التعبير يصدق على الأدب فهو يصدق على الأعلام بالدرجة الأولى ولقد كان نقاد الأدب البوتانى ، وعلى رأسهم البلاطون وارسلتو ، ولايزال النقاد ، في الأدب المختلفة ينظرون إلى الأدب بوصفه اجتناماً أدبياً ، ونحن هنا ننظر لفنون الأعلام ، على أنها اجتناساً إعلامياً ، أي قوله عاصمة فنية تختلف فيما بينها – لا على حسب محرريها أو صورها ، أو مكانها أو لغاتها فحسب .. ولكن كذلك على حسب بيتهما الفنية وما تستلزمها من طابع علم يشقق أساساً من طابع الوسيلة الإعلامية ، ومقوماتها المميزة لها عن غيرها من الوسائل . وهو الطابع الذي يفرض نمطاً من التعبير مميزاً من حيث الصياغة التعبيرية الجزئية . والتحرير الإعلامي العام الذي يتبعه إلا يقوم إلا في ظل الرؤدة الفنية للجنس الإعلامي ، وهذا واضح كل الوضوح في الفن الإذاعي والفن الصحفى والفن المرئى في التليفزيون والميديا ، بوصفها اجتناساً إعلامياً يتوحد كل جنس منها على حسب خصائصه مهماً اختفت اللغات والأشكال التي ينتهي إليها .

فالبلاغة الجديدة أدنى صبغ أو قوله ثانية ماء ترتبط بوسائل الأعلام . وتقوم على أساس من هذا الارتباط مميزاتها وقوانينها الخاصة . وهي تحتوى على فصول أو مجموعات ينظم خلالها الانتاج الفنى الإعلامى ، على ما فيها من اختلاف وتعقيد . فالفن الصحفى يحتوى على فصول من التحرير مثل : فن الخبر الصحفى وفن الحديث الصحفى وفن المقال وفن التحقيق الخ من فنون التحرير وقوالبه في الصحافة . كما تجد أن الفن

(١) د. غنيم هلل : الأدب المقارن من ١٢٩ .

الاذاعي يحتوى على مجموعات اخرى مثل : فن التبشير الاذاعي - الحديث الاذاعي - التلبيق - التثليلية الاذاعية - البرامج الخاصة الثقافية . . . الخ . من الفنون التي تمثل في مجموعها جوهر « الجنس الاذاعي » في اجتماع الاعلام ، وهي الفنون التي ينطبق عليها بوصفيها « رسائل » قانون « البلاغة هي الرسالة ، وفي الادب يحدث نفس الشيء تقريراً حيث يختلف مستوى التبشير اللغوي بين الاجناس الادبية على نحو ما تجد في الشعر من : ملحمة و مأساة و شعر تعليمي (١) .

وتؤسساً على هذا الفهم ، فعلينا أن نميز في قانون « البلاغة هي الوسيلة » بين الجنس الصحفى ، والجنس الاذاعي ، والجنس المرئي في الاجناس الاعلامية على وجه الاجمال . وسنجد أن الجنس الاذاعي المسموع يمثل فيه المستوى مكان الزمن الدون في الجنس الصحفى ، ويقتضى المنصر المرئي في الجنس التلفيزيوني او السينمائى ولكننا في البلاغة الجديدة نجد « موجهها » للفنون ان صبح هذا التبشير ، فهو تضم في اعطافاتها محضارة باشرها بما في ذلك النادات والتقاليد ، ومقومات المكيان الاجتماعي العام . ولكن جنس اعلامي مقوماته الخاصة وقوانيته واستعدادات يتطلبها وفقاً لطبيعة وسيلة الاعلام التي ينتمي اليها ، وطبيعة الفن الذي يتوصل به . وعلى هذا تشبة الاجناس الاعلامية الى حد ما الكائنات والاجناس ، والاسر . . . الخ . على نحو ما هو معروف في التاريخ الطبيعي يابها مجموعة من الاصناد تتفق في الصفات ، بحيث يمكن وضع كل مجموعة تحت اسم خاص ، وفي نفس الوقت تتفصل عن المجموعات الأخرى لما لها من صفات لا تتفق مع صفاتها الخاصة . وهكذا نجد أن الجنس الاذاعي مثلاً يتميز بمجموعة من الفنون الخيالية والواقعية الاعلامية والتعبيرية التي تتفق في الصفات العامة رغم ما بينها من فوارق لا تؤثر على طبيعتها العامة .

وإذا كان بول بوال Bolleau وغيره من النقاد في القرنين السابع والثامن عشر قد ذهبوا إلى اعتبار الاجناس الادبية قوالب جامدة وصوراً ثابتة غير متبركة ، تكون في زمن ما من اجزاء متقدمة ، ولا تخضع في المستقبل لأى تغيير . . . فإن ثورة الاعلام والدراسات المرتبطة بوسائله وفنونه وتاثيره دحضت هذا الاتجاه ، ذلك أن الاجناس الاعلامية توحى دائمًا بقبولها للتطور والرقى شأنها شأن الاجناس الحيوية ، أو بعبارة أخرى فإن اللغة في كل جنس اعلامي تتميز بخصائص كل وسيلة ، فاللغة في مستواها الصحفى مثلاً تتسع

للقارئ بالسيطرة على ظروف التعرض الإعلامي ، وقراءة الرسالة أكثر من مرة ، فضلاً عن أن لديه فرصة تطوير الموضوع في مساحة أكبر ، وفقاً لأهميته ، وتثير التجارب إلى أن المواد المقدمة من الأفضل تقديمها مطبوعة من تقديمها شفهياً ، ولو أن نفس الزيارة لا تسرى على المواد المطبوعة السهلة . ومن الأفضل استخدام التحرير الصحفى في مخاطبة الجماهير المتخصصة ، والجماهير صفيحة الحجم ، لأنها يقتضى من القارئ جهداً أكبر من ذلك الذي يقتضيه التحرير في الأجناس الإعلامية الأخرى .

فالقارئ لا ينس بأنه شخصياً جزء من عملية التحرير الإعلامي ، كما يشعر مستمع الراديو أو المشاهد لسيينا ، لأنه لا يشعر بان الحديث موجه إليه شخصياً ، ولكنه في نفس الوقت جزء من العملية أو مشترك فيها أكثر لأنماظط إلى المساعدة الخالقة في نوع من أنواع الاتصال غير الشخصي ، ويقتضى بعض الباحثين أن مثل هذه المساعدة الخالقة لها مزايا اقتصادية (١) .

وتأسيساً على هذا الفهم يمكن القول أن البلاغة الجديدة عن طريق الوسيطة تعنى أن المستوى اللغوي لا يستقل عن تكتولوجيا وسائل الإعلام ذاتها ، فالكيفية التي يتم بها التحرير اللغوي في كل جنس على هذه تؤثر وتأثر بضمون تلك الوسائل وهذه الوسائل التي هي امتداد لحواسنا - كما يقول ماكلوهان ، هي أجناس إعلامية لكل جنس منها مستوى اللغوى في التحرير ، ويقتضينا ذلك أن نعرف طبيعة كل جنس حتى نتمكن من السيطرة عليه واستخدامه الأمثل في تطبيقات البلاغة الجديدة .

لقد ظل الإعلام طوال تاريخه كله فعالاً في محاربة التعبير ، على حد تعبير « شرام » ، الذي يقول أن دلالة تعميم الطباعة في القرن الخامس عشر ليست في أنها حولت الثقل الذي ظل قروناً طويلة على الاتصال المنطوق المباشر ، حولته إلى الاتصال البصري المنسوخ على نطاق واسع ، لم تفعل ذلك فحسب ، بل مدّت ، وهو الأهم نطاق المعرفة ، فلم تتم مقصورة على حفنة من المخطوظين ، وأصبحت آداة الطباعة ما بين يوم وليلة آداة للتعبير السياسي والاجتماعي .

الثورات التي اندلعت في أوروبا وشمال أمريكا ، لولا الطباعة ، لربما ظلت في طن العدم . والمدارس العامة كان من غير المحتمل ، أن لم يكن مستحيلاً أن تقوم لها قائمة لولا الطباعة . وظهرت في القرن التاسع عشر تطورات جديدة في الاتصال الجماهيري ، لتقديم الأعلام والمعرفة لجماهير الناس فوق رموز المخطوظين والخاصة من المتعلمين ، الديمقراطيات السياسية والفرص

(١) د. جيهان رشتى : نفس المرجع ص ٣٤٢ .

الاقتصادية والتعليم العام المجاني والثورة الصناعية ، والاتصال الجماهيري تشابكت جميعها في نسبي واحد لحدث تغيراً عظيماً في حياة البشر ومقوماتهم في قارات عدة . والآن يتحول الثقل مرة أخرى بفضل المستحدثات الالكترونية في الاتصال نحو الاتصال الذي يستطيع المرء أن يرى فيه ويسمع الموصى .

ولأن لوسائل الاتصال هذه القدرة الفائقة على التبليغ والاعلام . فانتا تستطيع أن تقول عن يقين أن في تصورها أن تؤدي خدمات جوهرية للغة التي تتمكن بطبيعة الحال مضماره الانسان . فالحضارة كما يقول الدكتور احمد ابو زيد ، لا تتمكن في شيء مثلكم تتمكن في الكلام ، واللغة بحيث يذهب بعض الكتاب الى القول بأن كل ما يظهر في لغة مجتمع من المجتمعات ، من نفس او تصور هو دليل قاطع على مدى تخلف ذلك المجتمع في ركب الحضارة . فالخبرة الإنسانية المتركرة على مدى الزمن تتمكن في اللغة وتجد تعبيراً لها فيها ، سواء اتخذ ذلك التعبير شكل الكلام العادي او الكفارية المعروفة او الرسوم والطقوش التصويرية التي تركها الانسان المبكر على جدران الكهوف . او حتى في الانجازات الفنية المختلفة من معمارية او موسيقية او حرافية كالرقص والتمنيل الصامت . مادامت كلها مترجمة في اخر الامر الى الفاظ وتصورات ومفهومات . وما دامت تغير عن شاعرنا وفكارنا ، وتقتله الى الآخرين فاللغة حتى في معناها الضيق الذي يقتصر على الكلام . والكتابة عنصر اساس في حياة البشر ، اذ يدوتها يصعب قيام الحياة الاجتماعية المتassكة المتكاملة . وبالتالي يستحيل قيام الحضارة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من نظم اجتماعية وانماط ثقافية وقيم أخلاقية ومبادئه ومثله . بل وحياة ماية ومخترعات ، لأنها هي اداة التفاهم والاعلام ، الذي هو أساس التفاوض بين افراد الجماعة (١) . فكثيرون من يعيشون في مجتمع تقليدي يرون صفة سحرية في وسائل الاعلام الحديثة عند تقاضهم بها لأول مرة ، وهم على حق فهو سحر كما قال افريقي حكيم « ولبلور شرام » لأنها تستطيع ان تأخذ الانسان الى تل أعلى مما يمكن أن ترى عن الأفق ثم تجعله ينظر فيما وراءه » . وهذا يعني لفراخ وجود علاقة قوية بين الاعلام واللغة والحضارة . . . وقد درج الكتاب على الكلام من لغة الحضارة وكيف ان حضارة معينة بالذات تمد لها تعبيراً ولضحاً . وصادقاً في الفاظ ومحضلات اللغة السائدة في المجتمع الذي توجد فيه . فمفردات اللغة والاساليب والتصورات وبناء الجملة ، والتركيب اللغوي ، والتشبيهات والاستعارات ، وما الى ذلك في المجتمع الصناعي الحديث الذي

(١) د. احمد ابو زيد « حضارة اللغة في عالم الفكر » الكويت - ابريل (١٧)

يتميز بتعقد نظمه الاجتماعية والاقتصادية ، ويشعور أعضائه بفرديتهم الذاتية تختلف اختلافاً جذرياً من مفردات اللغة وببنائها وأساليبها في المجتمع البدوي القبلي ، الذي يعيش على الرعي والترحال والذي يرتبط الفرد ارتباطاً وثيقاً بالجماعة القبلية التي ينتسب إليها بحيث تكون شخصيته تقى وتدرب تماماً في تلك الجماعة . وينذهب الدكتور أبو زيد (١) إلى دراسة فكرة تحصل بموضوعنا من قريب وهي فكرة حضارة اللغة التي يشير إلى أنها مستعارة من عبارة عارضة ، وردت في محاضرة للفيلسوف الرياضي الشهير الفرد نورث وايتهد ونشرها في كتاب يعنوان *أنماط الفكر* (٢) وينذهب الدكتور أبو زيد إلى أن شاء حضارة معينة هي حضارتنا الإنسانية يرتبط وجودها ارتباطاً قوياً باللغة بحيث يمكن القول أنه لو لا وجود هذه اللغة لما قامت هذه الحضارة أو لظهورت حضارة أخرى من نوع مختلف من حضارتنا المعروفة ، فالجنس البشري يمتاز على بقية الكائنات الم惺وية الحية ، بما فيها القردة العليا التي تعتبر أقرب هذه الكائنات الم惺ويةلينا بالفكرة واللغة ، وعلى الرغم من أن القردة العليا بالذات تعيش في تجمعات يتغير بعضها يكثير الحجم ، وعلى الرغم من قدرتها على تعلم بعض الحركات ومحاكاة بعضها ، فإنها تفتقر إلى اللغة والحضارة بالمعنى الذي نفهمه من هاتين الكلمتين .

وتاميناً على هذا الفهم فإن دراسة البساطة الجديدة تنظر إلى اللغة أساساً على أنها عامل من عوامل هذه الحضارة ، بل إن هذه الحضارة ، كما يذهب إلى ذلك الدكتور أبو زيد ، لم تكن لتقوم أصلاً لو لا وجود اللغة التي تعتبر أيضاً من أهم خصائص الإنسان بل وعاملها فاصلًا في التمييز بيته وبين غيره من الكائنات ، فاللغة إدراة هامة من أدوات الحضارة وعامل أساس في نشأتها واستمرارها وتطورها .

وإذا كان الافتقاء بدراسة العلاقة الواضحة بين اللغة والمحظى الثقافي لا يعني شيئاً أكثر من أن اللغة لها أساس ثقافي أو حضاري ، كما يفعل علامة الأنثروبولوجيا والاجتماع ، فإن هناك الآن بعض العلماء يحاولون إثبات أن الشعوب التي تتكلم لغات مختلفة تعيش في « عالم من الواقع » مختلفة ، وأن اللغات التي يتكلموها تؤثر بدرجة كبيرة في مدركاتهم الحسية وفي أنماط تقييدهم ، وإنها بذلك ، وحسب تعبير « سابير » تكون هي الماء الأساس في توجيه الحقيقة الاجتماعية أو الواقع الاجتماعي Social Reality الذي يعيش فيه الناس الذين يتكلمون تلك اللغات ، فالناس لا يعيشون في العالم

(١) نفس المرجع .

(٢) د. أحمد أبو زيد : نفس المرجع .

الموضوعي الخارجي وجده ، كما انهم لا يعيشون في عالم النشاط الاجتماعي فقط كما يظن الكثيرون من العلماء ، وانما هم خاضعون لرحمة اللغة التي يتقدموها أداة وواسطة للتعبير ، فعالم الواقع أو الحقيقة يرتكز إلى حد كبير بطريقة لا شعورية على العادات اللغوية للجماعة ولا توجد لفكان متشابهات تشابها كاملا يحيط تعتبران مماثلين لنفس الحقيقة أو الواقع الاجتماعي ، فالموالى الذي تعيش فيها المجتمعات المختلفة عوالم متمايزه اذن وليس عالما واحدا الصفت عليه أسماء وعنوانين مختلفتين (١) .

وعلى ذلك ففي البلدان التي تم فيها وسائل الاتصال لدى المرشح السياسي فرصة كبيرة ، ما لم يعرها الناس عن طريق هذه الوسائل ، ومن دراسة عمليات السياسة دراسة دقيقة ، انتهى الرأي الى ان وسائل الاتصال لا تعبر تعبيرا مباشرأ في قرار نسبة كبيرة من الناخبين عن تمنجه صورتها ، ولكنها ذات تأثير كبير فيما يتحدث عنه الناس في أثناء الحملة من شئ الوسائل فهي بتراكيزها الاتباه على مسائل معينة دون غيرها تستطيع أن تجعل لهذه المسائل دورا أكبر تؤديه في الحملات الاعلامية كذلك يهدف الكثير منها الى تركيز الاتباه على صنف معين أو مسلمة ما . يصدق هذا بنوع خاص في الحالات التي لا يوجد فارق كبير فيها بين السلع المنافسة اللهم إلا في الأسم . في مثل هذه الحالات ثبت الاعلان قدرة الوسائل الاعلامية على تركيز انتباه الجميع على اسم معين دون أسماء أخرى .

وهنا يتفق الاتجاهان : الاعلامي واللغوي الحديث ، بحيث يمكن ان يوضح اتجاه « بنيامين فورف » (١) ما يعنيه الاتجاه الاعلامي القائل بأن وسائل الاتصال الجماهيرية هي التي تحدد صورة البيئات في آدھانتا ، وانها لذلك تستطيع ان تترك الاتباه ، وهنا يقول « فورف » اتنا نقوم بتقسيم الطبيعة حسب خطوط معينة رسمتها لنا لغانا . وهذه الفئات والأنماط التي نحصلها من عالم الظواهر لا يتم المثور عليها ، لأنها تواجهنا ، او لأنها أمور واضحة أمام اعيننا ، وانما الأمر على العكس من ذلك تماما ، بمعنى ان العالم الخارجي او الواقع هو مزيج من العناصر وال العلاقات والظواهر المختلفة المتباينة الى ابعد حدود التباين ، وان العقول الإنسانية هي التي تتدخل للكشف عما فيه من تنظيم ، ووسائلنا الى ذلك هي الانساق اللغوية التي توجد في تلك العقول الإنسانية ذاتها ، فنحن الذين نقوم ب التقسيم الطبيعي وتجزئتها وتنظيمها في شكل مفهومات

1) Sapir, E.; Language, Harcourt Brace, N.Y. 1921, pp. 21—3.

(٢) د. أحمد أبو زيد ، المرجع السابق ذكره من ٢٦ .

(٣) د. أبو زيد : مرجع سابق ذكره من ٢٦ وما بعده .

وتصورات ، ونعطيها بذلك او اثناء ذلك معانٍ محددة تعيناها بديلاً ويعطينا
ـ فورفـ «امثلة عديدة تبين لنا بدقة كيف ان اللغة تتدخل لتقسيم الواقع
الاجتماعي بعدة طرق واساليب مختلفة ، ويظهر ذلك على وجه الخصوص حين
نقارن نسقاً معيناً بالذات من الانساق الاجتماعية لنرى الدور الذي تقوم به
اللغة في تقسيم الطبيعة ، وكيف تنظر المجموعات التي تتكلّم لغات مختلفة الى
الشيء الواحد نظارات مختلفة وتتصوره ايضاً بطرق واساليب مختلفة (١) ـ

وقد ذهبت البحوث الحديثة الى أن لكل وسيلة من وسائل الاعلام
خصائصها ومزاياها الفريدة ويقوم بعض هذه الشخصيات على مجرد التأمل
النظري ، بينما يقوم البعض الآخر على أساس تجربى ومن ذلك (٢) :

١ - ان الوسائل المطبوعة تسمح بـ «ان يتحكم القراء» في وقت قراءتها ،
وفي فرض هذه القراءة ، كما تكتمل من اعادة الاطلاع على مضمونها وتسمح
بالقائمة في هذا الاطلاع الى حد كبير ـ

٢ - يصل الراديو الى الجمهور بطريقة مختلفة ـ غالباً - عن الطرق
التي تصله بها الوسائل الأخرى ، وهو وسيلة تعمّن يقين في الثقافة اذا ما
تقررت بالوسائل الأخرى ـ . ويقدم الراديو للمستمع درجة ما من المشاركة في
الاحداث الغافية الدائمة ، وذلك بحكم كونه اكثر اقتراباً من الاتصال الشخصي
او اتصال الوجه للوجه ، ويتميز الراديو بقدراته عالية في الاقناع والتاثير
لأنه عادة ما يكون الوسيلة الاولى في تقديم الموارد للجمهور الا انه ليس هناك
من البحوث ما يدعم هذا الحديث عن الراديو او يرافقه ـ

٣ - من المعتقد ان الشاشة تتصل بالاتصال قرید ومبينات شعبية حيث أنها
تضم المادة مرئية وبطريقة ملموسة غير مجردة ـ . ومن المعتقد ان هذه الاوضاع
الملموسة بالاضافة الى عوامل اخري تجعل الفيلم قادرًا على السيطرة
الوجودانية ، وخاصة على الاطفال ، كما تذهب الى ذلك بعض الباحثين ـ . فبالتالي
ظهور من البحث ان الاطفال يتبنون الموارد المتقدمة في الفيلم دون مناقشة ، تجد
ان اثار السينما على الجماهير العادلة مازالت بحاجة الى دراسة ومتاز هناك
تساؤل ايضاً - حول الفعالية المتباعدة لوسائل الاتصال الأخرى بالنسبة لهذا
الجمهور ـ

(١) د. أحمد ابو زيد من ٢٦ .
Whorf, B.L.; «Science and Linguistics», The Technology Review, Vol. 42, 1940, p. 231.

(٢) د. محمود عودة : اساليب الاتصال والتغير الاجتماعي من ٨٧ .

٤ - ينظر الى الاتصال الشخصي او الاتصال الوجه للوجه - عموما -
بوعضه اكثر الابدوات فعالية بالنسبة للناس ، و فيما يتعلق بعملية الاتصال او
التأثير لما يتميز به من قدرات ومرؤونه وعرض انى للهزاء والمقاب ، بالإضافة
إلى الخصائص الأخرى النابعة من العلاقة الشخصية المتضمنة في عملية
الاتصال الشخصي .

٥ - ان استخدام وسيلة من وسائل الاتصال الجماعي مدعمة ومعضدة
بالاتصال الشخصي يحقق تجاها ياهرا ، وهو من اهم مميزات الحالات الناجحة
وخصائصها ويعتقد بعض الباحثين ان هذه الطريقة تعتبر تدبرها اتصاليا
متقدما من حيث التأثير والاقناع .

على ان هناك وجهة نظر اعلامية متممة يحددها شرام في قوله ان الصورة
التي لدينا عن البيئات البعيدة في المجتمع العملى تجيئنا من مفظتها عن طريق
وسائل الاتصال بالجماهير ، ونتيجة ذلك ان حصة كبيرة من الآراء فيما يتعلق
بالأشخاص وذوى الأهمية او ذوى الخطورة ، وكذلك بالأشياء لهم منها وغير
المهم تجيء بالضرورة عن طريق وسائل الاتصال .

فالصحيفة والراديو والجلة ، هي كما يقول شرام : تقوم بدور
«المبعان على المقل » ويتعين علينا ان نتبرع ما تبلغ عنه عملية الاختيار هذه :
أى اختيار من تكتب عنه او من تسلط عليه الكاميرا او من تقتطف من اقواله او
من تسجل لهم من حوادث ، هذه العملية تحكم بدرجة كبيرة في وسائل الاعلام .
ويقول الدكتور ابو زيد : ان طرائق واساليب التفكير في المجتمعات المختلفة
تختلف من حيث انواع الرموز التي يستخدمها الناس في هذه المجتمعات ،
وانواع الاشياء التي يعتقدون باهميتها ، بالنسبة لهم ، وكذلك في الطرق التي
يمثلون بها لأنفسهم العالم الفيزيقى والاجتماعى والأخلاقي الذى يعيشون فيه
من المديريات الاستولوجية كما يقول « جون بيتس John Beattie »
يررون ما يتوقعون رؤيته ، وان انواع مدركاتهم تتحدد بدرجة كبيرة ان لم يكن
كلية - بالنسبة الى الانواع الاجتماعية والثقافية التي يعيشون فيها . على
ان ذلك يؤكّد ان اللغة لا تعرف التحجر ، وهي قادرة على العمل من خلال قدرة
كامنة ، وهي لا تفتّ تغير شكلاً ومعنى . تغير حروفها وأصواتها او صيغها
وبناؤها . او من ناحية معناها . وقد تنتقل الكلمة من معنى الى آخر وتتشيف
إلى معناها معنى آخر جيدا دون ان تترك الاول .

(١) مرجع سبق ذكره .

وأن تطور لغة ما مرتبط بتطور الأقوام التي تنطق بها ، واللغة والتطور عنصران متلازمان وهما سمة المجتمعات منذ أقدم العصور ولا سبيل لتفضيل لغة على أخرى ، وإنما يكون التفاضل بين الوسائل المتبعة لتنمية اللغات وأثراء تراثها التعبيري *

فالآلة البدائية حلت لها بدائية وغير مصقلة ، ومقترنة إلى عديد من المعيارات والالقاظ التي تؤدي المعاني الحسية والجردة . فهي لذلك تقصر على التعبير عن تفكير هذه الأمة ووسائلها الثقافية المحدودة ، وكلما ازداد تفكير المجتمع اتساعا ، وثقافته توالت تطور لغتها وازدادت قدرتها على التعبير ، واعطاء كل سمة لفظاً مناسبا (١)

ان اللغة تمنع الانسان بالإضافة الى وراثته « البيولوجية » خطأ آخر للامتنار يجعل الثقافة وتراثكم المركبة امراً ممكناً

وقد اتاح العلم الحديث للغة مكانت ووسائل متعددة للتعبير عن دقائق الاحكام العقلية ، في صورها النظرية والتطبيقية . كما اتاح للالقاظ المعنوية انتلاقات جديدة مالت بها نحو وضوح أكثر وخصوصاً ادق ، وأصبحت الكلمات بفضل تقدم الاداب وفنون الاعلام والاتصال بالجماهير غنية بالدلولات التي تعمقت اغوار النفس البشرية وحاجات الانسان ، حتى حسّر عدد من الفساط اللغة عالماً من الاشارات والرموز المعبّرة عن ادق المعاني المجردة وأعمقها (٢)

وكان من الطبيعي ان يشد الانهاس بالحاجة الى لغة اسلامية ذات بلاغة جديدة تقوم بمحاجات الوسائل الجاهيرية في الاتصال بامداد الناس الفقيرة ولتناسب التنوع في هذه الوسائل الى وسائل مكانية ووسائل زمانية وأخرى مكانية زمانية

وكتيبة للسباق العلمي الرائع الذي يتجاوز المكن الى المستحيل يظهر المروقات الطبيعية في عالمها ، بحيث أصبح في الامكان ارسال التقارير الاعلامية وبثها عبر الفضاء واستقبالها بواسطة اجهزة الازاعة المرئية والسموعة ، كما أصبح في مقدور الاتمار الصناعية ان تستخدم في ارسال البرامج التلفزيونية وغيرها *

(١) مجلة اللسان العربي : العدد السادس من ١٩ - المغرب ١٢٨٨ هـ

(٢) مجلة اللسان العربي : العدد الأول من ٢٨ - ١٢٨١ هـ

وترتبط هذه اللغة في بلاقتها الجديدة ارتباطاً مباشراً بمفهوم الوسائل الجماهيرية مقروءة وسموعة ومرئية ويوظفها هذه الوسائل من اسلام وتثقيف واقتراح وترويج ومشاركة ذهنية وتقلبية ، كما ترتبط بنظرية التصريح الجماهيري حيث أصبح من المعتذر نقل المعلومات عن طريق الاتصال الشخصي المباشر كما كانت الحال في عهود سابقة من تاريخ الإنسانية ، وأصبح الاتصال الجماعي أمراً حكرياً لتدفق المعلومات إلى جماهير الناس الفقيرة .

ومن الطبيعي أن تختلف اللغة في سياقها الجماهيري الجديد عن لغة الاتصال البالدي ، اختلاف البلاغة الجديدة عن البلاغة القديمة التي تتطلب بنيّة وخصائص مختلفة عن ذي قبل . فالخطيب الذي كان في قبوره تلقى ردود الفعل جمهوره المحدود ، ومواجهة هذه الأرجاع ينهي بالآخر مقنع ، لم يعد فيمكانه – في الوسائل الجماهيرية أن يتعرف مباشرة على جمهوره ، الأمر الذي يحتم على لغته أن تبني سلة جديدة افتقدت بيته وبين جمهوره ، بمحاسلة التعرف على مستويات جمهور المستقبليين ، ومواجهة هذه المستويات المختلفة بلغة مفهومة مقنعة يتتوفر فيها عنصر المشاركة والتشابه في الخبرات بيته كمرسل وبين جمهوره كمستقبل .

وتتطلب هذه البلاغة الجديدة من خلال الاتصال الجماهيري بذل جهود تهدف إلى تحقيق أمرين :

أولاً : معرفة الهدف من الاتصال .

ثانياً : كيفية استعمال اللغة في بناء الرسالة لتحقيق المشاركة والفهم .

وتأسساً على هذا الفهم فإن اللغة في نظرية الاعلام ليست عثراً منفصلاً أو منزلاً عن بقية العناصر الأخرى ، فهو ترتب بالخصوص ارتباطاً وثيقاً ، لأن رسالة بلا مضمون ^{٢٠} هي رسالة عاجزة عن الوصول إلى الناس .

كما أن التعرف على جميع الاحتمالات الذهنية والظروف الطبيعية لكل مستقبل على حدة ، رغم صعوبتها أمر أساس يقتضي محاولة الوصول إلى الكمال في تطوير الأسس الفنية لاستخدامات اللغة ، حتى يتسعى للرسالة الاعلامية تحقيق التأثير المنشود .

ويرتكز هذا التطوير على دراسة علم الاتصال الجماهيري وخصائص

وسائله جمِيعاً (١) انطلاقاً من الأسس التقليدية لفنون التحرير المصحفي والكتابة للأجهزة الجديدة كالإذاعة والتلفزيون والسينما .

وعلى ذلك فإن بناء الرسالة الإعلامية لفريا يتبيَّن أن ينشأ عن المقتضيات الأسلوبية والبلاغية لكل وسيلة من وسائل الاعلام والاتصال بالجماهير ، ووفق الخبرات والمقاييس المشتركة بين المرسل والمستقبل والتغلب على المواجه والقيود والمعوقات التي تحول دون ذلك .

ولقد أدرك « جون ديوى » أهمية الوسيلة في الإبداع الفنى والاحساس الجمالى ، فاللوحات مثلاً – حينما ينظر إليها على أنها مجرد وسائل توضيحية البعض المشاهد التاريخية ، أو لأى انتاج ادبي أو لبعض المناظر المألوفة فانها عندئذ لا تدرك بالاستناد إلى وسائلها الخاصة وحينما ينظر إليها بالاقصار على الرجوع إلى الصنعة أو التكاليف المستخدمة في صناعتها أو تكوينها ، فإنها عندئذ لا تدرك ادراكاً جمالياً ، وذلك لأن الوسائل أيضاً إنما هي منفصلة عن الغايات ، وبالتالي فإن تحليل الوسائل قد حل محل الاستمتاع بالغايات (٢) . والوسيلة في صميمها « وسيلة » فهي تتوسط بين المرسل والمستقبل (المتذوق أو المدرك) .

فعندما يأخذ الفنان المرسل على عاتقه عملية الخلق لا يكون العمل من خليط من المناظر والأصوات ماخوذة اعتباطاً بل أن أحجار بناء العمل تكون قد نظمت بالفعل في نمط ثابت هو الوسيط الفنى (٣) أو وسيلة الاعلام .

وعلى ذلك فإن « الرسالة » الإعلامية تتالف من العناصر الحسية التي قد تكون بصرية أو سمعية والتي اختيرت من « الوسيلة » ويتبعها « المرسل » بحساسيته لوسيط معين (٤) فلديه وهي زاد بطبيائع الأصوات أو الألوان أو الانفاس . وننطر إلى أن المادة الإعلامية ليست جامدة بل هي ذاتية حية وظيفية . فانها تعمل على توجيه مجرى النشاط الاعلامي . إنك لا تستطيع أن

(١) انظر الدكتور ابراهيم امام : العلاقات العامة والمجتمع من ٩٩ وما يهدأ في دراسته القيمة لخصائص الوسائل المكانية والزمانية والمكانية الزمانية ومميزات كل منها .

(٢) جون ديوى : (ترجمة د. زكريا ابراهيم) الفن خبرة من ٣٣٦ .

(٣) جيرروم ستولتنبرغ : (ترجمة د. فؤاد د. زكريا) النقد الفنى دراسة جمالية وفلسفية من ٣٣٦ – من ٣٢٨ .

(٤) نفس المرجع .

تصنف من الفخار نفس ما يمكنك أن تصنفه من الحديد الخام الا إذا كان ذلك
غمبياً وافتلاعاً . فالاجناس الذي يبعثه العمل يكون مختلفاً كل الاختلاف ،
ذلك لأن المعدن يتهدأ ويستحثك .. على أن تصنف منه شيئاً معيناً ، حيثما
احسست بتفاصيله ومرورته (١) وكذلك الحال في تعامل اللغة مع الاجناس
الاعلامية سواء كانت مكانية أو زمانية ، ويقصد بالاجناس
المكانية تلك التي تشغل حيزاً في مكان كالطبعات والصور ، والفنون
التشكيلية ، وهي جميراً وسائل بصرية أو منظورة ، أما الاجناس الزمانية فهي
التي تتسلسل في وقت زمني كالاذاعة والتلفزيون والأدبيات المسومة ، وهي
وسائل شفوية أو سمعية وتقترب الافلام السينية والتلفزيونية والحسابات
الشخصية الباشرة اجنساً مكانية زمانية لأنها تشغل حيزاً مكانياً ووقتاً زمانياً
في نفس الوقت وهي وسائل بصرية وسمعية .

ويتفق هذا التصنيف للاجناس الاعلامية مع تصنيف الفنون بالاستناد
إلى أعضاء الحس وقد تعرض بعض الباحثين المحدثين للجهاد الذي قام به
« كانت » في سبيل قسر مادة الفنون على الحاستين المائلتين الراقبتين إلا
وهما العين والأذن . ولكن حسبنا أن نقول مع « ديري » (٢) « أنه مما كان
من اتساع نطاق بعض الحواس ، فإن من الحق مع ذلك أن أي حس جزئي إنما
هو مجرد نقطة أحادية أو مركز حلية لشراط ضئلي شامل ، تشارك فيه كل
الأعضاء بما فيها وظائف الجهاز المحيي المستقل (أو المحيطي) ، حقاً إن
العين والأذن وللمس قد تأخذ مركز الصدارة في مهمة عضوية خاصة ولكنها
ليست دائماً العامل الأوحد أو الأهم ، اللهم إذا كان الحارس جيشاً باسره » .

وتقسيم الاجناس الاعلامية إلى اجنس زمانية وأخرى مكانية تقسيم يجيء
بعد حدوث العمل الاعلامي فضلاً عن أنه خارجي صرف ، فهو لا يلقى أى ضوء
على المضمون الجمالي لأى عمل فني (٣) وكذلك (المضمون الاعلامي) ومكانته
يتوقف هذا التقسيم على أساس اعتبار سمات الآثار الاعلامية كائنات مادية
خارجية .

(١) المرجع السابق ، من ٣٢٨ بيرنارد بوزانكيت : ثلاث محاضرات في
علم الجمال ، من ٦٩ - ٦٠ .
(٣.٢) نفس المرجع ، من ٣٦٧ .

الباب الثالث

البلاغة في نظرية الاعلام

البلاغة في نظرية الاعلام

يقول الفيلسوف الانجليزى « هوبر » Hobbes : مثل الكلمات بالنسبة للمقالة كمثل محل دفع التقدىء فانهم لا يفعلون اكثرا من تدبرها وعدها – ولكنها بالنسبة للبلاءه التقدىء نفسها » .

ذلك ان اللغة تنسق من الاشارات موجود في اي مجتمع ومن اجل هذا المجتمع فهي من اهم وسائل الاتصال والتفاهم بين الافراد والجماعات وهي ظاهرة متشعبه النواحي « اثارت الوانا شتى من البحث والدراسة واذا تركنا جانبا ما يتصل بها من دراسات ادبية ونحوية وصرفية فانها وجهت الى بحوث اخرى متعددة فعرضها علماء وظائف الاعضاء ليعرفوا كيف تؤدى ويبينوا اعضاء النطق والصوت ويرسموا في اختصار الجهاز المضوى للغة وعالجهما علماء النفس لما رأوا من صلة وثيقة بين العمل الذهنى والدلائل اللغوية وعنى بها علماء الاجتماع وبينين تشناتها وتطورها . ومقارنتين بين اللغات البدائية واللغات المتحضره وعلميين ان اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لـ تاخضع له الطواهر الاجتماعية من عوامل ومؤثرات وتنظر الى اللغة أخيرا على انها جزء من التاريخ يسجل الماضي ويحكى الاحداث بل هي نفسها قطعة تاريخية متحركة يجب درسها وبحث معالمها » (١) .

وإذا كان مفهوم البلاغة قد ظل زمنا طويلا مفهوما غير محدد فان نظرية ظهرت في الأعوام الأخيرة تسمح لنا بان تقوم موضوعيا كمية المعلومات التي تتضمنها اي رسالة سواء كانت الرسالة مذكرة عن موضوع ما او قصيدة للبقاء او حديثا ماقتبلا او مقاطعة موسيقية لمعبد الوهاب ... الخ . وتسمى هذه النظرية باسم نظرية الاعلام التي انبثقت من مشكلات عملية خالصة فوضي العالم الامريكي « كلود شانون » في عام ١٩٤٨ (٢) اساس نظرية الاحتمالات في الاعلام وبعد ذلك عديد من الباحثين تطبيقها في مجالات واسعة من العلوم كالاحياء واللغة والفلسفة والوراثة والقانون والرياضيات وعلم النفس ... الخ .

(١) د. ابراهيم بيومي مذكر : في اللغة والأدب سلسلة اقراء - دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١ .

(٢) كندراتوف : (ترجمة هشقي جلال) الاصوات والاشارات ، القاهرة ١٩٧١ .

ذلك أنه لم يسبق من قبل أن استطاعت الكلمة المنطقية أو المكتوبة في تاريخها الطويل أن تبلغ كل هذه الأعداد البشرية التي تفوقوا أو تسموها في وقت واحد . أن عصرنا وهو عصر الثورة العلمية والتكنولوجية هو كذلك عصر الوسائل الجماهيرية الحديثة ، الذي بلغ التواصل بين الناس أقصى مداه وأضخم أبعاده فقراء الصحف والكتب والجلات يتزايد عددهم كل يوم واجهزه الانداعة والبيث (أو الانداعة والتليفزيون) تدخل الكلمة المنطقية في كل بيت وتؤثر في نفس الوقت على تفكير مئات الآلاف من الناس بل ملايينهم كما تؤثر على شعورهم وارادتهم وسلوكياتهم ومديري الإعلانات في الشركات العالمية الكبرى ويستغلون الكلمة في الترويج ولجانهم إلى كل الوسائل اللغوية الممكنة لاتخاذ القراء أو المستمعين بالاتصال على شرائها والسياسيون في مختلف انحصار العالم يتباهون يوما بعد يوم إلى قوة تأثير الكلمة وسلطتها على التفوس (١) .

وتأسسا على هذا الفهم تتراءب البلاغة في نظرية الاعلام الى اللغة على اعتبار أنها نظام من العلاقات الصوتية وبها وينظر مرتبطة بتاريخ الناطقين بهذه اللغة ويستخدم وسيلة للتواصل ووسطا للتفكير ومجالا للتغيير عن الأنكار والمواضف والمشاعر والمقصود باستخدام اللغة في التواصل هو عملية تبادل المعلومات بين الأفراد والجماعات ويظهر هذا التواصل اللغوي على شكل مباريات أو تغييرات شفهية أو كتابية تتبدلها الأطراف في موقف معين لفرض معين عن واقعة معينة (٢) .

وفي البداية يحتاج الاصطلاحان : « الاتصال والاتصالات » إلى ايضاح . فالاتصال ببساطة هو عملية الاتصال فكلمة اتصال Communication تمتاز بالتغيير عن الغرضية والتفاعل مما يعيّن أنها تتلوى على معنى القصد أو التغيير وكذلك تعني التفاعل في الشاركة فاللغط الأوروبي مشتق من الأصل اللاتيني للجمل Communicare يعنى : يدّع أو يشبع عن طريق المشاركة التي قد تكون بين شخص واخر في الاتصال الشخصي او بين شخص وجماعة في الاتصال المعنى البشري او بين مؤسسة وعدد جماعات متفرقة لا ترى مصدر الاتصال في الاتصال الجماهيري (٣) .

(١) د. جنتر هينزه (تقديم د. عبد الفتاح مكاوى) سلطان الكلمة في مجلة الفكر المعاصر ، القاهرة يونيو ١٩٧٠ .

(٢) نفس المرجع من ٢ .

(٣) د. إبراهيم أيام : الاعلام والاتصال بالجماهير من ٢٤ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ .

وتؤكد دائرة المعرفة البريطانية على خاصية التناول التي تميز الاعلام عن غيره من حيث التناول والتأثير وبرود الاتصال الذي يمكن تقديرها في عملية الاتصال تهدف الى احداث تجاوب مع المستقبل وبعبارة اخرى تعامل ان شاركه في استيعاب المعلومات او في نقل فكرة واتجاه .

ولعلنا لا نتجاوز الاطار العلمي حين نذهب الى ان الفهوم العربي لكلمة « بلاغة » يقترب من هذا المفهوم الحديث فالبلاغة لغة تنبئ عن « الوصل والانتهاء » على نحو ما ذهبنا اليه فيما تقدم .

عملية الاتصال بالجماهير :

ويعد نموذج شرام Schram من أشهر النماذج التي تصور البلاغة في عملية الاتصال بالجماهير وتحلّلها إلى متصارعها وبين المواقف المتصلة بها وهناك خمسة عناصر أساسية في عملية الاتصال هي المصدر المباشر أو الرسول والعنصر الثاني هو صياغة الفكرة في رموز مميزة encoding والعنصر الثالث تفسير هذه الرموز وفهمها وعلى هذا الأساس يأتي العنصر الرابع وهو استجابة المستقبل لما العنصر الخامس فهو يتمثل في الردود أو الأصداء الراجعة من المستقبل إلى الرسول والذي يستطيع عن طريقها أن يكتب عملية الاتصال ويد لها كما يفعل الترمومترات لضبط درجات الحرارة وجعلها متاشية دائمًا مع الدرجة المطلوبة .

فالرسول على حد تعبير « شرام » يحاول توصيل معلوماته ومشاعره في كلمات مسموعة أو مكتوبة وفي الاعلام الاسلامي كان يقال : « رسول الرجل مكان رايه ، وكتابه مكان قلبه » وكذلك حمل الله عن وجل - رسالته أفضل خلقه وأخيراً انه اصطفاه على العالمين فقال تعالى : « الله اعلم حيث يجعل رسالته » (سورة الانعام : ١٢٤) .

وفي ذلك يقول ابن وهب (١) : وإنما وجب أن يختار العامل رسوله لأنه قد أقامه فيما يؤديه عند مقامه فعليه أن يحمله أفضله من يحضرته وعلى الرسول أن يؤدي ما حمل كما قال عن وجل : « فلما عليه ما حمل » (التور : ٥٤) وكما

(١) ابن وهب (تحقيق : د. الحسين مطر و د. خديجة الحسيني)
البرهان في وجه البيان من ٢١٨ ، بدداد ١٩٦٧ .

قال : فهل على الرسول إلا البلاغ المبين (التحل : ٣٥) وإنما وجب عليه البلاغ لأن الرسالة أمانة فعليه تأثيرها لأن الله عن وجل يقول إن يأمركم أن تؤدوا الأمانات التي أهلها (النساء : ٥٨) وليس للرسول أن يزيد في الرسالة ولا أن ينقص منها لأن ذلك خيانة لامة الانبياء أن يكون الرسول قوش عليه أن يتكلم عنه بما يرى فقد قال الشاعر (من المقارب) :

فأرسل حكماً ولا توصه

واما امر بذلك لان الحكم اذا وصيته لم يتجاوز وصيتك وان كان الرائي
عنه خلافها فربما شرك يترك الاصوب عنده واتباع امرك ولا لوم عليه في ذلك
واذا قوشت اليه عمل يحكمته ورائي وقد روى في هذا المعنى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجه بايمان المؤمنين (علي بن أبي طالب في بعض اموره)
فقال له : «ا تكون يا رسول الله في الامر اذا وحتجت اليه كالاسكينة الحماة اذا
وضعت للنحوس او فرقوا الشاهد وما لا يرى الخائب » فقال : (يل بيري الشاهد
ما لا يرى الخائب) فروض العي ما ثقق برأي وقال تغيرة من الناس : نصر الله
امروا سمع مقالتي فادها ولم يفرض لهم لفترة ثلثة يوم » .

ومن ذلك يتضح أن القائم بالاتصال لا يقل أهمية عن مضمون الرسالة ولذلك عبّرت الدراسات الإعلامية بدراسة هذا المتصدر الاتصالي وذكر منها دراسة « كرت لوين » عالم النفس التسavorى الأصل الأمريكي الجنسية والتي اسفرت عن تطوير نظرية « الحاجب الاعلامي The gatekeeper » والتي تذهب إلى أنه على طول الرحلة التي تقطّعها المادة الاعلامية حتى تصل إلى الجمهور توجد نقاط أو « بوابات » يتم فيها اختيار قرارات بما يدخل وما يخرج ولذلك هي دراسات « الحاجب الاعلامي » يسلك الفائزون بالاتصال دراسة تجريبية ومتناهية تناهياً تأثير المحيطة بهم وتتأثر التوازن المهني عليهم والجوانب المادية والفنية لمعلمهم .

ويترى نجاح البلاغة في عملية الاتصال على اختبار المحتوى المناسب للرسالة موضوع الاتصال ، وكذلك على اختبار القناعة والوسيلة المناسبة لنقلها ، والواقع أن قيمة أي رسالة تتوقف على مدى فعالية هذه الرسالة وتأثيرها . ولا يمكن التأكيد من ذلك إلا إذا عرفنا أثر الرسالة على الشخص المستقبل لها.

وقد ركز عالم السياسة ، هارولد لازويل ، هذه العملية في الاجابة على الاستئناف التالية :

« من - يقول ماذا - باي وسيلة - لمن - في اي تاثير »

وحيث نتفق على أن البلاغة في عملية الاتصال ليست إلا عملية ترجمة ، حيث يوجد دائمًا مصدر يرسل الرموز بوسيلة من الوسائل ليستقبلها آخر فيجعل رموزها ويفسرها - يصبح في امكاننا اتفاق على مكان - اللغة من عملية الاتصال . ذلك أن اللغة هي المسامل المشترك الأعظم بين كل عناصر العملية من مرسل ومستقبل ورسالة اتصال ، وغنى عن البيان أن هذه العناصر جمِيعاً « حلقات متكاملة » .

لا بد للمرسل أن يضع رسالته في شكل معين أو صيغة محددة من الرموز أو الكلمات ، ومن الطبيعي أن تحتاج هذه الكلمات إلى إجهزة نقل أو وسائل اعلام - كالصحف والاذاعة والتلفزيون وغيرها لكن تنتشر بسرعة في أماكن عديدة ، بحيث يمكن أن تتصور موقع « البلاغة » في عملية الاتصال بالجماهير على النحو الذي يتضح من التموج التالي :



ففي البلاغة الجديدة تصبح طبيعة « الرسالة » التي يهدف « المرسل » إلى توصيلها إلى المستقبل ، هي محور الدراسة البلاغية ، ولذلك تعنى هذه

الدراسة بطبيعة الرسالة من حيث الأغراض والوظائف والاستعمالات المختلفة للغة . ويمكن القول إن اللغة – أو البلاغة بوجه عام – تؤدي ثلاثة وظائف هي :

١ - الوظيفة الإعلامية : من حيث أن الفرض البلاغي هو توصيل المعلومات وأبلاغ الحقائق ، كما يحدث في الاتصال الاعلامي بوسائله المختلفة .

٢ - الوظيفة التعبيرية : ذلك أن البلاغة قد تتخذ طابعاً تعبيراً في الفن والأدب بوجه عام يهدف « التعبير عن المشاعر » أو « التحرير » لمشاعر أو اتجاهات الشخص المثقف .

٣ - الوظيفة الاقناعية : حين يستهدف الاتصال اقناع المثقف أو جمهور المستقبليين بحقيقة محددة ، أو رأي معين أو وجهة نظر ما ، أو دفعه لعمل شيء ما ، وهو ما يحدث في الاتصال الاقناعي بوجه عام .

وإذا كان هذا التقسيم لأهداف البلاغة الجديدة يلقي بعض المعارض سيفاً من جانب علماء النفس أن يرون أن فصل هذه الأهداف عن بعضها البعض لا يتحقق في الواقع العملي ، فالاتصال البلاغي الذي يهدف إلى توصيل قدر من المعلومات والخبرات لا يمكن أن يحقق أهدافه ما لم تتحصّب بعض الجوانب الاقناعية .

وعلى ذلك فإن الفهم الدقيق لتصنيف أهداف البلاغة يرتكز على أساس أن الكلمة المكتوبة والمنطوقة تحقق هذه الأهداف على سقّ لا تتحقق فيهما عن بعضها البعض بحيث تقدّم فئات مختلفة ، وإنما تتبادل جميعها بحيث يشمل الهدف منها أجزاء من البدلين الآخرين .

على أن التمييز بين هذه الوظائف الثلاث إنما تتجه إليه في الدراسة الوظيفية ، وليس الأمر كذلك في مضمون الاتصال ولغته المستعملة .

فالكلمة المنطوقة أو المكتوبة تقدّم إعلامية من حيث الدراسة الوظيفية إذا كان الهدف السادس فيها يضيف إلى الجمهور معرفة ميسّرة حول الموضوع؛ وإذا كان المضمون والشكل مرتبطين بالهدف نفسه .

اما الهدف التعبيري للاتصال فهو يظهر في التموزج المتقدم على نحو واضح يتأتى في مع البدلين الاعلامي والاقناعي ، ليحقق المشاركة وجذب الاهتمام الإنساني وإثارة الخيال لدى الجمهور .

يبقى يتضح من النموذج كذلك أن الهدف الاتصاعي للاتصال : قد يتضمن كلًا من الهدفين الأعلامي والتثبيري : لكنه يستخدمهما لاتصال الجمهور بوجهة نظر محددة ، ذلك أن المضمون في الفالب قد يكون مشكلة غير محلولة يذهب فيها مذهبًا معيناً بهدف علاجها ، وهو لذلك يسعى إلى انتاج الجمهور بوجهة نظر الكاتب حول مشكلة المضمون المطروح .

ومن ذلك يتبين أن أهداف الاتصال متداخل بعضها في بعض ، وإنما يميز الهدف عن الأهداف الأخرى بسيادته المוחروبة للمضمون ولغة الاتصال ولا يمكن ان تنظر اليها كدرات منفصلة لا رابط بينها .

فعتملاً لا يمكن أن يوصل المعلم قدرًا مناسبًا من المعلومات إلى الطالب ما لم يتضمنه بقيمة المائة التي يدرسها أو المعلومات التي تقدم اليه ، كما أن الاتصال الذي يهدف الترويج عادة ما يتضمن بعض جوانب المعرفة وجوانب الاتصاع . فالفرد عندما يشاهد فيلماً معيناً قد يكون الهدف الظاهر هو الترويج ولكن هذا الترويج عادة ما يكون مقتربنا بالاتصاع وقد يضيف المشاهد إلى معلوماته الشيء الكثير عن طريق مشاهدته لهذا الفيلم ، فالاتصال في هذه الحالة قد حقق أهدافه الثلاثة في وقت واحد .

وابا كان أمر الهدف من عملية الاتصال فانتنا لكي نصل إلى اتصال فعال لابد أن تحدد بوضوح هذا الهدف ، وأن يكون واضحًا في الانبهان نوع ومدى الاستجابة Response التي نأمل الحصول عليها من وراء عملية الاتصال . سيمـا أن أهم تقدـم لهذا التقسيـم هو التـقـيـم المـوجـه لـطـبـيـعـةـ اللـغـةـ : فـهـنـاكـ مـنـ الـأـسـيـابـ مـاـ يـجـعـلـنـاـ تـذـهـبـ إـلـىـ أـنـ أـيـ اـسـتـخـدـامـ لـلـغـةـ يـتـضـمـنـ جـانـبـ اـقـنـاعـيـاـ ،ـ ذـكـرـ أـنـ الـإـنـسـانـ لـاـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـتـكـلـمـ دـوـنـ أـنـ يـحـاـولـ اـقـنـاعـ الـلـفـقـ بـطـرـيـقـ أـوـ بـأـخـرـيـ ،ـ وـلـكـنـنـاـ تـذـهـبـ إـلـىـ أـنـ أـكـثـرـ الـأـشـكـالـ الـتـيـ تـرـمـزـ إـلـىـ عـوـاقـ الـاتـصـالـ هـوـ عـاـمـلـ كـلـ اـسـتـهـالـ لـلـغـةـ ،ـ كـمـ لـوـ كـانـ يـقـصـدـ بـهـ إـلـىـ الـاسـلـامـ أـوـ الـبـلـاغـ ،ـ فـمـثـلـاـ كـثـيرـ مـنـ النـاسـ يـقـرـأـنـ الـقصـيدةـ الـشـعـرـيـةـ كـمـ لـوـ كـانـتـ وـسـالـةـ عـلـيـةـ وـلـكـنـ مـعـايـرـ الـعـقـ وـالـبـاطـلـ غـيرـ مـتـعـلـقـ بـالـهـدـفـ الـذـيـ يـرـمـيـ إـلـيـهـ الشـاعـرـ بـالـلـيـاسـ إـلـىـ عـبـارـتـهـ الـحـقـيقـيـةـ .ـ فـقـدـ حـاـوـلـ الشـاعـرـ اـسـتـهـانـ حـالـةـ شـعـورـيـةـ مـعـنـيـةـ أـوـ تـحـبـيرـ عـنـ اـحـسـانـ (٢)ـ .ـ وـعـنـدـمـاـ وـصـفـ الشـاعـرـ مـعـ الـبـهـشـرـيـ اـنـوارـ التـارـيـخـ إـذـاـ مـاـ تـقـتـمـتـ فـيـ بـيـاضـ الـلـلـجـ مـتـحـدـثـاـ عـنـ الـزـرـزـورـ :

(٢) لـيـونـيلـ روـبـيـ (ـ تـرـجمـةـ دـ.ـ مـحمدـ عـلـيـ العـرـيـانـ)ـ :ـ فـنـ الـاتـصـاعـ منـ ٨٥ـ وـمـاـ بـعـدـهاـ .

« فعلى يزوب هنافه ؟ ومتى أرى
نوارك الشالجي يا نارتجي

ومتي أطير اليك ترقص مهوجي
فرحا وأخذ مجلسى من شرقنى »

فإن الهمشري لم يكن يقصد حقاً أن النوار ثلجي ، لأن لغته هنا لغة تأثر انفعالي وليس لغة علمية في هدفها . على أن الشعراء كما يقول « روبي » (١) أيضاً لا ينفردون وحدهم باستعمال اللغة بهذه الطريقة . فثمة كتاب أو رسالة علمية يقصد بها البلاغ والأعلام عيناً ، ولكنها تكون في نفس الوقت تعبيراً عن الاتصال كما تكون تعبيراً عن المفكرة في الوقت نفسه ، وقد تغلب عليها الصبغة الانفعالية والطابع العاطفي .

وعلى ذلك فاننا لن تستطيع أن نفهم حقيقة اللغة عندما نعتبرها مجرد وسيلة للتفاهم ونقل الأفكار ، إذ أن هذا الاعتبار - كما يقول أوتو جسپرسن - ليس الا تقريراً لجانب واحد من جوانب اللغة الإنسانية : « ولا شك أنه من ضيق النظر أن ندخل في حسابنا عاملاً واحداً ، وإن ننقل بقية العوامل في فهم حقيقة من الحقائق ، ولقد كان هذا مع الأسف عيباً سائداً في انتشار كثير من اللغويين » .

فلقد قال « هرمان بول » في خطاب له في « ميونيخ سنة ١٩١٠ عن وظيفة اللغة إن الوظيفة الأساسية للغة أن تكون أولاً وقبل كل شيء وسيلة لنقل المواقف والمعلومات أو سواهما من الأمور » .

ويذهب جسپرسن Jespersen إلى أن ذلك ليس فقط وظيفة اللغة في الأصل ، أو في العصر الذي نعيش فيه : « فاللغة كانت على وجه العموم أمراً وسطياً بين الغناء والكلام أو بين مجرد التتفهم الصوتي الذي لا يقصد من وراء كلماته ومقاطعه غير الجرس والموسيقى ، وهذا إن صح أن لها جانباً تعبيرياً فلن يكون غير تعبير عام عن حالة شعورية تدفع لاصدار الكلام ، كما يقول جسپرسن أمر وسط يبين هذا الت نوع من التتفهم وبين كونها وسيلة لنقل الأفكار والمعلومات بين فرد واخر . ولو صحي أن هذا هو الوضع المبكر للغة

(١) نفس المرجع .

Sapir, E. ; Language, Harcourt Brace. N.Y. 1921 P. 23.
و د. محمد أبو زيد في مجلة عالم الفكر ، الكويت ٢٢ ع ١ مايو ١٩٧١ .

فليس هنالك ما يمنع أن تكون اللغة البشرية قد تطورت في المصور اللاحق
تطوراً جعل منها وسيلة دقيقة للتفاهم وتقل الأفكار .

وإذا كان الأمر فان الفهم الحق للغة يمكن في وظيفتها الاتصالية التي تقاد جميع الآراء ان تجمع عليها ، فيذهب ببعضها الى ان اللغة مراد تعكس الفكر او أنها وسيلة للتعبير عن الأفكار وتوصيلها او تبادلها . ويعرف « هنري سويفت » اللغة في كتاب « مدخل تاريخ اللغة » بانها « التعبير عن الفكر عن طريق الأصوات اللغوية » كما يعرّفها العالم الأمريكي « ساينر » في كتابه « اللغة » (١) بانها وسيلة لتحويل الأفكار والاتصالات والرغبات عن طريق نظام رموز يستخدمها الفرد باختياره وقد حدد « جيفونز » أغراض اللغة في امور ثلاثة :

اولا : كونها وسيلة للتفاهم . وكوئتها

ثانيا : اداة صناعية تساعد على التفكير وكوئتها

ثالثا : اداة لتسجيل الأفكار والرجوع اليها .

وعلى الرغم من ارتباط الفكر واللغة معاً بقوة ، واعتبار اللغة اهم وسيلة يمكن بها التعبير بدقة وبطريقة متهجية مطردة عن الفكر . وعلى الرغم من انه بدون اللغة سيكون من الصعب الاحتياط بالفكرة واستعماله ونقله للأخرين (٢) فإن هذا لا يصل على ما يقول « وايتيد A.N. Whithead في كتابه *Modes of thought* ان اللغة هي جوهر الفكر وعاهاته ، فكثيراً ما تقتصر اللغة عن التعبير عن الأفكار من ناحية ، وعن العواطف والاتصالات من الناحية الأخرى ، ومن هنا لم تكن اللغة بالمعنى الدقيق للكلمة او لغة الكلام هي اللغة الوحيدة التي يعرفها الإنسان . وإنما هناك إلى جانبها لغات ، أخرى غير لغوية تستخدم هي أيضاً للتعبير والتوصيل . . . ومع التسليم بأن الألفاظ والكلمات تستطيع أن تطور التفكير وأن تخفي على المصور الذهنية المجردة (التي كثيراً ما تكون باهتة وبمهمة وغامضة) كثيراً من الدقة والوضوح والتحديد ؟ فإن هذا لا يعني استحالة التفكير بغير اللغة الكلامية . فشدة موضوعات كثيرة يمكن معالجتها بدون استخدام الكلمات والألفاظ كما هو الحال حين يفكر المرء مثلاً في حل مشكلة رياضية معقدة . ومن الواضح أن ما تسميه بالتفكير الكلامي أو التفكير عن طريق الألفاظ لا يلعب إلا دوراً ثانوياً عند علماء الرياضيات على الأقل في المرحلة الخامسة من عملية الإبداع (٢) .

(١) د. احمد ابو زيد ، نفس المرجع ص ٨ .

البلاغة ولغة الاتصال :

وماءمت اللغة هي الرابطة الكبرى بين البلاغة والمجتمع ، فيبيهي أن تنظر إليها نظرا علميا صحيحا فاللغة ليست مجموعة القراء الذين تحصلها وتسمعها بالتجو المتواضع عليه ، وهي لا يمكن أن تكون وسيلة « إفادة » فحسب بل لا يمكن أن تخضع لقواعد المطلق المصورى أو المطلق الاستطاليين الذى قسم الكلام إلى مخارج محددة جملها أسماء واقعات وأدوات . ولللغة ليست هذا كلها ، ذلك لأنها يفهمها الاجتماعى سلوك فردى وجماعى ، وهي عندما ينظر إليها في المطلب الذى لما بين عن نفسه بالخارج أو الاتبعاث الصوتية ، ترى أنه لا يريد أن ينبه غيره إليه فقط ولكنها ينبع في الواقع نزوعا سلوكيا .. واللغة في الجماعات البذائية نزوع سلوكى كذلك ، وهي تتنظم الحركة الواقعة والإشارة ، كما تتنظم تغيرات تقوم على الاستجابة المنكسة لوقع الحياة على نفس الناس ، وقد تكون اللغة حركات أخرى كالتنفس والتلوين والصياغة ، واستقلال الضوء والصوت . وهكذا ترى أن اللغة تتنظم هذه الظواهر كلها بفهمها الاجتماعى فهو سلوك وليس مجرد إفادة عقلية أو مجرد اتبعاث صوتى منظم .

الوظائف البلاغية ومستويات التعبير :

وتاسيسا على الفهم الوظيفي للاتصال : فإن هناك ثلاثة مستويات للتعبير البلاغي :

أولها - المستوى التعبيري : وهو تدوين فن جمالي يستعمل في الأدب والفن .

والثاني - هو المستوى الاتقانى : ويستعمل في الدعاية والعلاقات العامة وما إلى ذلك .

والثالث - هو المستوى الإعلامى : وهي مستوى عمل اجتماعى عادى يستخدم في وسائل الإعلام .

وال المستوى التعبيري ، تجده أوضح ما يمكن في لغة الشعراء كما هو الحال في هذه الأبيات للشاعر محمود حسن اسماعيل :

فقلت لنارى أذن الفجر فارتوى
وشهدى على الأصدقاء ضد المقاتل

وَمَا مِنْ عُمرٍ طَلِيفٍ حَتَّى تَرْنَحْتَ
وَذَابَتْ قِيُودِي مِنْ عُمَيقِ الْفَاصِلِ

فَكَبِرْتْ جَلَّ أَنَّهُ عَادَتْ حَقِيقَتِي
وَرَنَتْ أَنَاهِيدِي ، وَغَتَتْ بِلَابِلِي

هذه الأبيات تعبر بما يعتمل في صدر الشاعر من تناور بين الموت والحرية ضد الرق الإنساني . وربما شعر المثقفي بنفس شعور الشاعر بالفشل الروحي التلقائي المتبعث من أعماق ذاته .

اما المستوى الاقناعي : فانتا نجده في الكلام التوجيهي او الحال على العمل ، وقد أصبح الإنسان المعاصر محاصرا بكل أنواع الانتسالات الخاسمة ، فهو يطالب باتخاذ قرارات متعددة ، وربما في السياسة منهم . ذلك ان زيادة السكان والتلوّح في الحقوق السياسية ومنع المرأة حق الانتخاب ، قد ادت الى زيادة عدد الناخبين كما ان التعليم الشعبي قد أعطى للمقاليبة العظيم من المواطنين فرصة تعرف قضايا الحكومة ومشكلاتها وملاحظة الهوة بين ما هو عملى وما هو مثالى في المجتمع . كما ان تقدّم الحياة في القرن العشرين والتقدم في الوسائل الذي ادى الى تقلص العالم وتضور وسائل الاعلام الذي وسع آفاق الشخص العادي – كل ذلك قد انسج مجال الرأى .

ومadam الإنسان المعاصر مطالبا باتخاذ عدد متزايد من القرارات . فقد اتخذ الاتصال الاقناعي سمة معاونة هذا الإنسان المعاصر على اتخاذ القرار الصحيح من وجهة نظر « المرسل » الذي قد يتخذ ثوب المصطلح او كاتب المقال او الداعية . وهم يطلبون جميعا مشاركة « المستقبل » في الرأى . ورجال الاعلان وخبراء العلاقات العامة يريدون منه مجاملة زبائنهم ، والسياسيون يطلبون صورته وكل واحد منهم يطلب قرارا لصالحه .

وتحتوى وسائل الاعلام على ثلاثة انواع رئيسية من الاتصال الاقناعى :
اولها – الاعلان : Advertising .

وثانيةها – الدعوة المقصودة : كالمقالات الافتتاحية والرسوم الكاريكاتورية والأعمدة والمقالات التفسيرية التي تؤدي بالقارئ الى الوصول الى استنتاج .

وثالثتها – تلك المضمون الذي يراد به أساسا الترقية او الاعلام بحيث يكون الاقناع منتجا فرعيا .

والمستوى الاعلامي : هو الذي يتوصل باللغة لتوصيل المعلومات فحسب واللغة الاعلامية لذلك هي النوع الذي « تتجه على الارجح في شكل نهي نسبياً » .. بل ان كتابة العلماء تمثل الى ان تكون اعلامية صرفة ، وخصوصاً في العلوم الطبيعية وكذلك وجدنا البلاحة العربية تنبئ عن الوصول والانتقام . وفـى التنزيل : « الا يلغا من الله ورسالاته » اي لا اجد منجي الا ان ابلغ عن اش تعالى ما ارسلت به ، والاباذة : الإيصال . والاسم : البلاغ .

وقال تعالى : « لقد وصلنا لهم القول لعلهم ينتظرون » (القصص : ٦١) توصيل القول لهم اتباع بعضه بعضاً في التنزيل .

ويقدم « هودلي كانتريول » في كتابه « قياس الرأي العام » قاعدة عامة تقول : ان الرأى يتعدد عموماً بالأحداث أكثر مما يتعدد بالكلمات ، ما لم تقدر هذه الكلمات ذاتها على أنها حيث .. وبالإضافة إلى ذلك تتزد الأحداث إلى ترسیخ تغيرات الرأى العام الناتجة عن الكلمات .

فال المستوى الاعلامي - اذن - يخاطب العقول لا الغرائز ، ويقدم اكبر قدر من المعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة التي تتسابق الى عقول الناس . ولذلك كان الاعلام في اللغة العربية تقيل « الجهل » لأنه من مادة « علم » ، فهو يرفع من مستوى الجماهير وينشد تعاونهم من أجل المصلحة العامة ، علمه العلم في اللغة تعنى : اعلمته اياته فتعلمه . وفرق سيبويه بيتهما فقال : علمت كائنت واعلمت كائنت ، وعلمه الشيء فتعلم ، وليس التشديد هنا للتکثير . وقال عمرو بن عبد يكرب مستخدماً كلمة تعلم بمعنى « أعلم » :

تعلم ان خير الناس طرا
قتيل بين احجار الكلاب

يقال : استعلم لي خير قلن واعلمته حتى اعلمه ، واستعلمته الخبر فاعلمته اياه ، وعلى الرغم من أن الرسالة الاعلامية هي جوهر التحرير الاعلامي تجد أن الزمن ذاته جزء من الموقف الاتصالي الاعلامي العام ببعاده النفسي والاجتماعية والثقافية ، فهو موقف سلوكي تقسم فرعاً مطردة ومترادفة للمشاركة في الخبرة ، وتحقيق الاعلام ، وكسب المعرفة والفهم ، من خلال استخدام الرموز .

وهذه المستويات الثلاثة كائنة في كل مجتمع انساني ، والمفرق بين المجتمع المتكامل السليم ، والمجتمع المتخل المريض ، هو تقارب المستويات اللغوية في الأول وتباعدها في الآخر . فتقارب مستويات التعبير اللغوي دليل

على تجانس المجتمع وتوارن طبقاته ، وحيوية ثقافته ، ومن ثم الى تكامله وسلامته العقلية ، فمن الثابت أن المصور التي يسود فيها نوع من التاليف بين المستويات العلمية والأدبية والعملية ، هي غالباً إزهى المصور وأرقاها . أما إذا كان كل مستوىً لغوي بعيداً كل البعد عن الآخر فهو دليل على الانقسام العقلي في المجتمع ، وهذا يؤدي إلى التدهور والانحطاط والشيخوخة والاحتلال (١) .

فاللغة كغيرها من مظاهر الثقافة تتميز بخاصية التراكم والاستمرار والنمو والقدرة على الانتقال . والأكثر من هذا كله فإنها هي ذلك الجزء من الثقافة أو الحضارة ؛ الذي يساعد أكثر من غيره على التعلم ، وزيادة الخبرة والمشاركة في خبرات الآخرين ، سواء الخبرات الماضية أو الحالية ، أي أنها العامل الأساسي في عملية التراكم التي هي أهم عنصر في الحضارة الإنسانية (٢) .

وتحتمد اللغة في صحتها وقوتها على المستوى العام للغة ؛ القائم على التاليف بين المستويات العلمية والأدبية والعملية ، لأن الحديث اليومي حين يحسنه أفراد المجتمع ؛ ينشط اللغة ويعيد إليها الشباب . فليس الكلام الإنساني من خلق العلماء أو المؤرخين ، بل هو على حد تعبير الدكتور إبراهيم أثيس (٣) من خلق العامة من الناس من ر بما لم تتح لهم فرصة التعلم في مدرسة ، ومن لا يكادون يحسنون كتابة أو قراءة .

حقاً أن العلماء والأديماء قد يعملون على تنمية اللغة وجعلها غنية حتى تزهر ذلك الجمال الرائع في النصوص الأدبية ، ولكننا نلاحظ أن اندثر الثورات وأروعها هي تلك التي تظهر طبيعية ودون رعاية أو تعهد .

على أن جذور اللغة لا تعمق إلا في التربية العامة التي فيها تستمد اللغة عصيرها وغذاءها . هذا إذا أقدر لغة إلا تموت وتندثر ، كما اندثرت تلك اللغات القديمة التي انقطعت صلتها بكلام الناس وخطابهم . يجب لهذا إلا تكون هناك فجوة عميقة بين الفاظ الأدب والحديث اليومي . فقد تتطور تلك

(١) Imam, I. ; The Language of Journalism, (1969).

(٢) د. أحمد أبو زيد : مجلة عالم الفكر ، العدد الأول بالجلد الثاني ١٩٧١ م .

(٣) اللغة بين القومية والعالمية ص ٢٢ .

الفجوة الى عزل لغة الأدب وتصبح أشيه باللغة المصنوعة التي تقرر صيغها وأشكالها بواسطة سلطة عليا كما هو الشأن في الجامع اللغوية بأوروبا ، فقد يصدر المجتمع اللغوي قواعد محددة لتنظيم الاستعمال الأدبي ، وقد يفرض النصوص التي يجب أن تعلم في المدارس ولكنه لن يستطيع السيطرة على ذلك الحديث المرح في الأسواق ولا على الخطاب العادى في البيوت وبين أفراد الأسرة (١) .

وقد حدث هذا لأوروبا في العصور الوسطى عندما كانت اللغة اللاتينية مستاثرة بالدراسات الأدبية ، بينما كانت اللغات الاجتماعية محقرة ومتبوأة لا تستعملها إلا الطبقات العاملة المقبرة ، فماشت في عصور مظلمة وياتت تردد في الجهل والتعصب والتناحر والتنبذ ، وفي الوقت نفسه سادت في العالم الإسلامي أداب رفيعة وكانت اللغة العربية شائعة بين الحكام والحكومين ، مستعملة في الأداب والعلوم وفي الحياة العملية . ولم تكن الفروق بين هذه المستويات شاسعة مفزعة كما كانت في أوروبا بين اللاتينية والإنجليزية أو الإلانية مثلا ، فكان التاليف في المجتمع والانسجام بين مطباته ، والحيوية والتكامل في العقل الجماعي والموجدان الجماعي (٢) .

وقد كانت اللغة العربية في الحلة عصورها في القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر - تعلى من الانقسام العقلى في المجتمع ، حيث سادت لغة أدبية متعددة متكلفة ككتاب سخيف للطريقة الفاضلية في الكتابة عقيمة مصطنعة لم يالفها الشعب ، أما أساليب العرب الفصحيه والكلام البليغ فقد كانوا يبعدون عنه كل البعد وكل ما تصيبه إليه التفوس وترتفع إليه المطامع إن يقلد الكاتب أسلوب الحريري في مقاماته ، كما افت كتب تقدم للناس الكلام المصنوع والرسائل المعدة والعبارات المؤلفة والجمل المتراوحة . وليس على من يريد أن يكتب في موضوع الآن يأخذها بنفسها .

ومن جهة أخرى اختفت الفروق اللغوية الدقيقة وأصبحت الألفاظ المتقاربة متراوحة ، بحيث لم يعد التراويف في ذلك العصر مزية من مزايا العربية ، وأصبح مرضًا من أمراضها الواعدة المنتشرة . وغلب على الناس استعمال الألفاظ في معاناتها العامة . فضاعت من اللغة بل من التفكير مزية الدقة التي عرفت بها العربية في عصورها السالفة . وأدى ذلك إلى تداخل معانى الألفاظ حين فقدت الدقة واتصفت بالعموم وقد الفكر العربي الوشوح

(١) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٢) د - إبراهيم أيام : دراسات في الفن الصحفى ص ٤١ .

حين فقدت اللغة نفسها ، واتسم بالغموض والفضل الألفاظ عن معانٍها وأصبحت عالماً مستقلاً يعيش الناس في جوهر بدلاً من أن يعيشوا في الحياة ومعانٍها .^(١)

وصفة القبول أن الخضوع السياسي والخصوصية الفقهية والصوفية السلبية والصنعة المتكلفة في الأدب ، كان لها جميماً اثراًها في اللغة وانعكاس اشعتها عليها فكان للغة تلك المتصور صفات في الوجه اللغوي لهذه الصفات الاجتماعية الأخرى . وتلك هي أعراض المجتمع المريض والحضارة المتخمة . وقد حدث ذلك في المتصور الوسطاني في أوروبا كما حدث في إنجلترا في مطلع القرن التورمانتي وحدث أيضاً في مصر بعد الفتح التركي حتى القرن التاسع عشر .

وليس من قبل المصادفة أن يكون ظهور أول صحفي مصري وهو رفاعة الطهطاوى في عصر محمد على مقربنا بنهاية علية : والتحام بين الثقافة الشرقية والثقافة الغربية واهتمام بالترجمة^(٢) . وقد كانت اللغة الموروثة التي كانت تؤدي أغراض عصور الانحطاط فى آفاق ضيقة حاملة صفات التفكير السادس في تلك المتصور من جحود وضيق في الأفق ، وحملت الحياة الحديثة في أوروبا إلى العرب الآلات الجديدة وأفكار جديدة ومشاعر جديدة حملت كل ما حملته حضارتها من ضروب النشاط الإنساني في الاقتصاد والسياسة والحياة الاجتماعية : من الوان وصور جديدة . فقمت المشكلة من عجز اللغة العربية كما خلقها عصور الانحطاط عن القيام ببعض التعبير عن معانٍ هذه الحياة الجديدة المادية والمعنوية .

لقد كانت الملامحة بين الأمرين عسيرة صعبة ، وكان جمهورة المتكلمين باللغة العربية حمل هذا العبء والاضطلاع به ، فكان على جمال الدين الأفغاني ويعقوب صستوح والشيخ محمد عبد ومحطفى كامل وأحمد لطفى السيد ومحمد حسين هيكيل من رواد الصحافة الذين جمعوا بين الثقافة العربية والثقافة الأوروبية : أن يخلقوا بجهودهم الرائدة لغة الفن الصحفي المصري التي تقترب من لغة الأدب وتمتاز بالسلامة والواقعية والتيسير .

ولقد توجت هذه الجهود بظهور الصحافة الإخبارية الحديثة ، وبالتنوع في وسائل الاتصال الصحفي بالصورة الفوتografية والصورة الكاركتورية

(١) محمد المبارك خصائص العربية من ٦ .

(٢) د. إبراهيم امام : دراسات في الفن الصحفي من ٤٤ .

والعنابة بالأخبار الناتية . وقد تطلب ذلك استخدام لغة صحفية تتلامس مع شعبية الصحافة ، تتوجه السهولة والتبسيط دون أن تهبط إلى العامية في اللقط أو السوقي في الفكر (١) .

وهكذا تقارب السطويات اللغوية العلمية والجمالية والعملية لأننا كلها نزلنا في سلم التطور الحضاري للمجتمعات وجدنا فروقاً شاسعة بين المستويين الأدبي والعلمي للغة .

على أن لغة الفن الاعلامي تقوم على الوظيفية الهادفة والوضوح والاشراق ، وتکاد تكون هنا تطبيقاً قائماً بذاته ، فالفن الصحفى الاعلامي تعبر اجتماعي شامل ، ولغته ظاهرة مركبة خاضعة لكل مظاهر النشاط الثقافي من علم وفن وموسيقى وفن تشكيلى الخ . هذا إلى جانب السياسة والتجارة والاقتصاد والمواضيعات العامة . ومن ذلك يبين أن الفن الصحفى والاعلامي يوجه عام فن تطبيقى يهدف إلى الاتصال بالناس ونقل المسانى والأكارب البهم فهو آداة وظيفية ، وليس فناً جمالياً يقصد ذاته . ذلك أن لوسائل الاعلام وظائف محددة : هي الاعلام والقصص والتوجيه والتصويب والاقناع والتنشئة الاجتماعية . ومع ذلك فلغة الفن الاعلامي تختلف عن كل هذه جميتها لأنها تتضمنها كلها ، ولا تقتصر على أي منها ، لأن جمهور المستقبلين ليسوا قطاعاً واحداً من الناس ولكنهم في الغالب كل الناس ، وأن الاعلامي يرسل لكل الناس في كل الأوقات . وليس لجزء من الناس في كل الأوقات أو لكل الناس بعضاً من الوقت . فإنه يجب عليه أن يجاهد لتحقيق هذه بوابة عام وهو جعل رسالته مفهومة لدى الجميع .

١ - بلاغة الكلام : الرسالة الرمزية :

هي مطابقة الكلام لمعنى الحال مع فصاحتة .

والحال هو الأمر الداعي للتكلّم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدى به أصل الراد خصوصية ما ، سواء كان ذلك الأمر داعياً له في نفس الأمر أو غير داع في نفس الأمر بل يتزيل ، فالحال هو الأمر الداعي مطلقاً ، أما ظاهر الحال فهو الأمر الداعي في نفس الأمر لاعتبار المتكلم خصوصية ما ، فهو أحسن من الحال . والخصوصية هي مقتضى الحال .

(١) المرجع السابق من ٤٥ .

مثلاً : إنكار المخاطب للحكم حال يقتضي تأكيدـه ، والتاكيدـ مقتضاهـ ، ومعنى مطابقته له أنـ الحالـ إنـ اقتضـيـ التـاكـيدـ كانـ الكلـامـ مؤـكـداً ، وـانـ اقتـضـيـ الـاطـلاقـ كانـ الكلـامـ عـارـياً عنـ التـاكـيدـ ، وهـكـذاـ انـ اقتـضـيـ حـذـفـ المسـندـ إلـيـ حـذـفـ ، وـانـ اقتـضـيـ ذـكـرـ ذـكـرـ ، إلـيـ غـيرـ ذـكـرـ ذـكـرـ منـ التـفـاصـيلـ المشـتـملـ عـلـيـهاـ عـلـىـ الـمعـانـيـ .

فالإنكارـ حالـ ، والتـاكـيدـ مـقتـضـيـ ، وـقولـكـ «ـانـ زـيـداـ فـيـ الدـارـ» ، مـؤـكـداـ بـيـانـ كـلـامـ مـطـابـقـ لـمـقتـضـيـ الـحالـ ، يـعـنـيـ أـنـ مـشـتـملـ عـلـيـهـ ، إـذـ هـذـاـ المـثالـ مـشـتـملـ عـلـىـ التـاكـيدـ .

ومـقتـضـيـ الـحالـ مـخـتـلـفـ ، فـانـ مـقـاسـاتـ الـكلـامـ مـتـفـاـوتـةـ : فـمـقـامـ التـكـيرـ بـيـانـ مـقـامـ التـعرـيفـ ، وـمـقـامـ الـاطـلاقـ بـيـانـ مـقـامـ التـقيـيدـ ، وـمـقـامـ التـقـيـيدـ بـيـانـ مـقـامـ التـاخـيرـ ، وـمـقـامـ الذـكـرـ بـيـانـ مـقـامـ الـحـذـفـ ، وـمـقـامـ الـقـصـرـ بـيـانـ مـقـامـ خـلـافـ ، وـمـقـامـ الـفـصـلـ بـيـانـ مـقـامـ الـوـصـلـ ، وـمـقـامـ الـإـجـازـ بـيـانـ مـقـامـ الـاطـنـابـ وـالـمـساـواـةـ ، وـكـذاـ خـطـابـ الذـكـرـ بـيـانـ خـطـابـ الـغـيـرـ .

وـكـذاـ لـكـ لـكـلـ كـلـمـةـ مـعـ صـاحـبـتـهاـ مـقـامـ .

٢ - وـاماـ بـلـاغـةـ الـمـلـكـ (ـالـمـرـسـلـ) :

قـهـيـ مـلـكـةـ يـقـدرـ بـهـاـ عـلـىـ تـالـيـفـ كـلـامـ بـلـيـغـ .

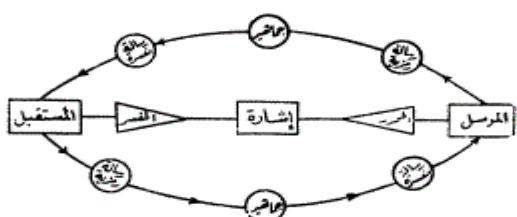
مـرـاقـبـ الـبـلـاغـةـ :

ولـلـكـلامـ الـبـلـيـغـ مـرـاتـبـ : أـعـلـاـهـ ماـ يـصـلـ إـلـيـ حدـ الـاعـجـانـ أـوـ ماـ يـقـربـ مـنـهـ ، مـعـاـ يـتـبـيـنـهـ الـأـدـيـاءـ فـيـ كـلـامـ إـلـيـ تـعـالـىـ وـكـلـامـ رـسـوـلـهـ الـكـرـيمـ .. وـدـوـنـ ذـلـكـ مـرـاتـبـ كـثـيـرـةـ تـتـقـاـوـلـتـ فـيـهـاـ إـنـدارـ الـبـلـاغـ ، مـنـ الـكـتـابـ وـالـشـعـرـاءـ وـرـجـالـ الـأـدـبـ .. كـمـاـ يـفـضـلـ النـسـجـ ، مـتـيـ يـفـوقـ الشـرـمـ نـظـيرـهـ ، وـتـقـاـوـلـتـ الـقـيـمـ تـقـاـوـلـتـ شـبـيـداـ ، كـذـلـكـ يـفـضـلـ بـعـضـ الـكـلـامـ بـعـضاـ ، وـيـرـقـيـ مـنـزـلـةـ فـوـقـ مـنـزـلـةـ لـخـصـائـصـ يـصـادـفـهـ فـيـ سـيـاقـ لـفـظـهـ ، وـرـقـةـ مـعـانـيـهـ .

وـلـاـ سـيـلـ إـلـيـ ذـلـكـ إـلـاـ بـالـنـظـارـ فـيـ كـلـامـ الـعـرـبـ ، وـتـبـعـ شـعـارـهـ ، وـدـرـاسـةـ عـلـيـرـمـ الـبـلـاغـةـ ، لـتـعـرـفـ فـيـهـاـ تـلـكـ الـخـصـوصـيـاتـ الـتـيـ تـكـسـبـ الـكـلـامـ فـخـامـةـ وـجـمـالـاـ .

النسبة بين الفصاحة والبلاغة

- ١ - البلاغة في الكلام مرجعها إلى : الاحتياز عن الخطأ في تادية المعنى المراد ، وإلى تمييز الكلام القصيغ من غيره .
فكل بلاغ - كلما كان أو متلكما قصيغ ، وليس كل قصيغ بلاغا .
- ٢ - وهناك فرق آخر بين الفصاحة والبلاغة ، فالفصاحة يوصى بها المفرد والكلام ، (الرسالة الرمزية) والرسائل فقط ، فلا يقال : لفظ بلاغ .



ويوضح هذا التموج الدورة البلاغية من المرسل إلى المستقبل ، والتي تتضمن كل عناصر البلاغة الجديدة : المرسل - المحرر - الاشارة - المؤسر - المستقبل - الرسالة الرمزية . على النحو الذي يجعل البلاغة الجديدة تحرصن على عملية الاتصال البلاغي بالجمahir ككل ، وبحيث تصبح « الرسالة » البلاغية مجرد عنصر من عناصر يتناقض مع غيره من العناصر في البلاغة الجديدة .

الباب الرابع

علوم البلاغة

علوم بلاغية :

تتبع بلاغة الكلام وجوه اخر سوى المطابقة والفصاحة تورث حسنا ، وأنتا تعد محسنة بعد رعاية المطابقة والفصاحة ، وهي تابعة لبلاغة الكلام دون المتكلم ، لأنها ليست بما تجعل المتكلم متخصصاً بصلة وتسمى علم البديع .

فالبلاغة في الكلام مرجعها الاحتزان عن الخطأ في تادية المعنى المراد ، والا لربما أدى المعنى المراد بال فقط فصيغ غير مطابق لمعنى الحال فلا يكون بذلك ، والى تمييز الكلام الفصيحة من غيره ، والا لربما اورد الكلام المطابق لمعنى الحال بال فقط غير فصيغ فلا يكون أيضاً بذلك لوجوب وجود الفصاحة في البلاغة ، ويدخل في تمييز الكلام الفصيحة من غيره تمييز الكلمات الفصيحة من غيرها لتوقفه عليها .

وتمييز الفصيحة من غيره يعنيه بين في علم متن اللغة كالغرابة ، يعني ان من تتبع الكتب المداولة واحتاج بمعانى المفردات المأتوسة علم ان ما عدتها مما يفتقر الى تتفير او تخرج فهو غير سالم من الغرابة ، او في علم التصريف كمخالفة القياس اذ به يعرف ان الاجل مختلف للقياس دون الاجل ، او علم النحو كضعف التاليف والتعقيد اللفظي ، او يدرك بالحسن كالتأثر اذ به يعرف ان محتذراً متناقض دون مرتفع ، وكذا تناقض الكلمات وهو ما عد التقييد المعنوى .

فعلم ان مرجع البلاغة يعنيه بين في العلوم المذكورة وبخصوصها يدرك بالحسن ويقى الاحتزان عن الخطأ في تادية المعنى المراد والاحتزان عن التقييد المعنوى فهمست الحاجة الى وضع علمين مقيدين لذلك فوضعوا علم المعنوى للأول ، وعلم البيان للثاني . فما يحترز به عن الخطأ في تادية المعنى المراد هو علم المعنوى ، وما يحترز به عن التقييد المعنوى هو علم البيان ، وسموا هذين العلمين علم البلاغة لكان منزد اختصاص لهما بالبلاغة وان كانت البلاغة تتوقف على غيرهما من العلوم ، ثم احتاجوا لمعرفة توسيع البلاغة الى علم اخر ، فوضعوا لذلك علم البديع ، فما يعرف به وجوه التحسين هو علم البديع .

شواهد لطابقة الكلام لمعنى الحال :

- ١ - اذا اردت ان تتفى عن نفسك فعل شيء من غيره ان تشير الى ان غيرك فعله ، قلت : « ما فعلت » فاذا اردت ان تشير الى ان غيره فعله تقول :

« ما أثنا فعلت » ، فلانت قد جعلت لكل معنى من هذين مقالا على وفقه .
وطابقت بقولك مقتضى الحال .

٢ - وقال تعالى في سورة الجن :

« واتا لا ندرى اشر اريد يعن فى الارض ام اراد بهم رشدا » .

فعمل الارادة جاء مع الشر على صورة المبني للمجهول ، ومع الرشد على صورة المبني للمعلوم ، والحال الذامية الى بناء الاول للمجهول - التأييد في جانب الله تعالى بعدم نسبة الشر صراحة اليه ، وان كان الخير والشر مما قدره الله تعالى واراده .

٣ - اذا قلت : « على الله اعتمد ، فقد ارددت ان تنصر اعتمادك على الله وحده ، ودللت على ذلك بتقديم « على الله » على الفعل « اعتمد » ، ولو قلت : اعتمد على الله » لم يكن في قوله ما يدل على قصر اعتمادك على الله ، فارادة القصر ، على ابسط المصور الدالة عليه ، حال دعت الى تقديم الجار والجرور على الفعل .

شواهد للكلام البليغ :

١ - قال الله تعالى في الرد على من انكر البعث : « وحضر لنا مثلا ونسى خلقه ، قال من يحيي العظام وهي رعيم . قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليهم . الذي جعل لكم من الشجر الاخر نارا فاذ انتم منه توقدون ، او ليس الذي خلق السموات والارض يقدر على ان يخلق مثلهم ، يلي وهو الخالق العظيم . ائما ائمه اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ، فسيحيان الذي بيده ملکوت كل شيء وآلية ترجعون » .

تناولت هذه الآيات الكريمة اثبات البعث ، والرد على من انكره في ابلغ صورة وافق حجة ، وقطعت على المنكرين سبيل الدفاع عن رأيهم الباطل ، وجحتهم الداحضة ، فان القادر على بدء الخلق لا يعجزه ان يعيده لان الاعادة ليست باصعب عند ذوى المقول من الابتداء . وقد زاد الله هذه الحجة قوة ووضوحا ، فذكرهم بقدرته على اخراج النار مما ينبع من الماء ، والماء والنار من خلق الله ، فمن قدر على ذلك فليس يمكنه ان يعيده ما انشأ ، ثم قوى هذه الحجة وزادها شرحا وبلغ بها غاية الايصال والتوكيد بما نبه اليه ، من

أن إعادة الناس بعد الموت ليست أصعب من خلق السموات والارض ابتداء .
وفي ذلك يقول الله تعالى في آية أخرى :
« لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ، ولكن اكثر الناس
لا يعلمون » *

ثم اثبت سبحانه وتعالى لنفسه القدرة المطلقة ، والارادة النافذة ، في
قوله تعالى :

« إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فليكون » . ودل على أن كل
المخلوقات ملکه ، وان حسبي الناس اليه بقوله : « قسيمان الذي بيده ملکوت
كل شيء واليه ترجعون » . فما ترك زيادة مستزيد ، ولا حجة لعائد مكابر .
وهذا النوع من البلاغة لا تصل اليه قدرة الناس وان اجتمعوا له :
« قل لمن اجتمع الناس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم ليغفر ظهيراً » *

٢ - وقال بعض الكتاب يمدح أميراً :
« مثلك اوجب حقاً لا يجب عليه ، وسمح بحق وجب له ، وقبل واضح
العدم واستثنى قليل الشكر ، لازالت اياديك فوق شكر اوليائك ، ونسمة
الله عليك فوق امالهم فيك » *

فاظطر كيف وصف مدوحه فأجاد صفتة ، فهو كريم يرى العطايا فرضاً
ويتجاوز عما وجب له من الحقوق ، ويقبل عنده المعتبر ويرى ما قل من الشكر
كثيراً في جنب عطائه .

ثم هو بعد ذلك يدعو للمدحوج ان تكون نعمه دائمة لاولياته ، تزيد على
شكراً وتروي على ثناهم . وان تكون نعم الله تعالى عليه فوق ما يؤمنون له ،
ويرجون عنده .

وكل ذلك في عبارة مختبرة ، ونسق جميل دل على بلاغة الكاتب ، وتمكنه
من صناعته .

٣ - ومن جوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم : « كفى بالسلامة داء » .
والمعنى ان الرجل اذا طالت به الحياة ، وامتد العمر ، كان طول حياته سبباً
في كبيرة ، وضيق صحته ، وعجزه عن القيام باموره ، ولقد يمتد به ذلك حتى

يسير عجزا عن القيام والمغود ، وتناول الطعام والشراب ، والاستمتاع بما يقع تحت بصره من دواعي السرور والفرح . افليس هذا داء لا دواء له الا ان يستريح الجسم الفاني من متاعب الحياة ، ويذهب الى ربه .

ولقد جمع الحديث الشريف هذه المعانى في ثلاثة نقاط ، فما نقص منها شيئا وهذا ما أراده بعض الحكماء بقوله : « البلاغة قول يسير ، يشتمل على معنى خطير » . وعبر عنه الآخر بقوله : « البلاغة علم كثير في قول يسير » .

واول من نطق بهذا المعنى : التمر بن تولب ، احد شعراء العصر الجاهلى **الذ يقول :**

يرد الفتى طول السلامة والفتى
فكيف شرى طول السلامة يفعل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحبة
يتوء اذا رام القيسما ويحمل

وقال حميد بن ثور :
ارى بصرى قد راينى بعد صحة
وحسبيك داء ان تصح وتسلما

وقال اخر :
ودعوت ربى بالسلامة جاهدا
ليصحتني فاذ السلامة داء

وقال ابن الرومي :
لمسرك ما الدنيا بدار اقسامة
اذ زال عن نفس البصير غطاها
وكيف بقاء العيش فيها وانما
ينحال باسباب الفناء بقاوها

وقد جاء ابن الرومي غامضا مبهما ، يحتاج الى كد الذهن ، وطول الفكر
هاته يرد بقوله : « وانما ينحال باسباب الفتاء بقاوها » . ان الانسان انما ينحال
« البقاء طويلا في الدنيا بامتداد عمره » . وهذا الامتداد هو سبب الفتاء ، لأن للعمر

نهاية ، وكل يوم يمر منه يقرب هذه النهاية مهما تكون بعيدة لأن واحداً من أيام الحياة المعدودة ، يتقصى عددها ، ويقترب آخرها .

وأقرب من هذا قول محمد بن علي رضي الله عنهما :

« مالك من عيشك إلا لذلة تزدلف بك إلى حمامك ، وتقتربك من يومك ، فتأمل أمرك ، فكأنك قد صرت الحبيب المفود ، أو الخيال المفترم » .

٤ - وقال المأمون لأم الفضل بن سهل بعد قتله أباه : « أتجزعن ولد مثلثي ؟ » قالت : « لا أجزع على ولد أقادني أباك ! » فانظر كيف أراد أن يلزمها الحجة في ترك الجزء بأنه بمذلة الولد ، وفي مثله وهو أمير المؤمنين كفایة من الحاجة ، ورداع عن الحزن . ولكنها جاءت بما هو أبلغ في الحجة وأثر عند المماطلة ، إذ قلت له : « إن بتوتك لي لم تجئ إلى إلا من ناحيتك ، فهذا الخير الذي اجتنبه من بنوة أمير المؤمنين - خير ورثته من أبيك ، وفضلة ظاهر فيه ، فهو بيكيأس لذلك جدير » .

٥ - وقال المأمون ليعين بن أكتش القاضي : « سفلى حالى عند الناس » . فقال : « يا أمير المؤمنين ، قد انقادت لك الأمور بازتمتها ، وملكك الامة فضول اعنتها ، بالرغبة اليك ، والحبة للك ، والرفق منه ، والعياضة بك ، بعدلك فيهم ، ومنك عليهم حتى لقد انسيتم سلطتك ، وأيسنتهم خلفك فالحمد لله الذي جمعتنا بك بعد التقاطع ورقينا في دولتك بعد التواضع » . فقال : « يا يعين ، اتحببنا أم ارتبالا ؟ ، قال يعين : وهل يمتنع فيك وصف ، ويتعذر على مادحك قول ، أو يفهم فيك شاعر ، أو يتلجلج خطيب ؟ » .

٦ - ودخل أعرابى على المنصور فتكلم ، فأعجب بكلامه ، فقال : « سل حاجتك » . فقال : « يبيك الله ، ويزيد في سلطاته » . فقال : « سل حاجتك ، وليس في كل وقت مرمي بذلك » . فقال : « ولم يا أمير المؤمنين ؟ قواه ما استنصر عمرك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أخشم مالك ، وإن مزاك لشرف ، وإن عطاءك لذين ، وما يأمرىء بذلك وجهه اليك تقصى ولا شين » .

فانت ترى أن كلاماً من يعيين والأعرابين قال على البديبة قوله جميلاً ، اجاد في وصف مسدوجه ، فبلغ الغاية ، وأحرز قصب السبق ، وجرى في قوله جريان السبيل ، وانصب انصباب القطر .

٧ - ومن جيد الشعر قول معن بن اوس :

لعمري ما اهويت كلى لريبة
ولا حملتني نحو فاحشة رجل
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها
ولا دلنى رأين عليها ولا عقلنى
واعسلم انى لم تصيبنى مصيبة
من الدهر الا قد اصابت فتنى قبلى
ولست بعاش ما حبب لشكرا
من الامر لا يمشى الى مثله مثلى
ولا مؤثر نفسى على ذى قرابة
واوثر ضيقى ما اقام على اهلى

فقد وصف نفسه في شعره بصفات من الكمال ، سردها في اسلوب عذب
ساخت لا يكى ذهنا ، ولا يستوجب تفكيرا ، فهو يقول : ان يديه طاهران من
الدنس ، وان قدميه لا تسيران به الى ما يتلثم العرض ، ويستوجب التم ، وان
سمعه وبصره ورأيه وعقله لا تقرده الى مواطن الشبه ، ولا تحمله الى أماكن
الوابس . ويقول : انه من يشاطرون ذوى القرابتين أموالهم ، ويتوشرون خيوقهم
على أهلهم ، فيبسط طهارته وذكره في ابياته يسطوا سائلا جميلا .

٨ - وما هو جيد في وصفه قول العباس بن الاحتض :

اليك اشـكـو رب ما حـلـ بـيـ
من صـدـ هـذـا التـسـاءـ المـجـبـ
ان قال لم يفـعـلـ وـانـ سـيـلـ لمـ
يـسـدـلـ وـانـ عـوـتـ لمـ يـعـتـبـ
صـبـ يـعـصـيـاتـيـ وـلوـ قـالـ لـىـ
لا تـشـرـبـ الـبـيـارـادـ لمـ اـثـرـ

فانتظر كيف وصف صاحبه بالاعراض ، وعدم الشفقة ، والبالغة في
الهجر ، حتى كانه مفترم بالمخالفة ، مع شدة طاعة الشاعر لصاحبها ، وحرمه
على ارضائه ، ولو كان في ذلك ما يشق احتماله . فجاءت ابياته الثلاثة كما قال
بعض الادباء : « هذا والله الشعر الحسن المعنى ، السهل اللفظ ، العذب المستمع
القليل النظير العزيز الشبيه ، المطبع ، البعيد مع قربه ، الصعب في سهولته » .

٩ - ومن جيد الشعر قول البحترى يمدح جعفرأ :

ايهما الراغب الذى طلب الجو
د فابللى كوم المطایا وانهى
رد حيياش الامماء تلق نوالا
يسمع الراغبين طولا وعرضها
فهناك العطاء جزلا من را
م جزيل العطاء والجود محضا
هو اندى من الفيام واوحنى
وقدمات من الحسام وامضى
يتخرى الاحسان قسولا وفمنلا
ويطیبع الاله بسطا وقبضا

١٠ - قوله من قصيدة أخرى يمدحه :

خلق اش جعفرأ قيم الدنيا سدادا وقيم الدين رشدنا
اكرم الناس شيئا واتم الناس حلما ، واكثر الخلق رفدا
هو يحرر السراح والجود فازده
منه قربا ، تزدد من المقر بعدا
يا شمال الدنيا عطاء وبدلنا
وجمال الدنيا ثناء ومجدا
ابق عمر الزمان حتى نؤدي
شكرا احساناته الذى لا يؤدى

أراء مأثورة في البلاغة

لبشر بن المعتز فيما يجب أن يكون عليه الخطيب والكاتب رسالة من الرسائل الابدية البليغة ، جمعت حدود البلاغة ، وصورتها أحسن تصوير ، وستذكر بعضها مع شيء من الإيجاز قال :

« خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ يالك ، واجبتها يالك فان قليل تلك الساعة اكرم جوهرا ، وشرف حسبي ، واحسن في الاصناع ، وأحلني في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجب لك كل عين وغرة : من لفظ شريف ، ومعنى بديع . واعلم ان ذلك اجدى عليك مما يعطيك يومك الاطول بالكل والطاولة والمجاهدة ، وبالتكلف والماوية . »

وإياك والتوعر (١) . فإن التوعر يسلمه إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ، ويضيق الفاظك . ومن أراد معنى كريما فلياتس له لفظاً كريماً فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف . ومن حقهما أن تصوتهما بما يفسدهما ويهجنهما ..

وكن في ثلاث منازل : فان أولى الثلال أن يكون لفظه رشيقاً عنباً ، وفخماً سهلاً ، ويكون معنايك ظاهراً مكتوفاً ، وقربيناً معروفاً ، أما عند الخاصة ان كنت للخاصة قدست ، واما عند العامة ان كنت للعامة اردت . والمعنى ليس يشرف بان يكون من معانى الخاصة ، وكذلك ليس يتضمن بان يكون من معانى العامة . واما دمار الشرف على الصواب وأحرار المقفع ، مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال . وكذلك اللفظ العجمي والخاصي . فان امكنته ان تبلغ من بيان لسانك وبلاحة قلمك ولطف مداخلك ، واقدارك على نفسك - على ان تفهم العامة ، معانى الخاصة وتكتسواها الانفاظ الواسطة (٢) التي لا تختلف عن الدهماء ، ولا تتجقو عن الاكفاء ، فانت البليغ التام .

(١) التوعر : التعبير باللفاظ التي يصعب فهمها .

(٢) التي فوق السهل ودون الصعب .

فإن كانت المنزلة الأولى لا تواترك ولا تعتريك ، ولا تستحق لك عند أول نظرك ، وفي أول تكفلك . وتتجدد اللحظة لم تقع موقفها ، ولم تحصل الى قرارها والتي حقها من اماكنها المقسمة لها ، والكافية لم تحصل في مركزها وهي تصابها ، ولم تحصل بتشكيلها ، وكانت قلقة في مكانها ، تأثرت من موضعها فلا تكرهها على اختصار الاماكن ، والتزول في غير اوطانها فذلك اذا لم ينتعما قرض الشعور والمعنى ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور ، ولم يعيك بتزكي ذلك أحد ، وإن انت تكلفت ولم تكن حاذقا مطربوا ، ولا محاما لسانك ، بما عليك أو ما لك – عايك من انت اقل عبيبا منه ، ورای من هو دونك انه فرقك .

فإن ابتأت بــان تتكلف القول وتعاطي الصنعة ، ولم تسمع لك الطابع
في أول وهلة ، وتمضي عليك بعد أجالة الفكرة ، فلا تجلب ولا تضجر ، ودمعه
بيباش يوصلك إلى ليلك ، وعاوده عند تشاحتوك وفراغ بالك ، فانك لا تقدم الاجابة
والمرأة ، إن كانت هناك طيبة ، أو حربت من الصناعة على عرقك .

فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ، ومن غير طول أعمال - فالنذلة الثالثة إن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك وأخفاها عليك ... لأن النقوس لا تعود بمكتونتها مع الرغبة ، ولا تستمع بمخزونتها مع الرهبة ، كما تعود به مع الجمة والشهرة . فهكذا هذا .

ويتبين للملائكة أن يعرف أقدار المعانٰ ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيحصل لكل طيبة من تلك كلاماً وكل حالة من ذلك مقاماً ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعانٰ ويقسم أقدار المعانٰ على القمامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات ،

- 7 -

وقال الحسن بن عبد الله بن مسحول العسكري في كتاب المستعدين : « الكلام - ايدك الله - يحسن بسلامته ، ومسؤولته وخصائصه وتغير لفظه ، واصابة معناه ، وجودة مطاعله ، ولبن مقاطعه ، واستواء تقاسيمه ، وتعابد اطرافه ، وتشابه اعيجازاته بهواديه ، وموافقة ما خبره لمباديه ، من قلة ضروراته ، بل عدمها اصلاً ، حتى لا يكون في الالتفاف اثراً ، فنجد المنظوم مثل المثور في سهولة مطاعله ، وجودة مقاطعه ، وحسن رصفه وتأليفه ، وكمال صوغه وتركيبه ، فإذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقة ، وبالحفظ خلقة - كقول الأول :

فَمَا يَبَالُونَ هَانَ لَهُمْ إِذَا حَمَدُوا

وقول الآخر :

ولست بمتظار الى جانب الغنى
اذا كانت العلیاء في جانب الفقر

وقول النابغة :

ولست بمستيق اخا لا تلمه
على شمعت اى الرجال المذهب

فاما كان الكلام قد جمع العنوية والجزلة والسهولة والرصانة مع
السلامة والصناعة ، وسلم من حيف التاليف ، ويعد عن سماحة التركيب ،
وورد على الفهم الثاقب قبيله ولم يرده ، وعلى السمع المصيب استوعبه ولم
يجهه ، والنفس تقبل الطيف ، وتنبو عن الغليظ ...

والفهم يأتي من الكلام بالمعروف ، ويسكن الى المأثور ، ويصني الى
الصواب ، ويهرب من المحال ... ولا يقبل الكلام المضطرب الا الفهم المضطرب
والروية الفاسدة ...

والفهم يأتي من الكلام بالمعروف ، ويسكن الى المأثور ، ويصني الى
الصواب ، ويهرب من المحال ... ولا يقبل الكلام المضطرب الا الفهم المضطرب
والروية الفاسدة ...

ولاخير في المعانى اذا استكررت قهرا ، والالفاظ اذا اجتررت قسرا ، ولا
خير فيما اجيده لفظه اذا سقفت معناه ، ولا في غرابة المعنى اذا شرف لفظه
مع وضوح المفاز ، وظهور المقصود ...

وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجذبون الكلام اذا لم يقفوا على
معناه الا يدرك ، ويستقصرونه اذا وجدوا الفاظه كزة غليظة وجاسية غريبة ،
ويستحقرون الكلام اذا راوه سلسا حلوا ، وعذبا سهلا ، ولم يعلموا ان السهل
امتع جانبا ، واعز طلبا ، وهو احسن موقعا ، واعتذر مستمعا ، ولهذا قبل :
اجود الكلام السهل المعتن ...

ووصف الفضل بن سهل عمرو بن مسدة ، فقال : « هو ابلغ الناس »
ومن بلاغته ان كل أحد يظن انه يكتب مثل كتابه ، فإذا رأها تغدرت عليه ...

ومن ذكره صاحب الصناعتين تتبين أن جمال الكلام وبلاعاته يجيئان من جهتين :

١ - ناحية المعنى ، بإن يكون حسناً مقبولاً ، مدلولاً عليه بما يوضحه .

٢ - ناحية اللفظ ، بإن يكون متثيراً متناسقاً ، قد وضعت كل لفظة منه في مكانها المناسب ، وارتبطت بما قبلها وما بعدها ارتباطاً آخر وسنة وتناسب في غير زيادة مملة ، ولا نقص مخل .

— ٣ —

وقال ابن وهب في كتابه « البرهان » :

« حدنا عندها أنها القول المحيط بالمعنى المقصود ، مع اختيار الكلام ، وحسن النظام ، وفصاحة اللسان ، وإنما اضفتنا إلى الاحاطة بالمعنى اختيار الكلام ، لأن العامي قد يحيط قوله بمعناه الذي يريد ، إلا أنه بكلام من ذول من كلام أمثاله ، فلا يكون موصوفاً بالبلاغة . وزينا فصاحة اللسان لأن الأعجمي واللسان قد يصلحان مرادهما بقولهما فلا يكونا موصوفين بالبلاغة . وزينا حسن النظام ، لأنه قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن الآتي على المعنى ، ولا يحسن ترتيب المفاهيم ، وتصيير كل واحدة منها مع ما يشاكها ، فلا يقع ذلك موقعاً .

وقال أيضاً : البلاغة ثلاثة مذاهب : المساواة ، وهو مطابقة اللفظ للمعنى لا زائداً ولا ناقضاً . والاشارة ، وهو أن يكون اللفظ كاللحمة الدالة . والتبييل ، وهو إعادة الانفاظ المتراوحة على المعنى الواحد ، ليظهر من لم يفهمه ، ويتأكد عند من فهمه .

— ٤ —

وسأل معاوية بن أبي سفيان صهاراً العبيدي : ما البلاغة ؟ قال : « إن تجيز فلا تبني ، وتصيب فلا تخطي » .

وقال الفضل : « قلت لأعرابي ما البلاغة ؟ قال : « الإيجاز في غير عجز ، والاطمأن في غير خطأ » .

★ ★ *

وسائل الاعلام امتدادات يلاجيه :

وتasisا على ما تقدم يمكن القول ان وسائل الاعلام والاتصال بالجماهير كامتداد تكنولوجي للغة بمفهومها العام : قد جاتت كامتدادات بلاغية لتعطى للبلاغة مفهوما اشمل يرتبط بمصطلح « الاتصال » كما تقدم : ولكن تؤثر تأثيرا اجتماعيا خطيرا .

فاما كان الانسان يستطيع خلق الرسموز فانه يمتلك قدرات لا تمتلكها الحيوانات الأخرى كالقدرة على التعبير عن الأهداف والمساند والرغبات المركبة ، ومن ثم القدرة على تغيير اشكال الحياة الاجتماعية . وهكذا فإن الاتصال هو حامل العملية الاجتماعية التي تعتمد على تجميع المعلومات وتبادلها ونقلها . ولا يستطيع ان ينجز اى تنظيم اجتماعي ، بدائيا كان او غير بدائي بدون اتصال . وبدون اتصال يظل المجتمع راكدا ومتينا على السلوك الغريزي الذي لا يختلف كثيرا عن مجتمعات الحيوانات .

فليس غريبا ان يؤكد جون ديفوي John Dewey انسانية الاعلام ويمنو استمرار المجتمع الى استمرار الاعلام ، ويذهب الى ابعد من ذلك حين يقول ان قيام المجتمع الانساني مبني على الاتصال البشري او الاعلام بوجه عام . فالاتصال او الاعلام هو حجر الزاوية لقيام المجتمع الانساني وظهور قيمه ومؤسساته .

ويذكر هارولد لاسوول Lasswell ان كل مجتمع سواء كان بدائيا او متقدما لا بد وان يحقق فيه الاعلام ثلاثة اهداف هي : مراقبة البيئة ، وربط اوامر المجتمع ، واستجابتة للبيئة ، ونقل الترات الاجتماعي وتوارثه . ثم جاء ولبرشرام فلخص هذه الاهداف بقوله انها الرقابة والتجمع والتعليم وأسلاف اليها الترقية .

ومن أهم الذين أسهموا في شرح العلاقة بين الاعلام والمجتمع عالم الاقتصاد الكندي هارولد ادمز اينيس Harold Adams Innis الذي أصبح فيما بعد مفكرا اعلاميا واسع الصيت ، ويؤكد هذا العالم ان طبيعة الجهاز الاعلامي تؤثر على طبيعة المجتمع نفسه . فهو يقول مثلا ان الكتابة على الجلد او الورق في العصور الوسطى كان مفتاحا حصر المعرفة في نطاق ضيق ، وخلق استراتيجيات ثيوقراطية دينية فكرية . في حين ان اختراع الورق بفتحه الزهيد

قد أدى إلى انتشار المعرفة على نطاق واسع وكان من الطبيعي أن تنتقل السلطة من أيدي كبار رجال الدين إلى الطبقة الوسطى من المثقفين .

ثم يقول أن تطور حركة الاصلاح الدينى تسرى إلى الطباعة ، وكذلك تطور الأدب الشعوى ، كما أن نشوب الشورة الصناعية كان ملناه التبشير بالديمقراطية ، ثم اختراع الطباعة والإذاعة والتليفزيون مما أدى إلى ظهور طبقات البروليتاريا التي أخذت تسود العالم من خلال النظرة الاشتراكية المعاصرة .

ومن أشهر نظريات الاعلام الحديثة نظرية ماكلوهان McLuhan الذى اكتشف معنى الطباعة باعتبارها وسيلة للعلام الجماهيرى . ويقول ماكلوهان أن المجتمع يعيش مرحلة شفوية قبل اختراع البويمية أو الألف عام . وعندما ظهرت حروف الكتابة كان معنى ذلك تحول الحضارة الشفوية إلى حضارة بصرية . وينصب ماكلوهان إلى أن اختراع المحرر المفرغة فى الطباعة قد جعل الإنسان يطور الفهم على أساس الخطوط المتصلة المتلاحقة والمستمرة .

وعندما جاء عصر الكهرباء زالت حدود المكان والزمان وخاصة بالنسبة للتليفزيون الذى أكد تعدد الأحساس البصرية والسمعية وخصوصها جميعاً التأثير في وقت واحد . ولعل أشهر عبارة قالها ماكلوهان : إن « الرسالة هي الوسيلة » ، والتي تعنى أن المجتمع يتشكل عن طريق طبيعة الوسيلة الاعلامية نفسها وليس مجرد الرسائل الاعلامية . وبعبارة أخرى تصبح الطباعة نفسها أهم من الرسائل المطبوعة ، كما أن التليفزيون في حد ذاته كوسيلة أهم من جميع ما يداع من خالله .

ويذهب ماكلوهان إلى أن وسائل الاعلام من أهم العوامل المؤثرة في تشكيل الحضارات . وفي رأيه أن حروف الطباعة المتفوقة هي المسئولة عن خط الاتصال في عالم الاقتصاد وهي المسئولة أيضاً عن فلسفة نيوتون وفلسفة ديكارت ، وفيهما تصور للمحدث الطبيعي في المكان والزمان .

غير أن كثيراً من العلماء لا يذهبون بهذه ماكلوهان في اعتبار وسائل الاعلام ذات أثر هائل ، ومع ذلك فهم لا ينكرون أن للعلام دوره الخطير في المضيبي الاجتماعي ، ومساندة النظام السياسي . وشنان بين هذا الاتجاه وغيره من الاتجاهات الليبرالية التي تعتبر الاعلام قوة تحريرية مقاومة للجهل والطغيان والغبيات ومعدضة للعقلانية والضمير الانساني والزوجان السليم .

غير أن النظريات الحديثة لا تذهب مذهبها مثاليها . وان كانت لا تنكر المهمة التقويرية للإعلام .

فالعالِم كلابار Klapper مثلاً يرى أن الإعلام يحقق هندسة الاتصال أو التأييد ، ولعله قد أخذ عبارته من كتاب إدوارد بيرنزيز Edward Bernays خبير العلاقات العامة بعنوان The Engineering of Consent بذاته . وليس معنى هندسة الرضاء أو الموافقة أو التأييد أن يكون العمل الإعلامي شاراً أو متزيناً أو خبيطاً ، فمن الممكن كسب الرضاء أو الثقة بالنسبة لقضايا خيرة بطبيعتها .

ومن الواضح أن المجتمعات الحديثة سواء في الشرق الاشتراكي أو الغرب الليبرالي قد أخذت تهتم بدور الإعلام في هندسة الثقة والرضاء كما أنها (اخت) في الاقتصاد عن استخدام العنف واستبداله بالاقناع والإحياء .

ومع ذلك فإن جمهورة العلماء من أمثال لازرسفيلد Lazarsfeld ومرتون Merton وكلابار Klapper لا يعتبرون أجهزة الإعلام ذات اثر هائل ، وهم يرون أن أجهزة الإعلام تعمل في المجتمع بطريقة تكميل المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالأسرة والمسجد والأصدقاء والدرسة والجامعة والقائد وغيرها . وينصب الناس إلى أجهزة الإعلام ليروا ما يريدون رؤيته لا ما تزيد الأجهزة الإعلامية أن تعرّضه . ومن المؤكّد أن الإعلام له تأثيره في المجتمع ، ولكن هذا التأثير لا بد أن تؤديه عوامل أخرى بعضها نفسى وبعضها اجتماعى . وفي غيبة هذه العوامل لا يمكن تأثير الإعلام عارماً كما كان البعض يقولون في منتصف هذا القرن .

ـ مما تقدم يمكن أن نذهب إلى أن البلاغة الجديدة تتميز بـ :

١ - إنها غير مباشرة يمعنى أن هناك أجهزة خشمة باهضة التكاليف مقدمة الإدارة كالمطابع ودور النشر ومحطات الإذاعة واستوديوهات السينما . وهذه الأجهزة هي وسائل لنقل المعلومات والقيم بين المرسل والمستقبل ، على العكس من الاتصال الشخصي الذي يكون فيه الاتصال مباشرة بين المرسل والمستقبل أو الجماهير .

٢ - إنها تصل إلى الكتل الجماهيرية العريضة Masses ، حتى يمكن القول دون مبالغة أن البلاغة الجديدة بفضل وسائل الإعلام أصبحت على مستوى كوكبي ، فالكرة الأرضية على حد قول مارشال ماكلوران قد أصبحت « قرية الكترونية » .

٣ - يتم الاتصال بسرعة مذهلة بل ان الاعلام يجري اثناء وقوع الاحداث نفسها ، فالماجريات البرلانية لا تغطي بعد حدوثها ، بل تغطي اثناء حدوثها ويتحقق نفس الشيء على المساكمات ومعاييرات كرة القدم ومعاييرات الرياضة بوجه عام ، وفي الاولياد الاخير ، كانت معايريات ميونيخ شاهدة في الكويت وفي دلهي بوضوح ، ونفس الشيء بالنسبة للاردن والقرب هنالك . ومن المفترض ان يتم صنع القرص الصناعي المزود للاتصالات الاذاعية في السفارات القليلة القادمة .

٤ - يضطر القائم بالاتصال الى افتراض انسان متوسط الثقافة يوجه اليه رسالته ، ولكن هذه المتطلبات متعددة ومن هنا جاءت المزنة البلاغية المتعددة هي الاخرى .

ولا يقترب ذلك ترقما او تعاليا او تجزيئا للمجتمع بحال من الاحوال ، وإنما يتسم بالواقعية والعلمية . فمن الضروري أن يكون المجتمع نصب عين علم البلاغة الجديدة يدرس صفاتة وخصائصه ويتبع مزاياه ومكوناته .

الباب الخامس

علم المعانى فى البلاغة العربية

علم المعانى

هو علم يعرف به احوال اللفظ العربى الذى بها يطابق مقتضى الحال .
المقصود من علم المعانى :

ثم المقصود من علم المعانى منحصر فى ثمانية أبواب :

أولها : احوال الاستناد الخبرى .

وثانيها : احوال المستند اليه .

ثالثها : احوال المستند .

ورابعها : احوال متعلقات الفعل .

خامسها : المقر .

سادسها : الائتمام .

سابعها : الفحصل والوصل .

ثامنها : الایجاز والاطناب والمساواة .

ووجه الحصر ان الكلام اما خبر او انشاء ، لانه اما ان يكون لنسبته خارج تطابقة او لا تطابقه . اولا يكون لها خارج ... الاول الخبر ، والثانى الانشاء ، ثم الخبر لايد له من استناد ومستند اليه ومستند ، واحوال هذه الثلاثة في الابواب الثلاثة الأولى ، ثم المستند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلا او متصلا به كاسم المفاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع : ثم الاستناد والتعلق كل واحد منها يكون اما بقسر او بغير قسر ، وهذا هو الباب الخامس : والائتمام هو الباب السادس ثم الجملة اذا قررت بالخرى فتكون الثانية اما معطوفة على الاولى او غير معطوفة ، وهذا هو الباب السابع ، ولفظ الكلم البليغ اما زائد على اصل المراد لفائدة ، او غير زائد عليه ، وهذا هو الباب الثامن .

الخير والانشاء

الكلام اما خير ، واما انشاء ، فالخير : كلام يحتمل الصدق والكتب ، نحو قوله : هو كالأسد بأسا ، والبدر جودا ، والسيف مضام . فقد تكون النسبة الكلامية المفهومة من هذه الجملة مطابقة لما في الخارج فيكون الخبر صادقا ، او غير مطابقة له ، فيكون الخبر كثبا ، والمخبر به كاذبا .

والانشاء : هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكتب (١) نحو : جد في عملك . ونحو : ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا !

فانت في المثال الأول تطلب من المخاطب الاجتهاد وفي الثاني تتوجب من حسن الدين والدنيا مجتمعين . وليس الطلب والتوجيه مما يحتمل صدقها ولا كذبها .

ولكل جملة ركناً :

١ - محكوم عليه او مخبر عنه ، ويسمى (مستدا اليه) ، وذلك : كال فعل ، ونائبه والبتدأ الذي له خبر ، واسم ان وكان وآخواتهما ، والمفعول الأول من ظن وآخواتها .

٢ - محكم به او مخبر به ويسمى (مستدا) وذلك : كال فعل وخبر المبتدأ ، وخبر كان وآخواتها ، والبتدأ المكتفى بمرفوته ، واسم الفعل .
وما زاد على ذلك فهو قيد في الجملة ، كأدوات الشرط والتفريع ، والتواصي والمفعولات ، والحال والتبيين ، والتوابع ، وضيير الفصل .

فإذا قلت : جلس صادق اليم امام الحديقة على الكرسي ، كان «جلس» هو المستد ، و «صادق» هو المستد اليه ، وما بعد ذلك من ظرف الزمان والمكان والجار والجرور قيودا للجملة . وقس على ذلك .

(١) التحقيق ان الفارق بين الخبر والانشاء هو قصد المطابقة او قصد عدمها في الخبر ، والانشاء ليس فيه قصد للمطابقة ولا لعدمها .

احوال الاستناد الخبرى

اضرب الخبر :

تختلف صور الخبر في اساليب اللغة باختلاف احوال المخاطب . فتراء حيناً مجدداً من أدوات التوكيد ، وتجده حيناً مؤكدًا بمؤكد واحد ، وحياناً مؤكدًا بأكثر من مؤكد ، فيقال :

١ - الفراغ مفسدة •

٢ - ان الفراغ مفسدة •

٣ - ان الفراغ مفسدة •

وهذه الاحوال الثلاثة تسمى اضرب الخبر اي انواعه •

١ - فيتجزء الخبر من التوكيد حين يكون المخاطب خالى الذهن من مدلول الخبر ، نحو : الحق احق ان يتبع ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، الحياة زينة الانسان .

٢ - ويؤكد بمؤكد واحد حين يكون المخاطب شاكاً في مدلول الخبر ، طالباً التثبت من صدقه ، نحو : ان الصدق منتج •

٣ - ويؤكد بمؤكد او اكثر ، حين يكون المخاطب مكرراً ، نحو : قوله تعالى : « ان النفس لامارة بالسوء » •

ويقع التوكيد : بان كما في المثال السالف ، وبيان ، نحو قوله تعالى : « لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما » • وبالحرف التنبية ، نحو قوله تعالى : « هاتم اولاً تميّتونهم ولا يمكرون » • وبالقسم ، مثل : تأكيد لا يذهب المعرف بين الله والناس ، وينسون التوكيد ، نحو قوله تعالى : « ليتبينن ثم للتتبّون بما علمتم » • . وقوله تعالى : « ليسقطن وليكوتا من المصاغرين » وبالحرف الزائدة ، نحو قوله تعالى : « لست عليهم بمسطر » وقوله تعالى : « كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون » • . وبما الشرطية التفصيلية ، كقوله تعالى : « اما من آمن وعمل صالحًا فله جزاء الحسنة » •

وكما يكون التوكيد في الايات يكون في النفي ، كما في بعض الايات السابقة ، نحو : ما المقتضى بمقتضى ، ونحو : واش ما المستشير ينادي .

اغراض الخبر :

الاصل في الخبر ان يلقى لغرضين :

(الاول) افاده المخاطب الحكم الذى تضمنته الجملة ، تصرع . كان عمر بن عبد العزير اعدل خلفاء بني امية ، يقوله من لا يعرف ذلك ، ويسمى هذا الفرض (فائدة الخبر) . (الثاني) افاده المخاطب ان المتكلم عالم بالحكم كقوله لصاحبه : « انت القيت قصيدة جيدة في المذاياع امس ، تدلل على انت عالم بهذا الامر ، ويسمى هذا الفرض (لازم الفائدة) »

الاغراض التي يخرج اليها الاسلوب الخبرى :

نرى في الكلام العربي اخبارا كثيرة لا يقصد بها افاده المخاطب الحكم ، ولا ان المتكلم عالم به ، ف تكون قد خرجت عن معناها الاصلى السالف ذكره الى اغراض اخرى . ومن أشهر هذه الاغراض :

١ - الاسترحام : نحو رب انى فقير الى رحمتك ، فليس الغرض هنا افاده الحكم ولا لازم الفائدة ، لأن الله تعالى عليم بهما ، ولكن طلب رحمة الله تعالى .

٢ - التحسر على شيء محبوب ، كالتحسر على فقد الشباب في قول الشاعر :

ذهب الشباب فما له من عودة
وأتى المشيب فاين منه المهر؟

أو على فقد عزيز ، كقول اعرابي يرشى ابنه :
ولما دعوت المصبر يبعدك والأسى
اجاب الآنس طوعا ولم يجب المصبر
فإن ينقطبع منك الرجاء فإنه
سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهس

وكتول اعرابية ترثى زوجها :

كنا كفصنين في جرثومة بستا
حيانا على خير ماتتعنى به الشجر
حتى اذا قيل قد طالت فروعهما
وطاب قنواهما واستمطر الشجر
اخنى على وادى ريب الزمان وما
يبيق الزمان على شيء ولا يذر
كنا كانجم ليل بينهما قمر
يجلو الديجى فهوى من بينها القر

٢ - الفخر ، كتول جدید بهجو الاختل التقليل :

ان الذى حرم المكارم تغلبا
جعل النبوة والخلافة قينا
مضى ايس وابو الملوك فهسل لكم
يا خسر تغلب من اب كايبينا ٤

٤ - الارشاد والنصح ، واكثر الاخبار الحكيمية مما يكون لهذا الغرض
كتول زمير :

ومن يك ذا فضل فيفضل بفضلها
على قومه يستفن عندهم ويتم

وقول النابقة النبیانی :

ولست بمستيق اخا لا تلمه
على شمعت اى الرجال المهدب ٤

٥ - المدح ، ومن امثلة ذلك قول النابقة يمدح النعمان بن المنذر :

فائق شمس وملوك كواكب
اذا علمت لم يبرد متنه كوكب

وقد يجيء لاغراض اخرى . وال المرجع في معرفة ذلك الى الذوق والعقل
السليم .

المجاز العقلي والحقيقة العقلية :

تقول : شفى الله الريض ، فتجد الفعل قد أستند في الجملة إلى فاعلٍ
الحقين ويسمى هذا الاستناد حقيقة عقلية ٠٠ فإذا قلنا : شفى الطبيب الريض
وجدنا أن الفعل قد أستند إلى الطبيب ، وهو سبب من أسباب الشفاء ، فال فعل
قد أستند هنا ، لا إلى القائل الحقيقى ، بل إلى السبب ، فتصنّى مثل هذا
الاستناد مجازاً عقلياً ٠

ومن الحقيقة العقلية أن تقول : أهلك الله الناس بسبب جيهم للدرهم
والدييار ، ومن المجاز العقلي أن تقول : أهلك الناس الدرهم والدييار ، « وما
بهلكت الا الدهر » ٠

ومن الحقيقة العقلية كذلك : أنت آثت النبات ، ومن المجاز العقلي : أنت
الربيع النبات ، أو آثت المطر النبات ٠

ومن الحقيقة العقلية أن تقول : هزم الجيش العدو ، ومن المجاز العقلي :
هزم القائد العدو ٠

ومن المجاز العقلي قول الشاعر :
منع البقاء تصرف الشمس
وطلوعهما من حيث لا تمسى

ومنه أيضاً قول الشاعر :
فنسام ليلى وتجلى هوى

ومنه كذلك :
فتشيب أيام الفراق مفارقاً

ومنه :
ونمت وما ليل المطى بنسائم (١)

ومنه :
فما ليس مظلوم كريم بنسائم

(١) في ناتم ضمير المستتر هو فاعل لاسم القائل ، ففي استناد ناتم إلى
فاعله - الضمير المستتر - مجاز عقلي ٠

ومنه :

ومنہ:

• وَخَرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْتَالَهَا •

لأن الذي يخرج ذلك هو الله ..

ومنه قول أبي نواس :

بزیدک وجهه حسن

اذا مسا زدته نظرنا

وقول الشاعر :

وڪيڪي هـ وـاـكـ وـيـ

لحنیں یخنے

ومنه :

جد جدك . وجري النهر .

سیاست جگارہم

العدد الـ ١٢:

ما هو المستند إليه؟

المستد اليه هو الركن الاهم في الجملة ، ويسمى محكمـا عليه ، او مخبرا عنه وهو :

الفاعل ، ونائب الفاعل ، والميتسدا ، واسم ان والخواتها ، واسم كان والخواتها ، والمفعول الأول لظن والخواتها ... والمستند اليه اذا حذف من الجملة فلداع يلاغى ، واذا نظر في الجملة فلداع يلاغى كذلك انتفى ذكره ، وكذلك اذا جيء به معرفة او جيء به نكرة ، الى غير ذلك من شتى أموره .

^{فمن تأثير المستد اليه : له الملك (١) ، وله الحمد ، وله الأمر من قبل}

(١) الملك مبتدأ ، وقد اخر في الجملة ، فجاء بعد خبره (له) .

ومن بعد ، ومنه كذلك :
وكالنار الحياة ، فمن رماد
أواخرها ، وأولها دخان

ومن حذف المستند إليه قول الشاعر :
فتى غير محظوظ الغنى عن صديقه
ولا ظهر الشكوى اذا التعل زلت
والتقدير : هو فتى : فحذف المستند إليه (هو) الواقع ميدا .

المستند :

ما هو المستند ؟

المستند هو الركن الثاني في الجملة ، ويسمى محسكوباً به ، أو مخبراً
به ، وهو الفعل ، وخبر المبتدأ ، وخبر كان وأخواتها ، والمبتدأ المكتفى بمرفقه ،
واسم الفعل .

وما المستند قد يذكر في الجملة ، وقد يحذف ، وقد يقدم ، وقد يؤخر ، وقد
يؤتى به أسماء ، وقد يؤتى به فعلاء ، وقد يكون مقيداً بقيد ، وقد لا يقييد بقيد .

فمن ذكر المستند :

« ولو لا دفع أحد الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » ، إن هذه الجملة
واقعة خير المبتدأ الذي هو « دفع » ، وقد ذكر الخبر ولم يحذف .

ومن حذف المستند قوله تعالى : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون » ، إن المعنى هل يستوي من له علم ومن لا علم له ، ولذلك حذف مفعول
يعلمون لصرف النظر عنه .

ومن تقديم المستند قوله تعالى : « إله الأمر » ، وقول الشاعر :
ثلاثة شرق الدنيا بيهجتها
شمس الشخص ، وأبو اسحاق ، والقمر

ومن تأثيره : محمد نال جائزة ، والمر اشراق بتوره في السماء ، الى
غير ذلك من شتى احوال المستد .

متطلقات الفعل :

ما هي متطلقات الفعل ؟

هي ماعدا المستد اليه والمستد في الجملة مما يزيد على ذلك ، فهو قيد في
الجملة ، كالوات الشرط ، والنفي ، والتراخي والمقولات ، والحال ، والتمييز ،
والنوابع ، وضمير الفعل ، وسوى ذلك ... وهذه التقييد هي التي تسمى
متطلقات الفعل .

ومتعلقات الفعل قد تذكر في الكلام ، وقد تختلف ، وقد تقدم وقد تؤخر ،
وهذه هي احوال متطلقات الفعل ، التي يبحث عنها البليغ في علم المعانى .

فمن تقديم متطلقات الفعل قول الشاعر :

الى اشکرو ان بالنفس حاجة
ترى بهما الايام وهي كما هي

ومن تأخير متطلقات الفعل : اسافر في القطار ؟
واحوال متطلقات الفعل كثيرة ، وهي موضع عناية البليغ ويحثه . حين
يدرس علم المعانى .

اسلوب القصر :

تقول : يلوز المجد ، فيقيد الكلام هذا الحكم ، دون تاكيد له ، ودون ان
تقتصر الفوز على المجد ، فاذا قلتنا ، لا يلوز الا المجد ، كانا قد اخذنا تحصيص
الفوز بالمجد ، بمعنى ان الفوز خاص به لا يتعداه الى غيره وهذا هو اسلوب
القصر ، فالفوز هنا مقصور على المجد ، فالفوز مقصور ، والمجد مقصور عليه ،
واداة القصر هي النفي « لا » والاستثناء « الا » والقصر هنا قصر صفة على
موصوف .

وكذلك تقول « انتا محمد شاعر » فيقيد الاسلوب قصر محمد على الشعر ،
يعنى أنه لا يتجاوز الشعر إلى غيره من الصفات ، فمحمد مقصور وشاعر
مقصور عليه ، واداة القصر هي « انتا » .

ومثل هذا : على الله اتركيك ، والى الله امرئ .. فتقديم الخبر هنا يفيد القسر ، فالمثال الاول فيه قصر موصوف وهو « الترک » على صفة وهي كون الترک على الله لا على غيره ، وطريق القسر التقديم ، وكذلك المثال الثاني .

الفصل والوصل :

تقول : نجح محمد ، فاز على ، فناشط بالجمل مقصولا بعضها عن بعض وغير ممعونة بعاطف ، ويسمى ترك العطف بينها فصلا .. ومثل ذلك ايضاً : اجتهد على ، تفوق محمد .

وتقول : اجتهد محمد ففاز ، او ثم فاز ، او حتى فاز ، فيجوز ذلك متى كانت الجملة الثانية مرتبة على الاولى بلا تراخ ، او مع التراخي ، او على سبيل التدريج ، ويسمى ذلك وصلة بغیر الواو .

وتقول : حضر على ، وسافر اخوه ، فتمطر بعض الجمل على بعض بحرف عطف هو الواو ، ويسمى ذلك وصلة .

فالوصل عطف بعض الجمل على بعض بالواو ، والفصل تركه .

ولابد لصحة العطف بالواو من وجود جهة جامدة بين اجزاء الجمل المتداخلة ، وفي القرآن الكريم : « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » ، (ما خل صاحبكم وما غوى ، وما ينفع عن الهوى) .

الإيجاز والاطباب والمساواة :

إذا أردت أن تتحدث إلى الناس في معنى من المعانى فاتت تعبير عنه تعبيرا صحيحا مقبولا في صور ثلاثة ، وهي :

١ - المساواة : وهي أن تكون الألفاظ على قدر المعانى .

٢ - الإيجاز : وهو وضع المعانى الكثيرة في الفاظ قليلة وافية بها ، والا كان اخلالا . فلا يعد الكلام صحيحا مقبولا .

٣ - الاطباب : وهو تأدية المعنى بالفاظ أكثر منه لفائدة ، فان لم تكن الزوايدة لفائدة فهي حشو او تطويل .

وفي كتاب الله الكريم مهان كثيرة غير عنها بهذه الصور الثلاث في مواضع مختلفة منه ، لأن المقام في كل موضع يناسبه صورة منها .

فمن ذلك الدلالة على « ان كل انسان مجذى بعمله ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر » فقد عبر عن هذا المعنى في هذه الصور في الآيات الكريمة التالية :

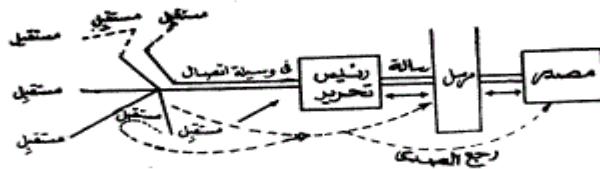
١ - قمن المساواة قوله تعالى : « قمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

٢ - ومن الإيجاز قوله تعالى : « كل امرئ بما كسب رهين » .

٣ - ومن الاطنان قوله تعالى : « وقل الحق من ريم من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا امددنا للظالمين نارا احاط بهم سادقها وان يستيقظوا يقاظوا بما كان لهم يشوى الوجوه بش الشراب وساعات مرتقا . ان الذين امتو وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا . اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضراء من سندس واستبرق متكثرين فيها على الارائك تعم الثواب ومحنت مرتفقا » .

ولا يعد الكلام في صورة من هذه الصور بليغا الا اذا كان مطابقا لمقتضى الحال ، فان المقام للاطنان مثلا وعلت عنه الى الإيجاز والمساواة لم يكن كلامك بليغا .

ومطابقة الكلام لمقتضى الحال في البلاحة الجديدة ترتبط بمتغيرات عديدة تشمل المستقبل ووسيلة الاتصال ورجم الصدى :



الباب السادس

البيان

البيان

التعبير الجميل البليغ المؤثر ، الذى يصور المعنى تصويراً واضحاً من
القرب طريقه ، هو البيان *

وعناصر البيان البليغ هى : الأسلوب ، والمعنى ، ووضوح الأداء ، وقوة
التاثير :

فالأسلوب هو طريقة تأليف الكلمات ونظمها لتوسيع المعنى المراد تصويره
والإبانة عنه *

والمعنى هو الفكرة التي يريد الأديب أو الشاعر تصويرها وإدامتها
والترجمة عنها ليفهمها القارئ والمسامع *

ووضوح الأداء من شخص خصائص البيان ، ونريد به أن يكون الأسلوب
ظاهر الإبانة عن المعانى التي يريد بها البليغ دون تعقيد أو التواء *

وقوة التاثير تقصد بها أن يترك الأسلوب أثراً في نفس القاريئين
والسامعين وان يدفع من يقرؤه أو يسمعه إلى الإيمان بما آمن به البليغ من
فكرة أو رأي أو عقيدة :

وان شئت فاقرأ قول المعرى :

غير مجده في ملته واعتقادي
نسور ياك ولا قرآن شداد

أو قول شوقي :

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً
أن الحياة عقيدة وجهاد

أو قول المتنى :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أبى
وأمسكت كلماتى من به حمم

أو قول حسان :

ولست أرى السعادة جموع مال
ولكن الندى هو السعيد

فسترى من روعة التأثير وقرة العاطفة وتدفق البيان ما يجعلك تفهم ما
تعنيه بقدرة التأثير .

علم البيان :

التعبير عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة وضوحاً وخفاءً .

امثلة وموازنات :

١ - يقول البحترى يصور عنانه لمحبوته :
ولم انس ليتتسا في المتساق
لـ الصبا بقشيب قصبيا (١)

ويقول ابن المعتز في هذا المعنى :
فلسو ترانا في قيمص الدجى
حسبتنا في جسد واحد

فنجد أن :

(أ) البحترى يمثل عنانه لمحبوته فى ليلة جميلة كأنهما الريح تلف
غضتنا على غصن .. وابن المعتز يقول أنه هو ومحبوبته يتشانزان كأنهما
روحان فى جسد واحد .. والدجى يلفهما فى قيمصه .. فمعنى البحترى
مالوف .. ومعنى ابن المعتز فيه لون من المبالغة ..
(ب) وأسلوب ابن المعتز أجمل فى الفاظه وروحه من أسلوب البحترى ..
(ج) ويزيد ابن المعتز بهذا التعبير البليغ عن ظلام الليل الذى يشمل
الكون بقوله قيمص الدجى ..

(١) الصبا : ريح تهب من جهة الشمال ، وهى من أطيب الرياح .. القشيب
الغضن ..

٢ - ويقول أبو نواس في كأس الخمر :
إذا عب فيها شارب القسم خلته
يقبل في داج من الليل كوكبا

ويقول ابن الرومي :
فكانها وكان شاربها
قدر يقبل عارض الشمس

ويقول ابن المعتز :
وكانه وكان الكأس في فمه
ليل أول شهر غاب في شفق

مؤلام الشعراء يصوروون الكأس وهي على فم المشارب للخمر فجعل
أبو نواس الكأس شبيهة بالكواكب والخمر التي في الكأس شبيهة في لونها
بدر الليل وظلمته . وجعل ابن الرومي الكأس شبيهة بالقمر والخمر التي فيها
شبيهة بضوء الشمس . وجعل ابن المعتز الكأس شبيهة بالليل وما في الكأس
شبيه بلون الشفق . ولكن ابن المعتز يمتاز عن صاحبيه ببراعة التأثير وقوه
التصوير والإدراك .

٣ - وهكذا تستطيع ان توازن بين هذه الآيات :
كلمني لحظتك عن كل ما
أشمره قلبك من قدر

اما تقليدا في عين
هي عذوان الذي اخفي

تخفي العداوة وهي غير خفية
نظر العدو بما اسر يبرح

٤ - وكذلك تستطيع ان توازن بين هذه الالايات :
قال اديب ينصح ابنته : لا تلتئس الزيادة من صاحب المعروف قبل ان تقر
 بشكر ما اوتته منه .

وقال احد الكتاب في هذا المعنى : في شكر ما تقدم من احسان الامير
شاغل عن استطهاء ما تأخر منه .

وقال ابو نواس في المعنى نفسه :
لا تسدين (١) الى عمارقة
حتى اقوم بشكر ما سلما

٥ - ويقول الاديب : القائد بطل شجاع ، وهو كالاسد شجاعة ، وهو
الاسد ، ورأيت اسدًا في الميدان يهزم الاعداء .

القاعدة :

٦ - الادباء يختلفون في تصوير المعانى وادائها ، و اذا كانت هذه المعانى
واحدة فما بالك بها اذا اختلفت ، والاساليب السابقة تشتهر في الجمال ،
وتخالف في الوضوح ، والتأثير ، وطريقة عرض المعنى وقوته تقريره .

٧ - وهذه الاساليب المختلفة في الوضوح والتي يزددي بها المعنى الواحد
هي موضوع علم يسمى علم البيان ، فهو العلم الذى يعرف به طريقة اداء المعنى
الواحد بأساليب مختلفة في الوضوح .

٨ - والذوق الادبي الذى تكتسبه من قراءة الادب هو الذى يساعدك على
فهم الاساليب والموازنات بينها ، ويعينك على دراسة هذا العلم .

بحوث علم البيان :

وتتلخص بحوث علم البيان فى : التشبيه ، والمجاز ، والكلنائية .
وسر هذا ان اللحظ المراد به لازم ما وضع له : ان قامت قرينة على عدم
ارادة ما وضع له فمجاز ، والكلنائية ، ثم من المجاز ما يبنى على التشبيه وهو
الاستعارة التى كان اصلها التشبيه ، فتعين دراسة التشبيه قبل بحث المجاز
الذى من اقسامه الاستعارة المبنية على التشبيه ، ولما كان فى التشبيه بلاغة
وجمالا مع كثرة مباحثه ، وتعدد قوائمه ، لم يجعل مقدمة لبحث الاستعارة بل
جعل متقدما برأسه ، فانحصر المقصود من علم البيان فى الثلاثة اقسام :
التشبيه - المجاز - الكلنائية .

(١) تسدى : تعطى وتتنفس . العارفة : المعروفة .

التشبيه

امثلة :

١ - هو كالبدر في الرقة .

٢ - ذلك القائد كالأسد شجاعة .

٣ - تلك الفتاة كالقمر جمالاً .

٤ - وقال الشاعر :

انت كالبحر في السماحة(١) والشمس
سن علوا ، والبدر في الاشراق

٥ - وقال اليمتري :

هو يصر السماح والجود فازده
منه قرباً تزداد من الفخر بعده

هذه الاساليب كلها من اساليب التشبيه :

ففي الاول شبهت هذا الرجل العظيم بالبدر ، ووجه الشبه بينهما الرقة
وفي الثاني : شبهت القائد بالأسد . ووجه الشبه بينهما الشجاعة .

وفي الثالث : شبهت الفتاة بالقمر ، ووجه الشبه بينهما الجمال .

وفي الرابع : شبهت المدوح بالبحر في السماحة ، وبالشمس في العلو ،
 وبالبدر في الضياء .

وفي الخامس شبهت المدوح بالبحر ، ووجه الشبه بينهما الكرم والجود .

القاعدة :

التشبيه : هو الحق امر يأمر في معنى بادأة لغرض يقصده المتكلم ، او قل :
هو عقد معاشرة بين امررين قصد اشاركتهما في صفة او اكثر بادأة لغرض يقصده
المتكلم .

(١) السماحة : الجود ، وكذلك السماح .

اركان التشبيه :

واركان التشبيه أربعة :

- ١ - المشبه : وهو الأمر الذي تثبت الصفة له كخالد في قوله خالد كالأسد شجاعة وكليل في قوله ليلى كالبدر جمالاً .
- ٢ - المشبه به : وهو الأمر الذي وضحت فيه الصفة ، كالأسد والبدر في المثاليين السابقين . هذا ويسمى المشبه والمشبه به طرقاً للتشبيه .
- ٣ - وجه المشبه : وهو الصفة أو الصفات التي قصد اثباتها للمشبي كالشجاعة والجمال في المثاليين السابقين .
- ٤ - اداة التشبيه : وهي الكلمة التي تقييد المشابهة بالكاف في الامثلة السابقة ، ومن أدوات التشبيه: الكاف . وكان ، مثل : كان القائد أسد . ومثل : هو مثل الأسد ، وشبيه ، وشايه ، وحاكي ، وعالي ، ويضارع ، وسواها من الانفاظ التي تدل على المثلولة . والكاف وكان أكثر هذه الأدوات .

الفرق بين الكاف و كان :

محمد كالصحاب في الكرم .

كان محمداً الصحاب المتهمر .

من المثاليين نعرف الفرق بين الكاف و كان وخلاصة الفرق هو أن الكاف يأتي بعدها المشبه به . وكان يأتي بعدها المشبه .

ملاحظة :

يجوز في التشبيه :

- ١ - حذف الاداة . فتقول محمد أسد في الشجاعة .
- ٢ - حذف الوجه . فتقول محمد كالأسد .
- ٣ - حذف الوجه والإدابة معاً فتقول محمد أسد ، ويسمى ذلك تشبيهاً بليفساً .

أغراض التشبيه :

والتشبّيّه أغراض كثيرة منها :

١ - بيان حال المشبه فيما إذا كان المشبه به معروفاً والمشبه مجهولاً أو في حكم المجهول مثل : الأرض كالكرة ، وقول التانية :

كانك شمس والملوك كواكب
إذا طلعت لم يهد منهن كركب

وقول المتني :

أرى كل ذي جسد إليك مصيري
كانك بحسر والملوك جسداول

٢ - بيان مقدار حال المشبه إذا كانت الصفة المراد ثباتها للمتشبيه معروفة بوجه أجمالي . ولكن التشبيه بين مقدارها مثل : هذه الفاكهة حلوة كالسكر . وهذا الثوب أبيض كالقطن أو اللين أو الثاج . وقول الجارم :

له سيرة كصحبة ال
أبرار ملائمة نقيمة

وقال المتني في المدح :

كالبحر يتدفق للقرب جواهرا
جودا ، ويعود للبعيد سحابيا

وقول الشاعر :

كم نعمة مرت بنا و كانها
فرس يهرون أو تسميم سارى

٣ - تقرير حال المشبه في ذهن المسامع . وذلك إذا كان المشبه أمراً غريباً يحتاج إلى ايضاحه وتبيئته . ويكثر ذلك في تشبيه الأمور المعنوية بأمور تدرك بالحس ، مثل التعليم في الصغر كالنقش في الحجر .

وقول الشاعر :

ان القلوب اذا تنافر ودهما
مثل الزجاجة كبرها لا يجير

وقوله تعالى : « مثل الذين ينطون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة البذرة
سبع ستائر في كل سبعة مائة حبة »

٤ - تزيين المشبه : مثل « هي كالظبي النافر » وقول الشاعر :

سوداء واشحة العجين
كقطلة الطيبي الغرير

٥ - تقبيل المشبه : مثل : صوره كالرعد ، وهو كالقرد ، وقوله تعالى :
« كمثله كمثل الكلب »

٦ - بيان امكان المشبه : وذلك حين يكون المشبه قد استد اليه أمر
مستقرب فتاتي بشبه له لتفع هذه الغرابة عن المشبه ، كقول الشاعر :
فإن نفق الانسام وانت منهم
فان المسك بعض دم الفزال (١)

ومثل قول البحترى :

بنوت تواضعاً وعلو مجدداً
فشتانك انخفاضاً وارتفاعاً
كذاك الشمس تبعد أن تسامي
ويديو الضوء منها والشماع

مسور التشبيه :

التشبيه والإدراة :

٧ - قال الشاعر :

تحطمتما الايام حتى كانتا
زجاج ولكن لا يعاد له سببه

(١) معنى البيت : هو فاق الناس مع أنه منهم ، كالمسه الذى فاق الدمام
مع أنه من بعض أنساب الدمام .

٢ - وقال شاعر :

هو يدر إلى شهرة الذكر والمرد
وأني الجود والمساح السحابي

البيت الأول آداة التشبيه فيه مذكورة وهي كأن : والثاني آداة التشبيه
فيه ممحوقة ، والأصل هو كالبدر وهو كالسماء :

الخلاصة :

آداة التشبيه قد تذكر وقد تحذف .

التشبيه والوجه :

- ١ - هو كالشمس في العظمة .
- ٢ - هو كالشمس وكالأسد .

المثال الأول وجه التشبيه فيه مذكور وهو : العظمة .

والمثال الثاني وجه التشبيه فيه محذوف وهو : العظمة والبطولة .

الخلاصة :

قد يذكر وجه التشبيه وقد يحذف (١) .

التشبيه البليغ :

١ - التشبيه البليغ هو ما حذف الوجه فيه والإادة معاً ، مثل : ليلى
قمر ومحمد أسد ، وخالد بدر ، ومثل قول الشاعر :
فالعيش نوم والمنية يقطنة
والمرء بينهما خيال سار

(١) والتشبيه الذي ذكر فيه الوجه يسمى مفصل والتشبيه الذي حذف
وجهه يسمى مجعلاً .

٢ - ومن أنواع التشبيه البليغ ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه مثل :
رداء العافية ، وقبض النجوى ، ومحساج الرأى ، وثوب الرياء ، وذهب
الأصيل . ولجمين (١) الماء ، قال الشاعر :

والريح تبكي بالغصون ، وقد جرى
ذهب الأصيل على لجمين الماء (٢)

٣ - ومن أنواعه أيضاً أن يكون المشبه به مصدراً مبيناً للنوع مثل ،
اقدم اقدم الأسد أي اقدم اقداماً كاقدام الأسد . ومثل : له هيبة الملك
واجتهاد اجتهاد المبرزين ، وفاحشت يداه بالجود فيرض السحاب . ومكر حكر
الذئب .

تشبيه التمثيل :

أمثلة :

١ - قال المتين :

يهرز الجيش حسولك جانبيه
كما هزت جناحيها المقباب

ممثل سيف الدولة والجيش يتحرك في نظام حواليه ممثلاً لأمره
لا يخالفه ، ب الهيئة الطائر المقباب وسلطاته النافذ على جناحه .

٢ - وقال بشّار :

كان مثار النقع فوق رؤوسنا
وأنسياقنا ليل تهساوى كواكب

يمثل الغبار الذي حجب الشمس ونشر الظلام والسيوف تلمع خلال
المعركة بالليل الذي تتتساقط كواكب .

(١) اللجمين : الفضة .

(٢) وقدير التشبيه : شمام الشمس في الأصيل كالذهب ، والماء
كالفضة .

وقال آخر :

كان سواد الليل والفجر شاهد
يلوح ويغلى ، أسود يتسم

يمثل ظلام الليل والفجر قد بدأ في الظهور بسواد وضحوكة . وكل هذه التشبيهات وما ماثلها تسمى تشبيه التمثيل لأن وجه الشبه فيه صورة منتزة من أمور متعددة .

القاسدة :

تشبيه التمثيل ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزة من أمور متعددة

امثلة للتشبيه وتحليلها :

١ - قال الشاعر :

قد يشيب الفتي وليس عجيبا
أن يرى النور في القصيب الرطيب

يشبه ظهور الشيب في الشبان بظهور الزهر الأبيض في الفصين الرطيب ، وليس في الكلام أسلوب التشبيه الصريح ، ولكن التشبيه هنا ضعيف .

٢ - سيدكربني قومي اذا جد جدهم

وفي الليلة الظلماء يقتضي البدر

يشبه معرفة قومه لقيمة في الشائك بمعرفة المسافر لقيمة البدر في الليلة الظلماء والتشبيه هنا ضعيف أيضا .

٣ - فاح الزهر كأنه ذكرك الجميل ، الهزار يفني كأنه ام كلثوم .

هنا تشبيهان اداة التشبيه مذكورة فيما ، ولكن التشبيه مقلوب والأصل : ذكرك الجميل يفوح كالزهر ، وأم كلثوم كالهزار .

٤ - وقال شوقي :

فدخلت في ليدين : فرعك والدجى
ولثمت كالمسنج المنسور فاك

المجاز :

المجاز في اللغة : مفهوم من « جاز المكان بجوازه اذا تدها » ، نقل الى الكلمة الجازة ، اي المقدرة مكانها الأصلي ، او المجوز بها ، على معنى انهم جازوا بها وعدوها مكانها الأصلي .

والجاز قسمان : مفرد ومركب فالفرد : هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح ، مع قرينة عدم اراده الموضوع له ، وعلى وجه يصح يشير الى ضرورة العلاقة ليتحقق الاستعمال على وجه يصح .

وينقسم المجاز المفرد الى قسمين :

- ١ - القسم الأول هو المجاز المرسل : وذلك ما كانت العلاقة المصححة فيه ليست هي المشابهة بين المعنى الجازى والمعنى الحقيقى .
- والقسم الثاني الاستعارة ، وهي ما كانت العلاقة فيه المشابهة .

المجاز المرسل وامثلة له

فالجاز المرسل : هو ما كانت العلاقة فيه بين المعنى الموضوع له والمعنى المستعمل فيه غير المشابهة .

وللمجاز المرسل علاقات كثيرة منها :

- ١ - تسمية الشيء باسم كله كقوله تعالى : « يجعلون أصابعهم في آذائهم » اذا اصبع لا تدخل في الاذن ، والمراد من الاصابع هنا الاذنل ، اي يجعلون اذائهم فيها ، ففي اصابعهم مجاز مرسل علاقته : الكلية والجزئية .
- ٢ - تسمية الشيء باسم جزءه كتسمية الرقيب عينا ، تقول : الحكومة لها عيون ساهرة على الامن ، فيكون مجاز مرسل علاقته : الجزئية والكلية .
- ٣ - تسمية الشيء باسم سببه مثل « رعينا الغيث » ، اذا الغيث لا يرعى ، واتما يرعى النبات ، وفي الغيث مجاز مرسل علاقته السببية ، والمراد به النبات الذي سبب نموه الغيث اي المطر .
- ٤ - تسمية الشيء باسم سببه مثل : « امطرت السماء ثباتا ، اي غيشا يكون النبات مسببا عنه .

٥ - تسمية الشيء باسم الشيء الذي كان هو عليه في الزمان الماضى مثل : « واتوا اليتامى اموالهم » ، اي الذين كانوا ينامون في الماضي اذ لا يتم بعد البلوغ .

٦ - تسمية الشيء باسم ما يقول اليه ذلك الشيء في المستقبل مثل « انى اراني اعصر خمرا ، اى عنيا يقول الى الخمر .

٧ - تسمية الشيء باسم محله مثل « فلديع ناديه » اى اهل ناديه الذين يحلون فيه ، والنادى المجلس .

٨ - تسمية الشيء باسم الله مثل : « واجعل لى لسان صدق في الآخرين ، اى ذاكرا حسنا ، وللسان اسم للة الذكر .

★ ★ *

الاستعارة :

امثلة :

١ - شخصت الازهار : اى تفتحت . شبه تفتح الازهار بالشخص .

٢ - تبسم الفجر . اى ظهر ، شبه ظهوره بالتبسم .

٣ - كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس منظلمات الى نور اى من الضلال الى الهدى ، شبه الضلال بالظلمات والهدى بالنور .

٤ - طفى الماء : اى زاد . شبه زيادته بالطفيان .

٥ - استلم قلبى يدر فى الطرف منه سحر .

اى امرأة جميلة شبيهة بالبدر .

٦ - فتنى كلما فاضت عيون قبيلة حمacket عنه الاحاديث والذكر .
يريد ظهرت احاديث بطولته ، شبه ظهورها بالفتنه .

التحليل :

كل لفظ من اللفاظ التى تحتها خط فى الامثلة السابقة لم يستعمل فى معناه الاصلى ، وإنما استعمل ليدل على معنى اخر بينه وبين المعنى الاصلى مشابهة ، والمائع لأن يكون اللفظ مزادا به معناه الاصلى هو القرآن الدالة على ان المراد به غير معناه ، وهو فى المثال الاول ان الازهار لا تشخص وهي الثانية ان الفجر لا يرسم وهكذا ، فيسمى كل لفظ من هذه اللفاظ استعارة .

القصيدة :

الاستعارة : لفظ استعمل في غير المعنى الذي وضع له لملأة الشابهة
بين المتبين مع وجود قرية تمنع من ان يكون المورد هو المعنى الأصلي .
الملائمة بين الاستعارة والتشبيه

١ - تقول : القائد كالأسد في شجاعته ، ثم تبالغ فتقول : هو الأسد ،
ثم تبالغ فتقول : قاد الأسد الجيش في المعركة ليكون الأسد استعارة . ومن
هذا تدرك ان الاستعارة اصلها التشبيه .

٢ - وانظر في المثلين الآتيين :

قبلت بدرًا متبرأ — أى لثأة كالبدر في الجمال .
ستخفى في الحوادث برائك ، تشبه الرأى بالقر مثلاً في الهدایة .
تجد ان اسلوب الاستعارة فيها اصلة تشبيه الا انه محذف الاداء
والوجه واحد طرق التشبيه .

(وفي الاول حذف المشبه ، وفي الثاني حذف المشبه به) (١) .

القصيدة :

١ - الاستعارة نوع من التشبيه حذفت فيه الاداء والوجه واحد المطريقين .
٢ - الاستعارة ابلغ من التشبيه لما فيها من مبالغة في اداء المعنى
وتصويره .

الاستعارة التمثيلية او الاستعارة في المركب :

(١) تقول للرجل الذي يقدم الاصناف ويتناول عليها الاحسان انت كمن
يريد ان يجني من الشوك العنب ، فتجد تشبيهاً مركباً اذ شبه حال الرجل الذي
يقدم الاصناف ويتناول عليها الاحسان بحال من يزرع الشوك ويتناول ان يجني
منه عنينا ، فإذا بالغت في الاسلوب قلت «انت لاجئي من الشوك العنب ، فتحذف

(١) الاستعارة التي حذف فيها المشبه ويقى المشبه به تسمى تصريحية .
والاستعارة التي حذف فيها المشبه به ويقى المشبه تسمى مكنته .

من اسلوب التشبيه المشبه والاداة وتكتفى بالتشبيه به فيكون الاسلوب استعارة مركبة او استعارة تمثيلية .

(ب) والامثلة الآتية كلها من باب الاستعارة المركبة :

- ١ - انى اراك تقدم رجلا وترى خرى ، تقوله للمتردد .
- ٢ - وفي الليلة الظلماء ينقد البدر ، تقوله للعظيم يموت حين حاجة الناس اليه .
- ٣ - انت ترسم على الماء ، تقوله لمن يعمل عملا لا نتيجة له .
- ٤ - رمى عصافيرين بحجر ، تقوله لمن ادرك هدفين بمعنى واحد .
- ٥ - وضع الحق في نصايه ، تقوله حين تجد امرا قد وضع في محله .
- ٦ - ولابد دون الشهد من ابر النحل .

القاعدة :

- ١ - الاستعارة التمثيلية او المركبة : تركيب استعمل في غير ما يخص له العلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من ارادة معناه الاصلى .
- ٢ - الامثال التي تقال في مقام الاستشهاد بها هي من باب الاستعارة التمثيلية .

★ ★

الكتابية :

امثلة :

- ١ - يعيش الظالم على يديه : تكتى بذلك عن تدميه .
- ٢ - ثشامب الجمهور : تكتى بذلك عن ساهمهم من كلام الخطيب .
- ٣ - محمود نقى الثوب : تكتى به عن طهارته وعلته .
- ٤ - ارشى الدبر وازيد : تكتى بذلك عن تهديده .
- ٥ - تصيروا بقارعة الطريق خيامهم : يتسابقون الى قوى الاشياء كتابة عن كرم هؤلاء الناس .

٦ - خطرات التصميم تخرج خديه : وليس العرير يدمي بناته .
كتابية عن رقة خنود هذه المرأة وترفها .

٧ - المجد عوفي أذ عوقبتك والكرم
وزوال عنك إلى اعدائه المسمى
كتابية عن عظمة هذا الرجل ومجداته .

٨ - قلب الرجل كفية على ما قدم من أعمال : كتابية عن الندم .

كل أسلوب من هذه الأساليب كتابية ، حيث لم يعبر عن المعنى نفسه باللغة
الدارج عليه في اللغة ، بل ذكر شيئاً لازماً لهذا المعنى : كغض البدين أو تقليل
الكافرين اللازم للنندم ، وكالتناقض للسامة ، وهكذا نفهم من ذكر هذا اللازم
الفرض المقصود والمعنى المراد .

القسايدة :

١ - الكتابية : التعبير يلزمه المعنى المراد أداؤه . ليفهم بذلك هذا اللازم
المعنى المراد نفسه .
أول قل هي تانية المعنى بذكر لازم من لوازمه .

اقراغن الكتابية وبلاقتها :

تستعمل الكتابية لتحقيق الأغراض الآتية :

١ - تأكيد المعنى بتصويره تصويراً واضحـاً مصورياً بما يريده ، وذلك
كتابية عن الندم بعض الإناء وعن الحزن بتقطيب الجبين .

٢ - تهجين الشيء والتغافر منه ، كما في قوله تعالى في التغافر من البخل
وتهجينه : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك » .

٣ - تحسين المعنى وتجميئه مع إخفاء الأمر على المخاطبين ، كقوله في
رجل لا يجيد الشعر : « هو نبي الشعر » لكنه به عن عدم اجادته للشعر لقول
آله تعالى في نبيه : « وما علمناه الشعر وما يتلقن له » .

٤ - التعبير عن الشيء بلفظ جميل يدل اللفظ المستهجن الموضوع له ،
كتابية عن المصمم بتألق السمع ومن المعنى باستمرار ليس النظارة .

أنواع الكلامية :

الكتابية ثلاثة أنواع :

١ - كتابية عن موصوف مثل :

مدينة التور كتابية عن بارييس ، ومثل :
 سكان الخيام كتابية عن البدو .
 العوت الحديدي كتابية عن الفواحة .
 ابناء النيل ، كتابية عن المصريين .

٢ - كتابية عن صفة مثل :

يقترب الشفاعة ، كتابية عن الفقر .
 عض على يديه ، كتابية عن اللدم .
 هو لا يعرفه أحد ، كتابية عن الخمول .
 القى عصاه : كتابية عن الاتلاع .
 سفر اليدين : كتابية عن الملل .
 هو ربب أبن الهول ، كتابية عن الصعب وكتمان السر .
 يصعر خده للناس ، كتابية عن الكبر .

٣ - كتابية عن نسبة صفة لموصوف ، يان تذكر الصفة وتكون الكتابية في تسيبها الى الموصوف مثل :

اليمن يتبع ظله
 والمجد يمشي في ركابه
 الفتى ملء الثوابه .
 في بيته الكرم والمعروف .
 القى العز رحاله في منزل هذا الرجل .
 يسيرا الخير حيث تسيرا .

الفرق بين التشبيه والمجاز والكتابية :

- ١ - التشبيه من اساليب الحقيقة ، والمجاز لم يستعمل اللفظ في معناه الحقيقي ، والاستعارة من اساليب المجاز ، والكتابية وسط بين الحقيقة والمجاز لجوائز اراده المعنى الحقيقي والكتابي فيها . فقولك « فلان نهى الثوب » تكتن به عن طهارته واستقامته ، وقد يكون مع ذلك ثني الملابس ايضا .
- ٢ - التشبيه فيه اداة للتشبيه . والاستعارة لا اداة للتشبيه فيها مع ملاحظة التشبيه . والكتابية بعيدة عن اسلوب التشبيه .
وال المجاز منه قرينة مانعة من اراده المعنى الحقيقي . وعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي .
- ٣ - والتشبيه : الدلالة على مشاركة امر لاخر في معنى من المعانى مثل محمد كالأسد ، اما المجاز : فهو نقل اللفظ من معناه الاصلى الذى وضع له الى معنى آخر يبينه وبين المعنى الاصلى ملبسة او مشابهة لقصد البالغة .
مثل : رأيت أسدًا ، ولله عذري يد .
و الكتابية تادية المعنى المراد بذكر لازم من لوازمه . مثل الكرم في اثوابه .

الباب السابع

البَدْع

البساط

١ - قال الشاعر :

فأمامي الور من عمرى
ورائي منه ما طابا

٢ - وقال ابن المتن :

يا من عنانى حسنه يليمه ويقده

٣ - وقال تعالى : « فليضحكوا قليلاً ولبيكوا كثيراً »

٤ - وقال :

يا دار يا دار أحزاني واشجانى
ابلى جديد مقانيك الجديدان (١)

٥ - وقال :

ايا فتنة ما كنت منتظرها لها
اما لقتيل الهجر بالوصل من بعث

٦ - وتقول : يتماقب الليل والنهار والغدو والظلام .

٧ - وتقول في الرجل العجبان : يأكل عيشه بجنته .

التحليل :

١ - في هذه الاساليب البليبة جمال قوى يشعر به ذوقك ومبعد هندا
الجمال : لفظ حسن موقعه او معنى بديع يزيد القول به حسناً .

(١) المغانى : جمع مغنى وهو منزل الاتمام . الجديدان : الليل والنهار .

٢ - وهذا الجمال الفنى الخاص الذى تراه بعد استيفاء الكلام لعناصر البلاغة يسمى بديعا . والعلم الذى يدرسه يسمى علم البديع .

٣ - وكانت هذه الاساليب الجميلة البديعة تقع للكتاب والشعراء علوا ، فلما جاء الم忽ر العباسى فطن لها الأدباء . وقصدوها فى كلامهم كبشرار وأبي نواس ومسلم وأبن تمام .

٤ - ثم جاء ابن المعتنى فألف كتابا فى أنواع البديع . ثم زاد فى الأنواع بعده : قذامة وأبو هلال .

والخلاصة : علم البديع هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح الدلالة على المعنى المراد .

القسام المحسنات البديعية :

١ - محسنات لفظية ترجع إلى اللفظ .

٢ - محسنات معنوية ترجع إلى المعنى .

فالفرق بين القسمين أن المحسنات اللفظية راجحة إلى اللفظ ، أما المحسنات المعنوية فيرجع تحسينها إلى المعنى .

المحسنات اللفظية :

١ - الجناس :

١ - جار الجار على حقوقى .

٢ - وسيته يحيى ليحيى فلم يكن إلى رد أمر أش فيله سبيل

٣ - فاما اليتيم فلا تظهر واما السائل فلا تظهر .

٤ - ينو العم لا يبل هم يبنو القم والذى واعوان دهرى ان تظللت من دهرى

في كل مثال من الأمثلة السابقة الفاظ تتشابه في النطق وتختلف في المعنى فيسمى ذلك جناسا .

فالجناس هو : تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى .

أنواع الجناس :

(أ) جناس تام كما في المثال الأول والثاني . ومثل قوله :

« يحار الطرف في محاسن هذا الطرف الجميل » (١)

(ب) جناس غير تام ، وهو أن يختلف اللفظان في النطق بعض الاختلاف وذلك لأن يختلفا في :

١ - حرف من حروف الكلمة مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « الخيل مغود بتواصيها الخير يوم القيمة » ، فقد اختلفا في اللام والراء ، ومثل تهور وتنهر في المثال الثالث ، والمم والمم في المثال الرابع ، ومثل مقر ومقر وتقرح وتقرح وأوطان وأوطار .

٢ - أو في عدد الحروف مثل :

الدار اعرفها ربى وربوعسا
لكن اسماء الزمان بهما صنيما

ومثل قوله هذا بناء ناء ، وقال مقالا ، ومثل : الهوى والهوان وسام وساهر ، وكاف وكافل ، والقنا والقابل .

٣ - أو في شكل الحروف مثل الجد في الجد ، أي الحظ في الاجتهاد ، ومثل الفلك والفالك وعبرة وعبرة .

٤ - أو في ترتيب الحروف مثل « أمل وألم » ، وفتح وحتف ، ووعد وعود ، و « وعيدي ووديع » ، ومبين ومنيب ، وسرريع وسعير ، وكلام وكمال ، وصفائح وصحائف .

شروط الجناس البليع :

١ - أن يكون غير مختلف .

٢ - وأن يطلب المعنى .

٣ - وأن تكون الكلمة التي فيها الجناس يطلبها الأسلوب والمقام .

(١) الطرف بفتح الطاء : العين . والطرف بكسر الطاء : الفرس .

الخلاصة :

- ١ - الجنس هو أن تتشابه الكلمات في النطق وتحتلقا في المعنى .
- ٢ - الجنس الشام هو ما تشابه فيه الكلمات في أربعة أمور : نوع الحروف وعددها وشكلها وترتيبها .
- ٣ - الجنس غير الشام : هو ما اختلف فيه اللقطان في واحد أو أكثر من الأربعة السابقة .

امثلة للجنس :

- ١ - تمادتك العياد يا طلل
نحدث عن الطاعنين ما فملوا
- ٢ - لم تحزن على الريح المحييل
واطسلامل وأثار محشول
- ٣ - ظار نومي وعاود القلب عيد
وابي لن الرقاد حزن شديد
- ٤ - اشكو واشكر فمهله
فأعجب لشاك منه شاكر
- ٥ - ان الهوى لهو الهوان
- ٦ - لم الق غيرك انسانا لون به
فلا برجت لعين الدهر انسانا
- ٧ - والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق
- ٨ - من يصر جحوله افترف
ويغسل علمك اعترف

رد العجز على المصدر :

- قال الله تعالى : « وتخشى الناس واثة احق ان تخشاه » .
 وقال تعالى : « استقروا ربكم انه كان غفارا » .
 وقال تعالى : « قال اني لعلمكم من القالين » .
 سائل اللثيم يرجع ودمعه سائل .

وقال الشاعر :

سریع الى ابن العم یلطم وجهه
ولیس الى داعی التّنّدی بسریع

ولشاعر آخر :

سکران : سکر هوی و سکر مدامه
آنی یغیق فتی به سکران ؟

في هذه الأمثلة نجد اللقطة واقعة في اول الفقرة (١) ، او اول بيت الشعر ، وهي نفسها - سواء كانت بمعنى اللقطة الأولى أم ان اللقطتين اختلطا معاً - في آخر الفقرة او آخر البيت من الشعر .

ومثل هذا الأسلوب يسمى رد العجز على المصدر وهو من المحسنات البدوية التي ترجم إلى اللقطة ، ولا شك أنه يكسر الكلام سجراً وبلاقة .

فرد العجز على المصدر هو أن يجعل أحد اللقطين المكررين أو المتجلسين في أول الجملة ، واللقط الآخر في آخرها ، وكذلك في الشعر أن يكون أحد اللقطين في أول البيت والآخر في آخره .

ورد العجين على الصدر في الشعر أكثر تنوعاً ، وأشمل بالوان عديدة
فمن رد العجين على الصدر في الشعر أيضاً :

قول الشاعر :

وقوله :

وقوله :
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعْرِجٌ سَاعَةً قَلِيلًا
فَإِنَّ نَافَّعَ لِي قَلِيلًا

١) الجملة من الكلام .

فتجد أحد اللقطتين المكررين وقع في آخر البيت واللقطة الآخر وقع في وسط الشطر الأول من البيت ، أو في أول الشطر الثاني من البيت كذلك .
فكل هذه الأمثلة وما شابهها تعد من رد العجز على المصدر الذي عرفتك معناه .

المحسنات المعنوية :

١ - المطابقة :

- ١ - حيطانه من نور
والسقف من نيزران
 - ٢ - تعر من تشاء وتذلل من تشاء .
 - ٣ - وأقصدع شكى بالبيتين وانتى
لنفسى على بعض المسأمة حابس
 - ٤ - انه الدهر يعنى ويطبع .
 - ٥ - يقلب العالم في أحضان السلام وال الحرب .
 - ٦ - انت بعيد قريب .
 - ٧ - ما بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار .
 - ٨ - تسير من ظلام الى نور ومن شقاء الى سعادة ومن شر الى خير .
- في الأمثلة السابقة طباق او مطابقة يكسب المعنى سحرًا والأسلوب جمالاً .
- والطباق هو الجمع بين معينين متقابلين في كلام واحد .

القسام الطباقي :

- ١ - طباق ايجاب مثل ضحك وبكى وحزن وسر وقام وقعد . فهو ما كان تقابل المعنين فيه بالتضاد .
- ٢ - طباق سلب ، مثل اعلم ولا اعلم ، واعرف ولا اعرف ، ولا تمشي في الشر وامش في الخير ، ولا تعمن استاذك واععن من يغشك .
فهو ما كان تقابل المعنين فيه بالاثبات والنفي او بالأمر والنهي .

امثلة للطبياق :

- ١ - تضحك الأرض من بكاء السماء
- ٢ - أغازل قد كبرت على العتباب
وقد شحذ المثيب على الشباب
- ٣ - عرفت زمانى بؤسه ورخاءه
ودهرك يخطى نارة ويصيّب
- ٤ - وكسم دم لهم في جنب مساح
وجسد بين النساء المزاح
- ٥ - جل ما بي وقل هسيري ففي قلبي
جراح وحشو جفني السهاد
- ٦ - شبيبتي وما يشبيبني السن
هعوم تترى ودهمر عنيد
- ٧ - هل لدينا قد أقبلت نحونا دهراً فقصدت وليس هنا حدود

المقابلة :

امثلة :

- ١ - قال تعالى : فليضحكوا قليلاً ، ولبكيوا كثيراً
- ٢ - وقال صلى الله عليه وسلم للأنصار : إنكم لتكثرون عند الفزع ،
وتقلون عند الطمع
- ٣ - وقال خالد بن سفوان : ليس له صديق في السر ، ولا عدو في
العلانية

التحليل :

في الأمثلة الماضية تجد أن كل مثال منها يشتمل في مصدره على معينين ويشتمل في عجزه على ما يقابل هذين المعينين على الترتيب ، ففي الآية الكريمة ذكر الله تعالى الضحك والقلة ، ثم قابل ذلك بالبكاء والكثرة على الترتيب ، وفي الحديث الشريف جمع الرسول بين صفتين من صفات الانتصار في مصدر الكلمة هما الكثرة والفرج ، ثم قابل ذلك في آخر الكلمة بصفتين

آخرين مقابلتين للصفتين السابقتين ، وهما القلة والطمع على الترتيب ، وقابل خالد في كلمته الصديق والمر بالمنور والعلانية .

ومثل هذا الاسلوب يسمى مقابلة ، ولا شك أن المقابلة تكسب الكلام والمعنى جمالاً وسحراً وبلاغة .

القاعدة :

المقابلة هي أن يوتى في الاسلوب بمعتدين أو أكثر ، ثم يوتى بما يقابل ذلك على الترتيب :

امثلة للمقابلة :

١ - يحل لهم الطبيات ويحرم عليهم الخبائث .

٢ - كدر الجماعة خير من صفو الفرقه .

٣ - ما كان الرفق في شيء الا زانه ، ولا نزع من شيء الا شانه .

٤ - البحترى :

وادا حاربوا اذلوا عزيزا

وادا سالوا اعزوا ذليلا

٥ - فتنى تم فيه ما يسر مديقه على أن فيه ما يسوء الأعدايا

٦ - يا دهر يا منجز ايماده

ومخلف المأمول من وعده .

٧ - ومنظر كان بالسراء يضحكنى

يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني .

٨ - وقال تعالى : « باطنه فيه الرجمة ، وظاهره من قبله العذاب » .

٩ - على يستيقظ في الليل وينام في النهار .

١٠ - فلا الجود يفني المال والجد مقابل

ولا البخل يبقي المال والجد مدبر .

١١ - ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا

وأقبح الكفر والافلاس بالرجل .

١٢ - ازورهم وسواد الليل يدفع لى

وانشى وبياض الصبيح يفرى بي .

- ١٣ - ما أجمد في حق ولا أذوب في باطل
 ١٤ - لن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها
 سرور محب أو اساءة مجرم ؟
 والمقابلة هنا ناقصة بعض الشيء ، ومعيبة بعض العيب ، ان المجرم
 لا يقابل المحب وإنما يقابل البريء والمحب يقابلها المبغض .
 ١٥ - على رأس عبد تاج عزز بزيته
 وفي رجل حسر قيد ذل يشينه .

مراجعة النظير :

امثلة :

- ١ - الشمس والقمر يحسبان
 كان الشريا علقت فى جيبته
 وفي خده الشعري ، وفي وجهه المدر .
- ٢ - والشخصي والليل اذا سجين
 الكتابة والصحافة والشعر من الفنون المهدية .
- ٣ - الجامعات والمدارس والمعاهد والمكتبات والاذاعة تعمل عملها في
 تهذيب النشر .
- ٤ - فيه من كرم حاتم ، وفتساحة قس ، وبلاحة سحبان ، وشجاعة
 عترة ، ما يجعله عظيما .
- ٥ - هو اسماعيلي الوعد ، شعيبى التوفيق ، يوسفى المفو ، محمدى
 الخلق .
- ٦ - الورد والزهر والروض والثمر والحدائق الفنان ، والاشجار
 اللقاء والتباتات الخضراء ، مما يبعث في النفس السرور والارتياح .

التحليل :

في المثال السابق قد جمع في الاسلوب بين أمور متناسبة ، ليست
 متضادة ، فكل مثال منها مما يسمى المحسن المعنى فيه « مراجعة النظير » .
 ولا شك أن مراجعة النظير تكسب المعنى جمالاً والكلام سحرا .

التصريف :

مراجعة التظير هي أن يجمع في الكلام بين أمور متناسبة لاعلى سبيل التضاد ومن هنا نعرف أن جمع أمور متناسبة على وجه التضاد لا يسمى « مراجعة التظير » وإنما هو طباق أو مقابلة على ما عرفت من قبل .

التصورية :

١ - يا عاذلي فيه قل لي
إذا بدا كيف أسلو ؟

يسرى بي كل وقت
 وكلما مر يحلسو

« مرهنا » لها معنيان : قريب وهو المرور والذهاب ، وبعيد وهو ضد الحلاوة والمراد هنا هو المعنى البعيد .

٢ - وتقول عن رجل جبان : داعوه يأكل عيشه يجربه
فالمعنى القريب لكلمة جبنه : أكل العيش بالجبنية وهو غير مراد ،
والبعيد : الحياة في ظلال الجبن وهو المراد .

٣ - وقال أبو بكر حين سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وما
هجران إلى المدينة : هاد يهدىني . فالمعنى القريب أنه يرشده إلى الطريق
في السفر ، والمعنى البعيد أنه يهديه إلى الحق والدين والخير وهو المراد .

٤ - ويقول الشاعر :

الروح أحسن مارأيت اذا تكاثرت الهموم
تحنو على غصونه ويرق لي فيه المسمى .
فالمعنى القريب للكلمتين تحنو ويرق هو المطف والشقة . والمعنى
البعيد : ميل الأغصان ولطف النسم ، وهو المراد ، ففي كل من اللقطتين تحنو
ويرق جمال فني بديع نسميه تورية .

الخلاصة :

التورية هي أن يذكر لفظ له معنيان : أحدهما قريب غير مراد ، والثاني
بعيد هو المراد ، وبدل على المعنى البعيد المراد بقربيته يقلب أن تكون خفية
لا يدركها إلا الفطن .

امثلة للتسوية :

- ١ - جسروا لنسجع بالسديع
على علائم سردا .
فالطير احسن مائتى رد
عند ما يقع الندى .
- ٢ - شكرنا لنسنة ارضكم
كم يلغى عن التهيبة .
لا غزو ان حفظت احصار
يث الهوى فهي الذكيرة .
- ٤ - اقول وقد شدوا الى الحرب غارة
دعوني فاني اكل الخنز بالجبين .

العكس :

- ١ - قال تعالى : « يخرج الحي من البيت ويخرج اليت من المي » .
٢ - وقال تعالى : « هن لياس لكم ، واتقم لياس لهن » .
٣ - وقال تعالى : « ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابكم
عليهم من شيء » .
٤ - وقال الحسن البصري : « إن من خوفك حتى تلقى الأمان خير من
أهلك حتى تلقى الخوف » .

٥ - وقال الشاعر :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله
ولا مال في الدنيا لمن قل مجده .

٦ - وقال الشاعر :

إن الليالي للأنام متاهل
تطسوى وتنشر دونها الأعمصار .
فقصارهن مع الهموم طويلة
وطوالهن مع المسروق قصار .

٧ - قال الشاعر :

فرد شعورهن المسود بيضا
وود وجوههن البيض سودا .

وفي المثال الأول نجد جملتين قد عكس متعلق الفعلين فيما - أي في
هاتين الجملتين - الحى من الميت ، الميت من الحى ، وكذلك الأمر فى المثال
الرابع والسابع .

وفي المثال الثاني قدم جزء فى أول الجملة ، ثم اخر فى الجملة الثانية .
وكذلك الأمر فى المثال الثالث والخامس والسادس .

والاسلوب فى هذه المثل كلها يسمى العكس أو التبديل ، وهو من
الحسنات المتنوعة التي تكسب الاسلوب والمعنى جمالاً وطراقة .
والعكس بمعناه العام هو ان يقدم فى الكلام جزء ثم يؤخر .

المشكلة :

قال تعالى : « وجاء سيدة سيدة مثلها » .

وقال تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتذروا عليه بمثل ما اعتصى
عليكم » .

وقال تعالى : « تعلم ما في نفسك ولا اعلم ما في نفسك » .

وقال الشاعر :

قالوا : اقترح شيئاً نجد لك طيبه

قلت : اطيخوا لى جهة وقيضاً

وقال تعالى : صيحة الله ومن احسن من الله صيحة ؟

في المثال الأول سمي الله تعالى جزاء السيدة باسم السيدة لوقع جزاء
السيدة بجوارها .

وفي المثال الثاني سمي الله تعالى رد الاعتداء باسم الاعتداء لوقعه
بجواره ، وكذلك في المثال الثالث سمي ذات الله باسم النفس لوقعها بجوار
للحظة « نفسى » .

وفي المثال الرابع سمي الخياطة باسم الطبع (اطيخوا) لوقع لحظة
« اطيخوا » قبلها .

وفي المثال الخامس سمي تهور الله باسم الصيحة لوقعه في صيحة
الصيحة المقدرة التي تدل عليها حال الكلام فقد جيء بالفتح « الصيحة » مشكلة
للحظة الصيحة المقدرة دون أن تكون قد تقدمت في الكلام ، لأن قرينة الحال
التي هي سبب النزول وهي غمس النصارى أولادهم في ماء صفر يسمونه

الممودية قرينة على ذلك ، والمراد بـ « صيغة اـه » تطهير اـه ، لأن الایمان يظهر
النقوس » .

ومثل هذه الاساليب كلها تسمى مشاكلة .

فالمشاكلة هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صيغته تحقيقاً أو
تقديرأ ، ذكره تحقيقاً كما في الأمثلة الآربعة الأولى ، وذكره تقديرأ كما في
المثال الخامس .

والمشاكلة من المحسنات البديعية الراجحة إلى المعنى وهي تكسب المعنى
طراقة وجمالاً وحسناً ، حتى أتى بها البلبلج جيدة الأداء والمعنى .

الاستخدام :

قال الشاعر :

إذا نزل السماء بارض قسم
رعيثاء وأن كانوا غضايا .

أراد الشاعر بالسماء المطر ، وبهاء الضمير في « رعيثاء » العائدة
إلى السماء الثبات ، فالسماء هنا لها معنيان : المعنى الأول المطر ، والمعنى
الثاني الثبات ، فقد أراد بلفظ السماء أحد المعينين ، وبضمير السماء معناها
الآخر .

وقال شاعر آخر :

فسقى الغضا (١) والساكنية وإن هم
شيء بين جوانح وضلوعي .

فقد أراد الشاعر بضمير الغضا في قوله : « الساكنية » المكان ، وبضمير
الغضا الآخر في قوله « فشبوا » الشجر .

ومثل هذا الأسلوب يسمى استخداماً ، فالاستخدام هو أن يراد بلفظ له
معنيان أحد المعينين وبضمير المعنى الآخر كما في المثال الأول ، أو يراد
بأحد ضميري اللفظ أحد المعينين وبالضمير الثاني المعنى الآخر كما في المثال
الثاني .

والاستخدام من المحسنات البديعية التي تكسب المعنى والأسلوب جمالاً

(١) الغضا : اسم شجر ينبع في أمكنة خاصة من الصحراء .

متى تحسن المحسنات البدعية؟

تحسن المحسنات البدعية اذا :

- ١ - طلبها المعنى واستدعها القاسم .
- ٢ - وكانت غير متكلفة ولا متراكمة بجوار بعضها .
- ٣ - واكسبت الكلام سحرا ، بان تشوف السامع ، وتقرب المعنى
منه .
- ٤ - وكانت في موضوعها الملائم من الاسلوب .

امثلة لمحسنات بدعية بليقة :

- ١ - قال تعالى : « قاما من اعطي واقني وصدق بالحسنى قسبيسه
للمسرى ، واما من بخل واستنقى وكتب بالحسنى
فقطيسه للمسرى »
- ٢ - احرص على الموت ترهب للك حياة .
- ٣ - انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع .
- ٤ - فليفسحوا قليلا ولبيكوا كثيرا .
- ٥ - كلهم اعمى اذا ما كان خير
ولدى الشر بصير وسميع .
- ٦ - فامامي المر من عمرى
ورائي منه ما طابا .
- ٧ - يقوم الليل ويتأم النهار :
- ٨ - تاء علينا فناء هنا
فلانتراه ولا يسرانا .
- ٩ - ويا من مدحه كذب
ويا من ندمه صدق

ملاحظة :

اذا لم تستوف المحسنات البدعية شروط حسنها كانت قبيحة مملولة
فلا تتوضع المعنى وتقربه وتشوق اليه ، بل تخفيه وتبعده وتجعل السامع يدل
من سياق الكلام .

وكل ذلك اذ كثرت المحسنات البديعية في الكلام جنت على المعنى وقللت من جمال الاسلوب وروعته ولم تقد السامع كبير فائدة .

وانما تستحب المحسنات اذا تصرف فيها الاديب بذوقه وطبعه فجاءت قليلة جميلة رائعة على ما سبق في الفصل السابق . ومن امثلة تراكم المحسنات البديعية قول الحريري :

زيف زينت ، يقصد يقدر
وتلاه وبلاه نهاد يهدى .

جندها جيدها ، وظرف وظرف
ناعس تاعس ، بحد يحد .

قىدرها قىزها ، وتأهت وباهت
واغفت واعتدى يخدى .

الباب الثامن

**البلاغة العربية ومكانها
من حركات التجديد**

البلاغة من المساكنى إلى العصر الحديث :

- ٩ -

ترك المساكنى (- ٦٢٦ هـ) كتابه « مفتاح العلوم » الذى شغل العلماء منه « القسم » الثالث ، والذى جعله قاصراً على البلاغة ، لكانه من التحديد ، والتنظيم ، والتقييم ، والتقويب ، وتلاه بدر الدين بن مالك (- ٦٨٦ هـ) صاحب كتاب المصباح (- ٧٣٩ هـ) .

و جاء بعده الخليل الفزويى صاحب كتابى : « الإيضاح والتلخيص » ثم حمزة بن يحيى الملوى (- ٧٤٩ هـ) مؤلف كتاب « الطراز » ، وابن قيم الجوزية (- ٧٥١ هـ) صاحب كتاب الفوان ، وغيرهم .

و جاءت مدرسة تلاميد المساكنى من مثل : السعد (- ٧٩١ هـ) ، والسيد (- ٨١٦ هـ) والسبكي ، وابن يعقوب ، وغيرهم .

ثم جاء السيوطي صاحب « عقود الجمان » ، (توفي عام ٩١١ هـ) ، وقد اطلعت على كتاب مخطوط له فى البلاغة فى مكتبة عارف حكمت بالديستنة النورة .

وفى العصر الحديث نادى أمين الخولي ومحمد عرفة وعبد الله العلايلي وأحمد الشايب ، كما نادى آخرون منهم بالتجديد فى البحث البلاغى .

فذهب محمد عرفة إلى وجوب فهم التراث فيما جيداً ، وإلى الاشارة عليه ، والتجديد فيه .

وذهب الخولى إلى أن تقسيم البلاغة إلى علوم ثلاثة هي المعانى والبيان والبدىع لا طائل تحته ، ولا جدوى منه : وإلى أن البحث البلاغى يجب أن يشمل الكلمة والجملة والمقترة والقطعة الأدبية جيماً دون البحث عن الجملة أو الجملتين فحسب ، كما ذهب إلى أن طريقة المعلم وأصحاب الفلسفة فى البلاغة يجب اجتنابها ، ليقوم مكانها دراسات فنية تعتمد على الاحساس بالجمال والتعبير عنه ، وهذه الدراسات تتجدد فى علم النفس الذى يجب أن تنبئ فى أثره فى التعبير الأدبي ، وفي دراسة الوجان وعلاقته بمعظاهر الشعور من ناحية العمل الفنى ، وفي الخيال والذاكرة والذوق والاحسان ، وتحدى فى كتابه فن القول عن مسائل كثيرة حول البلاغة ومشكلاتها ، وذهب إلى أن فن القول يدور حول أقسام ثلاثة :

- ١ - المبادئ . ٢ - البحوث . ٣ - المقدمات .

والبادئه لتعريفنا بفن القول وأهدافه وغاياته وصلته بغيره من
الدراسات *

والقدمات تدور حول دراسات علم النفس وغيره من حيث اتصال ذلك
كله بالتعبير الابدي *

والبحوث تسير في بحث الكلمة والجملة ، والقراءة ، والقطعة *

ثم ندرس الأسلوب وأنواعه : من أسلوب فكاهى وتهكمى ورمزى وغير
ذلك (١) *

ويذهب احمد الشايب الى ان البلاغة يمكن حصرها في موضوعين
رئيسين ، هما : الأسلوب ، والفنون الابدية *

ففي الفنون الابدية ندرس مادة الكلام من حيث اختيارها وتقسيمها
وتتنسقها ، وقواعد هذه الفنون : كالقصيدة والرسالة والمناظرة والتاريخ والمقالة
والوھصف ، وسوى ذلك *

وفي الأسلوب ندرس الكلمة والمصورة والجملة والعبارة واتراح
الأسلوب (٢) *

ويتدارى العلائى بان يقتصر البيان على بحوث التشبيه والحقيقة والجاز
والكتابة *

وعلم المعانى عنده متصل بالأدب ويكتبه ، وكذلك البديع يدرس كما يدرس
علم المعانى (٣) *

وهناك اراء اخرى تدعو الى التجديد البلاغي ، وتتدارى به ، وترسم له
طريقه (٤) ، ومن بينها اراء كثيرة للأساتذين : عبد المتعال الصعیدي (٥) ،
واحمد مصطفى المراغي (٦) ، رحهما الله *

(١) راجع كتاب «فن القول» وكتاب « منهاج تجديد في النحو والبلاغة
والتفسير والأداب » المطبوع عام ١٩٦١ - بالقاهرة *

(٢) راجع كتاب «الأسلوب» للشايب *

(٣) راجع كتاب «قدمة لدرس لغة العرب للعلائى» *

(٤) راجع مجلة الكتاب العراقي - عدد ديسمبر ١٩٦٢ - مقال للدكتور
احمد مطلوب بعنوان «اراء في البلاغة العربية» *

(٥) راجع كتاب «البلاغة العالمية وتجديد البلاغة» *

(٦) راجع كتاب بحوث واراء في البلاغة *

تيارات جديدة في البلاغة :

- ٦ -

البلاغة العربية لا تقتصر بعدها على القاهر الذي وضع أصولها ، وابتكر بحوثها في القرن الخامس الهجري (٤١٣ - ٤٧١ هـ) ، وافت فيها كتابه الجديدين في تاريخ الأدب والنقد والبيان العربي ، وهم : دلائل الاعجاز ، وأسرار البلاغة ؛ ولا تقتصر كذلك بالسلاسل التي وضع اصطلاحاتها الفنية ، وتقسمها إلى علوم ثلاثة :

المعنى ، والبيان ، والبيان ووضع لكل علم منها بحوثه ومقوماته ، وأصطلاحاته ، ومنذ توقيع عام ٦٢٦ هـ حتى اليوم والبلاغة العربية عالة على كل شيء كتبه ، وكل أصطلاح سماه .

إنما هي حركة فكرية بيانية تتحكم فيها تيارات عديدة :

١ - الميار العربي : وقد شرع له كثير من أئمة اللغة والأدب والنقد والبيان في القرنين الثاني والثالث الهجري ، وفي مقدمتهم أبو عمرو بن العلاء (٥٥٤ هـ) والخليل بن أحمد (٦١٧ - ٦٧٨ هـ) والمفضل (٦٨١ هـ) ، وخلفه ابن سبيويه (٦٨٩ - ٧٢١ هـ) ، وأبو عبد الله (٦٩٠ - ٧٠٨ هـ) ، والاصمعي (٦٩٦ - ٧٢٦ هـ) ، وأبن سالم الجمحي (٧٢٦ هـ) ، وكان يمثل هذا التيار آراء موجزة مفرقة غير محددة في أصول النقد والأدب والبيان ، وانضم إليها آراء كثيرة قيلت في الشعر والشعراء ، منها : ما لوحظ على الفرزدق من قوة ومن تعقيد ، وما لوحظ على زهير من انتقام التعقيد في شعره ، وما لوحظ على جرير من عنوينة ورقة ، وما لوحظ على يشار من توليد ، وعلى أبي العناية من طبع ، وعلى مسلم من صنعة ، وما لوحظ على ذي الرمة مثلما من غرائب ، وساند هذا التيار أئمَّةُ الأدب والبيان والتبيين ، وهو الجاحظ (٧٥٥ - ٨٥٥ هـ) في كتابيه (البيان) و (الحيوان) ، وغيرهما من روائع الأئمَّة ، ثم أيد هذا التيار : أبي تقية (٧٧١ - ٨٣٦ هـ) صاحب كتاب (الشعر والشعراء) وكتاب (أدب الكاتب) ، وأبراهيم بن المديري صاحب (الرسالة العذراء) في فن الكتابة والرسائل ، وقد ضمنها بعض موازين النقد والبلاغة ، وأيده كذلك البرد (٨٥٥ - ٩٢٥ هـ) صاحب كتاب (الكامل) وكتاب (المقتصب) وغيرهما ، ثم شغل (٩٢٥ - ٩٩١ هـ) صاحب كتاب (قواعد الشعر) وغيره ، ثم ابن المتن الخليفة العيسي الشاعر (٩٩٦ - ١٠٦٦ هـ) ، وهو صاحب كتاب (البيهقي) المشهور الذي وضع فيه بعض اصطلاحات عملية للبلاغة وجدد هذه الاصطلاحات واستشهد لها بكثير من الشواهد والأمثلة ، وقد استمر هذا التيار متقدماً بعد القرن الثالث ، وظهر في كتابات الأندلسي (١٠٦٦ - ١١٣٦ هـ) في كتابه المشهور (المواننة) ،

- ١٧٩ -

والقاضي الجرجاني (- ٢٩٢ هـ) في كتابه (الوساطة) وغيرهما من آئمه الأدب
والنقد : كالباقائي صاحب كتاب (اعجاز القرآن) .

٢ - التيار الأجنبي : وقد شرع له في أوائل القرن الرابع الهجري
قدامة بن جعفر (- ٢٣٧ هـ) في كتابه المشهور (نقد الشعر) الذي يظهر فيه
التأثير باراء أرسسطو في الشعر . وبالتالي المترجم من الأدب اليوناني القديم ،
وكانت تكتب أرسسطو في الخطابة والشعر وفي غيرها قد ترجمت في القرن
الثالث الهجري ترجمات عربية ذاتت في كثير من بيئات العرب الثقافية ،
وكتاب البرهان أو (نقد النثر) لابن وهب (١) ، وهذا الكتاب كذلك يطلعنا
على تأثير التيار الأجنبي في نقد البيان العربي ودراسته .

ولقد تأثر بهذا التيار الأجنبي وبآراء قدامة في نقد الشعر ثلاثة من كبار
آئمه النقد في الأدب العربي ، فاللهم كتاباً مشهورة اصطنعوا فيها نفس منهج
قدامة في النقد والبيان الذي سار عليه في كتابه نقد الشعر ، ولجاوا إلى
اصطلاحاته ، وإلى نظرياته ، وإلى تقاصيل موضوعاته ، وإن خالقوه أحياناً
في الشرح أو التعليق أو التقطيع أو في رأي من الآراء ، أو في الإيجاز حينما
والبساط والتقصيم حينما آخر ، وهو :

(١) أبو هلال العسكري (- ٢٩٥ هـ) صاحب كتاب (الصناعتين) ،
وهو امتداد تام لقدامة ومنهجه في النقد والبيان .

(ب) الأمير ابن سنان الخفاجي (- ٤٦٦ هـ) صاحب كتاب (سر
القصاحة) الذي اتبع فيه كذلك نفس منهج قدامة ، مع ظهور شخصيته في
الدراسة والبحث والعرض والاستنتاج .

(ج) ابن رشيق (- ٤٥٦ هـ) صاحب كتاب (العمدة) الذي صنع صنيع
أبي هلال والخفاجي في سلوك منهجه قدامة العلمي في النقد والبحث ، وقد
استمر منهجه قدامة سائداً بعد هؤلاء القادة حتى آل إلى حاتم والسلكاني
(- ٦٢٦ هـ) .

٣ - التيار المزدوج : وقد شرع له عبد القاهر الجرجاني (- ٤٧١ هـ)
الذى أفاد من آراء الدرستين المسايقين ، فى النقد الأدبي ، فكتب فصولاً
ومقالات ويحوثاً عن أصول البلاغة العربية وموازناتها بروح ابتكارية نقدية

(١) راجع شرحى على كتاب الإيضاح فى علوم البلاغة للقرزوى . حيث
تفيد نسبة لقدامة واثبت نسبة لابن وهب .

عميقة ، وقد ضمن دراساته هذه كتابيه (الدلائل والأسرار) اللذين سبق أن أشرنا إليهما . وبعد عبد القاهر أمام (البلاغة العربية) ، من حيث أنه أفاد من التيارات المختلفة في دراسة أصول البيان العربي ، وجدد فيها ، ومن حيث أنه وضع مباحثات علوم البلاغة ، وقتن لمواضيعها ، ونزل صمعويات البحث فيها ، وشرح منهاج البحث ، ثم اتبع سبيله الرازى (٦٠٦ھ) في كتابه (درایة الاعجاز) ، ثم السكاكي في كتابه (المفتاح) ، أو على الأصح في القسم الثالث منه الذي خصه بالبلاغة العربية ، وقد امتاز السكاكي بتحديد علوم البلاغة وموضوعات كل علم منها ، وشرع جميع اصطلاحاتها ، وأنه جمع في كل مسألة أراء عبد القاهر المفرقة فجعلها دستوره وهيكل البحث البلاغي حولها ، ولكنه مع ذلك أضاف إلى عبد القاهر ما استطاع أن يضيف إليه من زيادات وأصطلاحات ، ويمتاز السكاكي عموماً بتفقيده للبلاغة ، وتفقيده كذلك في دراستها ، فقد كان يحكم الأسلوب المنطقى في كل شيء ، فاتخذ من هذا الأسلوب وسيلة للبحث وتنظيم الدراسة ، ومن ثم ساد الأسلوب المنطقى الجدى مباحث البلاغة العربية منذ ظهر السكاكي ، وقد انتقام في ذلك تلميذه من مثل القزويني (٧٣٩ھ) والمسعد (٧٩١ھ) والمسيد (٨١٦ھ) ، والعصام وغيرهم .

وقد ظل نهج هذه المدرسة سائداً في دراسة البلاغة حتى اليوم .

- ٢ -

ومدارس البلاغة العربية اليوم ، تظهر في بيوت علمية عديدة كثيرة كليات الآداب في جامعاتنا ، وبيئة كلية اللغة العربية في الأزهر ، وتمتاز الأولى بظهور محاولات لتلقيح البلاغة العربية بالبلاغات الأخرى ، تجد صداماً فيما الف الشايب في كتابه (الأسلوب) ، وفيما الف الخولي في كتابه (فن القول) ، وفيما الف طه حسين من كتب موجزة لدارستنا ، وتمتاز الثانية ، بالتعقق في دراسة البلاغة العربية وتصفيتها من الشوائب ومن الآراء المقدمة التي تربّت إليها ، وكتاب الإيضاح للقزويني على إية حال صورة لازالت ذات اثر كبير في التفكير البلاغي عند مختلف البيئات البينية في مصر والعالم العربى .

ولكن صدى التجديد في دراسة البلاغة العربية ضعيف غاية الضعف قليل الجنوى غاية الفلة ، منتشر في خطاه كل التشتت ، وكان الدرس البلاغي لا يعني مصر والعالم العربي في قليل ولا في كثير ، مع أن عالمنا العربي هو موطن العربية ، والأرض التي نزلت فيها معجزة القرآن الكريم واستعمت إلى بلاده .

واحب القول بأنه يجب تغيير البلاغة العربية تغييراً كاملاً شاملـاً :

(أ) فيحذف ما تسميه علم المانى والبدىع ويحل محلها فن الأسلوب ، على أن تكون موضوعات يبحث هذا المعلم ، هي : صور التعبير البلاغى ، بلاغة الإيجاز ، بلاغة الاطهاب ، بلاغة القسر ، قوة الأسلوب وعذريته ، أسلوب الالتفات ، أسلوب التجريد ، أسلوب الحكيم ، أسلوب الخبر ، أسلوب الانشاء ، أسلوب التكرير ، الذوق البلاغى وأثره فى الأسلوب ، الاستناد الى الفاعل وغيره ، بلاغة الاستناد العقلى ، ثقافة الكاتب والأسلوب ، الطبيع والصنعة ، ويدخل فى الصنعة بعض الصور التي هي مباحثت ما تسميه بعلم البدىع .

(ب) يحذف ما يسميه علم البيان ويحل محله (فن الخيال البىانى) أو « الصور البىانية » ويشتمل هذا الفن على ما يلى :

المقىقة والخيال .

الخيال فى التشبيه - الخيال فى الكتابة - الخيال فى الاستعارة - الخيال فى حسن التعليل - الفكرة الفلسفية والتعبير - الخيال والبسالة - صور الخيال فى البيان العربى - التجديد فى الخيال .

وأن أرددنا أسماء قدما لهذا الفن ، فما أحراانا أن تطلق عليه (فن المانى) بدلاً من فن البيان ، وتنطلق على الفن السابق وهو فن الأسلوب اسم (فن البيان) .

(ج) يحذف من البلاغة كل ما يتصل بالنحو العربى عن مثل : مباحثت باب المستد وباب المستد اليه .

(د) يحذف منها كل ما يتصل بالمنطق والفلسفة .

(هـ) تختار أمثلة جديدة لتشى بحوث البلاغة من ناصع الأدب العربى ويليقه فى مختلف المصور وبخاصة ما يحفظه الطلاب من تصوصن أدبية على أن توجد هذه النصوص فى مختلف المدارس والمعاهد فى العالم العربى لفرق المتساوية .

٢ - ينشأ درس للنقد البلاغى يدرس فيه شخصية الأديب وسماته أدبه ، وخصائصه الأسلوبية ، وتتجديده البىانى ، ومدى ما يشتمل عليه أدب الأديب من عاطفة وحسق واثارة ، ومدى ما وصل إليه الأديب من تجديد فى فنه البلاغى . هذه خطوط عامة صغيرة لا يضيئنا أن نقول أنها قد تجد توأمة لما ننشده من تجديد .

حول التجديد البلاغي :

- ٩ -

النقد او البلاغة العربية مدینان على نشاطهما الاولى لجهود علماء اللغة والآدب ، ولتأثیر الرواۃ والتقاد الباحثین في اصول البيان العربی ، مع الآخر الذي احدثه الكتاب والشعراء والأدباء في القرن الثاني والثالث الهجری .

ولقد تلاحت الثقافات ، واتصلت المصارف ، وتبورلت الأفكار ، في عواصم العلم والثقافة في العالم الإسلامي القديم ، على أيدي العرب الذين بثغوا في اللغات الأجنبية ، والموالى الذين حذقو اللغة العربية وأجادوها ، والترجمين الذين كانوا همزة الوصل بين الثقافات القديمة والثقافة العربية الإسلامية الأصيلة .

كان خلف لا يشق له غبار في صناعة النقد ، لنقاده فيها وحده فيها واجادته لها ، (١) ، وكان أبو عبيدة يعجب من فطنة بشار وجودة قريحته وصحة نقده للشعر (٢) ، وكان خلف يعجب من نقده للشعر وذاته (٣) ، وكان الجاحظ (٤) يرى أن بشارا زعيم المؤلدين .. ثم جاء ابن سلام والجاحظ وأبن قتيبة والبرد وأبن المديري وأبن المعتز ، وكان لجهودهم أثر كبير في نشأة البلاغة ونمو البحث في اصول البيان .

ولا ننسى جهود طائفة أخرى من العلماء في اثارة البحوث البلاغية والتعليق عليها ، وتلك الطائفة هي جماعة العلماء الذين شغلوا بالبحث في آعجاز القرآن الكريم وتقهم أسرار هذا الآعجاز والتاليف فيه ، فكشفوا الكثير من غواصين البلاغة وأصولها ، ومن هؤلاء أبو عبيدة والجاحظ وسواهم من آئمة المعتزلة وقحولها .

(١) ١/١٩٧ المعدة .

(٢) ٢٠٧ طبقات ابن سلام .

(٣) ٢٢/٢ الأغاني .

(٤) ١/٩١ المعدة .

وعلى ايدي قدامة وابي هلال والامدي والقاضي والجرجاني وغيرهم من افذاذ النقاد في القرن الرابع الهجري ، نرى البحث البلاغي ينمو ويقوى ويزدهر . ثم تلاميذ الباقلاني وابن سنان وابن رشيق من علماء النقد والبيان .

ولقد لمعت عبقرية عبد القاهر الجرجاني المتوفى عام ٤٧١ هـ في هذا العهد ، وكان مظهر هذه العبرقرية اللماحة كتابان جليلان الفهما قبل وفاته بقليل هما : (دلائل الاعجاز) و (اسرار البلاغة) اللذان يمدان حتى اليوم أصولاً خصوصاً من اصول البيان وبحوث البلاغة والنقد والموازنة .

وبعد عبد القاهر انتطا السراج ، وذيل العود ، وأصبحت الأنواع بالمعنى والعجز ، كما أصبت البلاغة بالتأخر والاضمحلال . وبعد نحو قرن ونصف قرن ظهر مجاهد السكاكى بعقليته المنطقية ونوره الأعمى ، فحال البلاغة الى جدل عقيم في الألفاظ والأساليب ، والناظر مجاهد في البلاغة الذى حصل لها بالذوق ولا بالحياة ، وذكر تلاميذ السكاكى ، وانتشر مذهبه في البلاغة الذى يمثله القسم الثالث من كتابه (المفتاح) ، والمدى عنى فيه مؤلفه بالتشور لا باللباب ، وبالتوافق لا بالحقائق ، ولاتزال دراستنا للبلاغة حتى اليوم قائمة على اصول مذهب السكاكى وتلاميذه وحدهم دون سواهم .

- ٢ -

ولقد نهض جماعة من ادبائنا يدعون الى التجديد في البلاغة ، فمن قائل : ان الكتب القديمة يجب ان تحل محلها كتب اخرى مؤلفة على النهج الحديث ، ومن دعاة الى تلقيح البلاغة العربية باصول الدراسات البلاغية في شتى اللغات الحديثة الاوربية ، ومن تأهيبين مناهج الغرب في بحث اسرار البلاغة وأصولها ، ومن مناديين الى مذاهب البلاغيين القدماء : من امثال عبد القاهر وقدامة وابي هلال .

وهكذا تعددت الآراء ، وتخاصمت الأفكار ، في التجديد في البلاغة ، وبيان كيف يكون هذا التجديد ، على ان انواع علمائنا المعاصرین وادبائنا المشهورين لا تكاد تساعد على الوصول الى هدف او غاية ينشدهما المشفقون على البلاغة العربية اليوم ، والذين يحاولون التجديد فيها يكتفون بتقليل افكار الغربيين دون فهم او يقطنة فكرية او المام ما يتراثنا القديم الخالد في البلاغة والبيان والنقد .

عرض عبد القاهر الجرجاني للمحذف ومكانه من البلاغة دون ان يبين سبب هذا الحسن والاحسان ، ومر هذا الجمال البياتى الاخاذ ، ويدعى

المساكين والخطيب وتلاميذهم الى ان الحنف في موضعه كالذكر في موضعه ، لكل مكانه من البلاغة ، ومتزنته من سحر البيان ، وأبوا أن يكون للحنف مزنة على الذكر بل هما يحصلان البلاغة وبيهودانها ، ثم عللوا الحنف بعل متكلفة لا صلة بينها وبين أحكام الذوق الأدبي السليم .

ولكن الدراسة التي نشرت في مجلة الأزهر - عدد ربيع الأول ١٣٧٢ هـ - بعنوان «علوم البلاغة في الميزان» والتي اتجه فيها الكاتب إلى اثارة المكاب ، وتنشيط الأفكار ، وتحريض الاندهان على النظر والبحث والنقد والاستنتاج والكشف ، وجفzen الهم للبحث والابتكار ، هي محاولة مديدة قوية في سبيل التجديد البلاغي ، وأول ذلك الامرار البلاغية الدقيقة للحنف ، ومحاولة الكشف عنها .

ويحاول الباحث أن يعلن سر جمال الحنف وبلاغته بأسباب نفسية وأمور بيانية ، منها الهجوم بالسامع على المطلوب دفعه ، والجدة التي ذراها في أسلوب الحنف ، ومنها أن المحنف تدل عليه القراءن ، فإذا ذكر كان ثقيلا في موضعه لأنها تعريف لما عرف وبيان لما بين ، فيربط بذلك بين البلاغة وأحكام الذوق وأسرار البيان وملكات النفس الإنسانية .

ومن البحوث التي أثارها هذا البحث أسلوب التجريد ، وتحليل الوان جماله وسر هذا الجمال ، يعيدا عن تكلف القدماء وتأويلهم .

وكتلك عرض لأسلوب : رأيت اليوم حاتما ولقيت ماردا وسمعت سحبان وما أشبه ذلك ، مما أ قوله للبلغيون فجعلوا حاتما هنا كاته موضوع للمراد ، فانتزعوه من معناه وهو «العلمية على الرجل المعرف من طه» . وبهذا التأويل يكون حاتما متناولا للفرد المتعارف المعهود والفرد غير المتعارف ، وهو من يتصرف بالوجود ، فيصير استعماله في غير المتعارف استعمالا في غير ما وضع له فيكون عندهم استعارة .

والأستاذ محمد عرفة يبحث ذلك كله ويناقشه وينقده ، ويحاول الوصول إلى الصواب في أمره ، حيث يرى أن المراد هنا تشبيه هذا الكريم بحاتم في جوده ، فحاتم باق على معناه دون تغيير أو تبدل .

ان القديم ليس كله صوابا ، وليس كل خطأ ، بل فيه الصواب ، وفيه الخطأ ، وفيه سوى ذلك الوان من القصور العلمي الذي يجب ملائكته ، فما اجدرنا بتتجدد البحث والدراسة في أصول بلاغتنا ، وفي مذاهب البيان وأسراره .

خاتمة الكتاب

هذا الكتاب يمثل منهاجاً جديداً قبل أن يمثل بحثاً علمياً حول أساليب البلاغة وفي الامكان أن نضيف إليه في الطبيعتين التالية الزيادات العلمية المتعلقة بكل باب من أبواب البلاغة التي ذكرناها هنا في إيجاز شديد حتى نعطي الصورة كاملة والمنهج واضحـاً ، والفكرة ظاهرة في عمومها وإيجازها .

ولا ريب أن ما يشيره هذا الكتاب من بحث ، وما يوضحه من منهج ، كفيل بان يخطئ للبلاغة العربية طريقها الجديد المأمون العثار ، الذي ترجو ان تسلكه في ضوء متغيرات العصر ، وتجددات الفكر الراهن ، وثورة الاتصال بالجماهير التي تعمل من العالم اثنين ما يكون بقرينة اليكترونية صغيرة ، حيث بلغ التواصل الانساني أقصى مداه ، الأمر الذي يتقتضي ضرورة البحث عن بلاغة جديدة ، تعبير عن هذا العصر بكل الوانه ومتغيراته .

ولا تملك الا ان تقول ان الشباب المعاصرين سوف يفهمون على ضوء هذا المنجز البلاغة العربية فهما أعمق ، بناءً من الأصلة والمعاصرة والرغبة في التجديد والتغيير عن مقتضيات التطور نحو بلاغة جديدة .

المؤلفان

من مصادر البحث

- ١ - الإيضاح في البلاغة للقزويني - ط بيروت - جزان ١٩٧٠ .
- ٢ - أسرار البلاغة للجرجاني - تحقيق خفاجي - مكتبة القاهرة .
- ٣ - دلائل الأعجاز للجرجاني - تحقيق خفاجي - مكتبة القاهرة .
- ٤ - الوساطة لعلى بن عبد العزيز - طبعة صيدا - لبنان .
- ٥ - العمدة لابن رشيق - تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد .
- ٦ - فحولة الشعراء للأصمعي - القاهرة - ١٩٥٣ .
- ٧ - نقد الشعر لقادمة - نشر مكتبة الكليات الازهرية ١٩٧٨ .
- ٨ - قواعد الشعر للطلب - طبع مكتبة مصطفى الحلبي - ١٩٤٨ .
- ٩ - طبقات التخوين البصريين للسيرافي - مكتبة الحلبي ١٩٤٨ .
- ١٠ - البديع لابن المعتز - مكتبة الحلبي ١٩٤٦ .
- ١١ - سر الفصاححة لابن سنان الخفاجي - مكتبة الخانجي ١٩٢١ .
- ١٢ - البيان والتبيين للجاحظ - تحقيق المستدوبى - نشر التجارية .
- ١٣ - فن القول - الخوالى - القاهرة - ١٩٥٦ .
- ١٤ - البلاغة المصرية - سلامة موسى .
- ١٥ - البلاغة العربية في دور نشأتها - سعيد توفل - القاهرة .
- ١٦ - الشعر المعاصر على ضوء الشعر الحديث - مصطفى السحرقى - القاهرة ١٩٤٨ .
- ١٧ - النقد العربي الحديث ومذاهبـه - خفاجي - مكتبة الكليات الازهرية ١٩٧٦ .
- ١٨ - تحرير التحبير لابن أبي الاصبع - تحقيق حفني شرف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- ١٩ - المثل المسائر لابن الأثير - د. طيبة ، و د. الحوفي - مكتبة مصر - الفجالة .

- ٢٠- عيار الشعر لابن طباطبأ - تحقيق محمد زغلول سلام - ١٩٥٦
- ٢١- البلاغة تطور وتاريخ - د. شوقي ضيف - دار المعارف بالقاهرة
- ٢٢- الأسس الفنية للنقد الأدبي - د. عبد الحميد يوسف - دار المعرفة
- ٢٣- في النقد الأدبي - د. شوقي ضيف - دار المعارف
- ٢٤- الإعلام والاتصال بالجماهير - د. إبراهيم أمام - مكتبة الأنجلو المصرية
- ٢٥- الأسس العلمية لنظريات الإعلام - د. جيهان شتي - دار الفكر العربي
- ٢٦- الدخل إلى وسائل الإعلام - د. عبد العزيز شرف - دار الكتاب اللبناني - القاهرة
- ٢٧- في اللغة والأدب - د. إبراهيم بيومي مذكور - دار المعارف (سلسلة أفراد)



فهرست الكتاب

الوَضْعُ	مَقْدِمةٌ
مَصْنَعَةٌ	٢
الباب الأول : علوم البلاغة العربية - لماذا وضعت ..	٤٤ - ٢٧
تاریخ الفکر الیباني ..	٢٩
اهمية دراسة البلاغة ..	٢٢
التالي في البلاغة ..	٢٢
أوائل البلاغيين ..	٢٤
جهود التقىاد ..	٢٥
أول مؤلف في البلاغة ..	٢٥
مدارس بلاغية ..	٢٦
تراث لشيوخ البلاغة ..	٢٧
الباب الثاني : الفصاحة - البلاغة - نحو بلاغة جديدة ..	٤٥ - ٨٤
الفصاحة : فصاحة المفرد ..	٤٧
— فصاحة الكلام ..	٥٠
— فصاحة المتكلم ..	٥٢
— معنى البلاغة ..	٥٢
— نحو بلاغة جديدة ..	٥٧
مطالب البلاغة الجديدة ..	٨٦
الباب الثالث : البلاغة في نظرية الاعلام ..	٨٥ - ١٠٤
البلاغة في نظرية الاعلام ..	٨٧
	— ١٨٦ —

صفحة	الموضوع
	عملية الاتصال بالجماهير
٨٩	الوظائف البلاغية ومستويات التعبير
٩٦	أنواع الاتصال الانساني
٩٧	بلاغة الكلام : الرسالة الرمزية
١٠٢	بلاغة المتكلم - مراتب البلاغة
١٠٣	بين الفصحى والبلاغة
١٠٤	
	باب الرابع : علوم البلاغة
١٢٢	علوم بلائية
١٠٧	شواهد لطابقة الكلام لمعنى الحال
١٠٧	شواهد للكلام البلجي
١٠٨	وسائل الاعلام امتدادات بلاغية
١١٧	آراء مأثورة في البلاغة
١١٢	
	باب الخامس : علم المعانى في البلاغة العربية
١٢٢	بحوث علم المعانى
١٢٥	الخبر والاشتاء
١٢٦	احوال الاستناد الخبرى
١٢٧	اغراض الخبر
١٢٨	المجاز العقلى
١٢٩	المستند اليه
١٢١	المستند
١٣٢	متعلقات الفعل - اسلوب القصر
١٢٢	الفصل والوصل - الايجاز والاطناب والمساواة
١٢٤	

الموضوع	صفحة
باب السادس : البيان	١٥٦ - ١٢٧
البيان	١٣٩
بحث علم البيان	١٤٢
التشبيه	١٤٣
المجاز - المجاز المرسل	١٥٠
الاستعارة	١٦٢
الكتابية	١٥٢
الفارق بين التشبيه والمجاز والكتابية	١٥٦
باب السابع : البداع	١٧٢ - ١٥٧
— البداع واقسامه	١٥٩
— الحسنات اللطيفة	١٦٠
— الحسنات المعنوية	١٦٤
متى تحسن الحسنات البداعية	١٧٢
باب الثامن : البلاغة العربية ومكانها من حركات التجديد	١٨٤ - ١٧٥
الخاتمة	١٧٦

